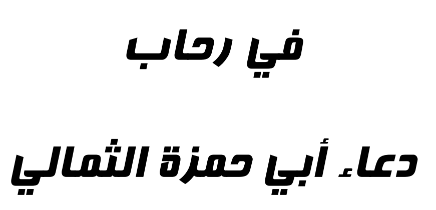
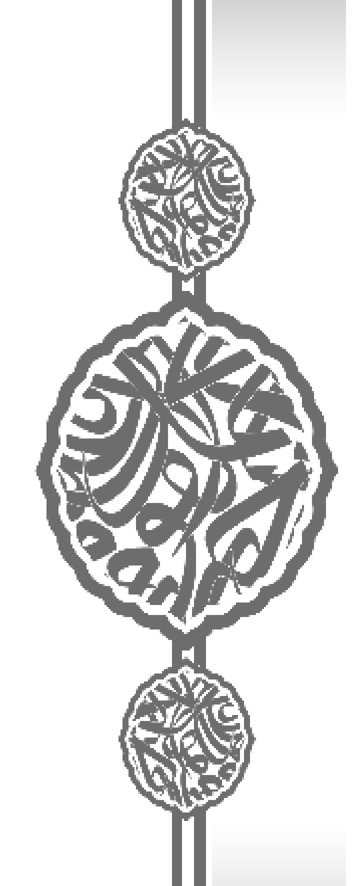




الجزء الأوّل

تأليف

سماحة العلامة

السيد صدر الدين القبانچي

«دامت بركاته»

إعداد وتحقيق

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

هوية الكتاب:

الكتاب: في رحاب دعاء أبي حمزة الثمالي/ ج (١)
المؤلف: السيد صدر الدين القبانچي
الناشر: مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وإيضاح:

وبعد..

هذه مجموعة محاضرات قدمنّاها للمستمعين في النجف الأشرف خلال ليالي شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢٤ وعام ١٤٢٥ للهجرة النبوية الشريفة.

* * *

لم تكن هذه المحاضرات دروساً علميّة محضة ومباحث فكريّة مجرّدة في شرح دعاء (أبي حمزة الثمالي) للإمام زين العابدين عليه السلام، بل هي معايشة تربوية وعلمية في رحاب هذا الدعاء العظيم، كنا نسعى أن نضعها بمستوى عموم السامعين، ونضمّنها جمعاً من الشواهد القرآنية، والقصص التربوية، وبلغة خطابيّة، قد نخرج خلالها من أصل الموضوع إلى موضوعات جانبيّة مهمة في الواقع الحياتي الذي يعيشه المستمعون.

* * *

لقد قدمنا خلال هاتين السنتين خمسين محاضرة في رحاب هذا الدعاء العظيم، ولمّا كان مع بعضها تداخل وتكرار أحياناً فقد قمنا بعملية ضمّ بعضها إلى بعض، وحذف المكرر منها، لتكون عبارة عن ثلاثين محاضرة جمعناها في هذا المجلد الأوّل من شرح الدعاء، والذي نأمل أن يتبعه الجزء الثاني في معايشة باقي فقرات الدعاء.

* * *

وقد يلاحظ القارئ أننا ختمنا بعض هذه المحاضرات بذكر مصيبة أهل البيت عليهم السلام وهو أمر يترك آثاره التربوية على قلب السامع.

* * *

وبودّي في هذا التقديم أن أُشيد بجهود الإخوة الكرام في (مكتب إمام جمعة النجف الأشرف) على اعداد هذه المحاضرات وإخراج مصادرها وتنظيمها بالنحو الجميل ووضعها ميسورة بيد القرآء الكرام، أسأل الله تعالى لهم ولجميع العاملين والسامعين والقارئين العفو والقبول، إنه وليّ التوفيق.

٢٣ / ربيع الأوّل / ١٤٢٦ هـ

النجف الأشرف

السيد صدر الدين القبانچي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله على آلائه، وله الشكر على فضله ونعمائه، والصلاة والسلام على خير خلق الله وخاتم رُسله؛ الرسول المؤيّد المصطفى الأمجد أبي القاسم محمّد وعلى إله الطيّبين الطاهرين الهُداة المهديّين واللعنة الدائمة على أعدائهم ومُنكري فضائلهم إلى يوم الدين.

دأب أئمّة أهل البيت عليهم السلام بعد ارتحال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على تبيين حقيقة الدين الناصعة وجاهدوا في تقوية ارتباط الجماهير المؤمنة بالخالق المتعال تبارك وتعالى، وتنوّعت الطرق التي انتهجوها في هذا المجال بتنوّع الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة.

ومن الطرق التي أكّد عليها أئمّة أهل البيت عليهم السلام _ ومنهم الإمام السجّاد عليه السلام _ طريق الدعاء، وهو طريق يجسّد مدرسة متكاملة في المعرفة الأخلاقية والتربويّة.

وكان للإمام السجاد عليه السلام جهود كبيرة في مجال تثقيف الطليعة المخلصة من أصحابه ومواليه ورسم المسار الصحيح والطريق اللاحب للارتقاء الخُلقي والمعنوي، في وقتٍ كانت الأمّة قد أُصيبت فيه بانتكاسة خطيرة جرّاء تقاعس أغلب أفرادها عن نُصرة إمام زمانها: ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن عليّ عليهما السلام حتّى استُشهد عطشاناً بطف كربلاء ومعه ثُلّة من أخوته وأبنائه وأهل بيته وأصحابه لم يكن لهم على وجه الأرض من مثيل ولا نظير. والصحيفة السجّادية الزاخرة بفنون الأدعية التربوية ذات المضامين المعمّقة خير شاهد على الجهود التي بذلها الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الشأن.

ومـن أهـم أدعيـة الصـحيفة السـجّادية، دعـاءٌ علّمـه زيـن العابـدين عليه السلام لأبـي حمـزة الثمـالي _ ويُـدعى ثابـت بـن دينـار _ وهـو مـن أجلّـة أصحاب الأئمّـة عليهم السلام، وُفّـق ومصـاحبة أربعـة مـن أئمّـة أهـل البيـت عليهم السلام هـم: الإمـام السـجّاد، والإمـام البـاقر، والإمـام الصـادق، والإمـام الكـاظم عليهم السلام، ورُوي فـي فضـل هـذا الرجل الجليل أنّه في زمان مثل سلمان في زمانه.

وورد فـي فضـل هـذا الـدعاء المبـارك أنّ الإمـام السـجّاد عليه السلام كـان ملتزمـاً بقراءته في السحر من ليالي شهر رمضان.

وكـان لسـماحة العلاّمـة المجاهـد السـيد صـدر الـدين القبـانچي (مـدّ ظلّـه) محاضـرات فـي شـرح فقـرات هـذا الـدعاء المهـمّ ألقاهـا فـي ليـالي شـهر رمضـان المبـارك لسـنتي ١٤٢٤ و١٤٢٥هـ، مثّلـت معايشـةً تربويـة وعلميـة فـي رحـاب هـذا الـدعاء العظـيم. وتضـمّنت هـذه المحاضـرات القيّمـة باقـة عطـرة مـن الشـواهد القرآنية والقصص التربوية.

ويسـرّ مكتـب إمـام الجمعـة فـي النجـف الأشـرف أن يقـدّم هـذه المحاضـرات للقـرّاء الكـرام بعـد إعـدادها وتنظيمهـا علـى نحـو لائـق، إسـهاماً فـي نشر معارف أهل البيت عليهم السلام، والله من وراء القصد.

مكتب إمام الجمعة في النجف الأشرف

النص الكامل

لدعاء الإمام زين العابدين عليه السلام

برواية

أبي حمزة الثمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

«إلهي لا تؤدّبني بعقوبتك ولا تمكر بي في حيلتك من أين لي الخير يا ربّ ولا يوجد إلا من عندك ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك يا ربّ يا ربّ يا ربّ بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولو لا أنت لم أدر ما أنت».

* * *

(٢)

«الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني».

* * *

(٣)

«والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلا حين يستقرضني والحمد لله الذي أناديه كلّما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسرّي بغير شفيع فيقضي لي حاجتي والحمد لله الذي لا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي والحمد لله الذي لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لأخلف رجائي والحمد لله الذي وكلني إليه فأكرمني ولم يكلني إلى الناس فيهينوني والحمد لله الذي تحبّب إليّ وهو غنيّ عنّي والحمد لله الذي يحلم عنّي حتى كأنّي لا ذنب لي فربّي أحمد شيء عندي وأحقّ بحمدي».

* * *

(٤)

«اللّهمّ إنّي أجد سبل المطالب إليك مشرعة ومناهل الرّجاء إليك [لديك] مترعة والاستعانة بفضلك لمن أمّلك مباحة وأبواب الدّعاء إليك للصّارخين مفتوحة وأعلم أنّك للرّاجي

[للرَّاجينَ] بمَوْضع إجَابَة ولِلْمَلْهُوفينَ [لِلْمَلْهُوف] بمَرْصَد إغَاثَة وَأَنَّ في اللَّهف إلى جُودكَ وَالرِّضَا بقَضَائكَ عوَضاً منْ مَنْع الْبَاخلينَ وَمَنْدُوحَةً عَمَّا في أَيْدي الْمُسْتَأْثرينَ وَأَنَّ الرَّاحل إلَيْكَ قَريبُ الْمَسَافَة وَأَنَّكَ لا تَحْتَجبُ عَنْ خَلقكَ إلا إن تَحْجُبَهُمُ الأَعْمَالُ دُونَكَ».

* * *

(٥)

«وَقَدْ قَصَدْتُ إلَيْكَ بطَلبَتي وَتَوَجَّهْتُ إلَيْكَ بحَاجَتي وَجَعَلْتُ بكَ اسْتغَاثَتي وَبدُعَائكَ تَوَسُّلي منْ غَيْر اسْتحْقَاق لاسْتمَاعكَ منّي وَلا اسْتيجَاب لعَفْوكَ عَنّي بَل لثقَتي بكَرَمكَ وَسُكُوني إلى صدْق وَعْدكَ وَلَجَوئي إلَى الإيمَان بتَوْحيدكَ وَيَقيني [وَ ثقَتي] بمَعْرفَتكَ منّي إن لا رَبَّ لي غَيْرُكَ وَلا إله [لي] إلا أنت وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ».

* * *

(٦)

«اللَّهُمَّ أنت الْقَائلُ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَوَعْدُكَ صدْقٌ [الصّدْقُ] وَاسْأَلُوا اللَّهَ منْ فَضْله إنَّ اللَّهَ كَانَ بكُمْ رَحيما وَلَيْسَ منْ صفَاتكَ يَا سَيّدي إن تَأْمُرَ بالسُّؤَال وَتَمْنَعَ الْعَطيَّةَ وَأَنْتَ الْمَنَّانُ بالْعَطيَّات عَلى أَهْل مَمْلَكَتكَ وَالعَائدُ عَلَيْهمْ بتَحَنُّن رَأْفَتكَ [بحُسْن نعْمَتكَ]».

* * *

(٧)

«إلَهي رَبَّيْتَني في نعَمكَ وَإحْسَانكَ صَغيرا وَنَوَّهْتَ باسْمي كَبيرا فَيَا مَنْ رَبَّاني في الدُّنْيَا بإحْسَانه وَتَفَضُّله [بفَضْله] وَنعَمه وَأَشَارَ لي في الآخرَة إلى عَفْوه وَكَرَمه مَعْرفَتي يَا مَوْلايَ دَليلي [دَلَّتْني] عَلَيْكَ وَحُبّي لَكَ شَفيعي إلَيْكَ وَأَنَا وَاثقٌ منْ دَليلي بدَلالَتكَ وَسَاكنٌ منْ شَفيعي إلى شَفَاعَتكَ».

* * *

(٨)

«أَدْعُوكَ يَا سَيّدي بلسَان قَدْ أَخْرَسَهُ ذَنْبُهُ رَبّ أُنَاجيكَ بقَلْب قَدْ أَوْبَقَهُ جُرْمُهُ أَدْعُوكَ يَا رَبّ رَاهبا رَاغبا رَاجيا خَائفاً إذا رَأَيتُ مَوْلايَ ذُنوبي فَزعْتُ وَإذَا رَأَيتُ كَرَمَكَ طَمعْتُ فَإن

عَفَوْتَ فَخَيْرُ راحم وإِنْ عَذَّبْتَ فَغَيْرُ ظَالم حُجَّتي يَا اللَّهُ في جُرْأَتي عَلَى مَسْأَلَتكَ مَعَ إِتْيَاني مَا تَكْرَهُ جُودُكَ وكَرَمُكَ وَعُدَّتي في شدَّتي مَعَ قلة حَيَائي رَأْفَتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَقَدْ رَجَوْتُ إن لاَ تَخيبَ بَيْنَ ذَيْن وَذَيْن مُنْيَتي فَحَقِّقْ رَجَائي وَاسْمَعْ دُعَائي يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ».

* * *

(٩)

«عَظُمَ يَا سَيِّدي أَمَلي وَسَاءَ عَمَلي فَأَعْطني منْ عَفْوكَ بمقْدَار أَمَلي وَلا تُؤَاخذْني بأَسْوَإ عَمَلي فإن كَرَمَكَ يَجل عَنْ مُجَازَاة الْمُذْنبينَ وَحلْمَكَ يَكْبُرُ عَنْ مُكَافَاة الْمُقَصّرينَ وَأَنَا يَا سَيّدي عَائذ بفَضْلكَ هَاربٌ منْكَ إلَيْكَ مُتَنَجّزٌ مَا وَعَدْتَ منَ الصَّفْح عَمَّنْ أَحْسَنَ بكَ ظَنّا».

* * *

(١٠)

«وَمَا أَنَا يَا رَبّ وَمَا خَطَري هَبْني بفَضْلكَ وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بعَفْوكَ أَيْ رَبّ جَلّلْني بسَتْرِكَ وَاعْفُ عَنْ تَوْبيخي بكَرَم وَجْهكَ فلو اطَّلَعَ الْيَوْمَ عَلَى ذَنْبي غَيْرُكَ مَا فَعَلْتُهُ وَلَوْ خفْتُ تَعْجيلَ الْعُقُوبَة لاجْتَنَبْتُهُ لا لأَنَّكَ أَهْوَنُ النَّاظرينَ [إلَيَ] وَأَخَفُّ الْمُطَّلعينَ [عَلَيَ] بَلْ لأَنَّكَ يَا رَبّ خَيْرُ السَّاترينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكمينَ [وَ أَحْلَمُ الْأَحْلَمينَ] وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمينَ».

* * *

(١١)

«سَتَّارُ الْعُيُوب غَفَّارُ الذُّنوب عَلاَمُ الْغُيُوب تَسْتُرُ الذَّنْبَ بكَرَمكَ وَتُؤَخّرُ الْعُقُوبَةَ بحلْمكَ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى حلْمكَ بَعْدَ علْمكَ وَعَلَى عَفْوكَ بَعْدَ قُدْرَتكَ».

* * *

(١٢)

«وَيَحْملُني وَيُجَرّئُني عَلَى مَعْصيَتكَ حلْمُكَ عَنّي وَيَدْعُوني إلى قلَّة الْحَيَاء سَتْرُكَ عَلَيَّ وَيُسْرعُني إلى التَّوَثُّب عَلَى مَحَارمكَ مَعْرفَتي بسَعَة رَحْمَتكَ وَعَظيم عَفْوكَ يَا حَليمُ يَا كَريمُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا غَافرَ الذنب يَا قَابلَ التَّوْب يَا عَظيمَ الْمَنّ يَا قَديمَ الْإِحْسَان».

(١٣)

«أَيْنَ سَتْرُكَ الْجَمِيلُ أَيْنَ عَفْوُكَ الْجَلِيلُ أَيْنَ فَرَجُكَ الْقَرِيبُ أَيْنَ غِيَاثُكَ السَّرِيعُ أَيْنَ رَحْمَتُكَ الْوَاسِعَةُ أَيْنَ عَطَايَاكَ الْفَاضِلَةُ أَيْنَ مَوَاهِبُكَ الْهَنِيئَةُ أَيْنَ صَنَائِعُكَ السَّنِيَّةُ أَيْنَ فَضْلُكَ الْعَظِيمُ أَيْنَ مَنُّكَ الْجَسِيمُ أَيْنَ إِحْسَانُكَ الْقَدِيمُ أَيْنَ كَرَمُكَ يَا كَرِيمُ بِهِ [وَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ] فَاسْتَنْقِذْنِي وَبِرَحْمَتِكَ فَخَلِّصْنِي يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ يَا مُنْعِمُ يَا مُفْضِلُ».

* * *

(١٤)

«لَسْتُ أَتَّكِلُ فِي النَّجَاةِ مِنْ عِقَابِكَ عَلَى أَعْمَالِنَا بَلْ بِفَضْلِكَ عَلَيْنَا لأَنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ تُبْدِئُ بِالْإِحْسَانِ نِعَماً وَتَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ كَرَماً فَمَا نَدْرِي مَا نَشْكُرُ أَ جَمِيلَ مَا تَنْشُرُ أَمْ قَبِيحَ مَا تَسْتُرُ أَمْ عَظِيمَ مَا أَبْلَيْتَ وَأَوْلَيْتَ أَمْ كَثِيرَ مَا مِنْهُ نَجَّيْتَ وَعَافَيْتَ يَا حَبِيبَ مَنْ تَحَبَّبَ إِلَيْكَ وَيَا قُرَّةَ عَيْنِ مَنْ لاذَ بِكَ وَانْقَطَعَ إِلَيْكَ أَنْتَ الْمُحْسِنُ وَنَحْنُ الْمُسِيئُونَ فَتَجَاوَزْ يَا رَبِّ عَنْ قَبِيحِ مَا عِنْدَنَا بِجَمِيلِ مَا عِنْدَكَ وَأَيُّ جَهْلٍ يَا رَبِّ لا يَسَعُهُ جُودُكَ أَوْ أَيُّ زَمَانٍ أَطْوَلُ مِنْ أَنَاتِكَ وَمَا قَدْرُ أَعْمَالِنَا فِي جَنْبِ نِعَمِكَ وَكَيْفَ نَسْتَكْثِرُ أَعْمَالاً نُقَابِلُ بِهَا كَرَمَكَ [كَرَامَتَكَ] بَلْ كَيْفَ يَضِيقُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ مَا وَسِعَهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ».

* * *

(١٥)

«يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ فَوَ عِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي لَوْ نَهَرْتَنِي [انْتَهَرْتَنِي] مَا بَرِحْتُ مِنْ بَابِكَ وَلَا كَفَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ لِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَأَنْتَ الْفَاعِلُ لِمَا تَشَاءُ تُعَذِّبُ مَنْ تَشَاءُ بِمَا تَشَاءُ كَيْفَ تَشَاءُ وَتَرْحَمُ مَنْ تَشَاءُ بِمَا تَشَاءُ كَيْفَ تَشَاءُ لا تُسْأَلُ عَنْ فِعْلِكَ وَلا تُنَازَعُ فِي مُلْكِكَ وَلا تُشَارَكُ فِي أَمْرِكَ وَلا تُضَادُّ فِي حُكْمِكَ وَلا يَعْتَرِضُ عَلَيْكَ أَحَدٌ فِي تَدْبِيرِكَ لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

* * *

(١٦)

«يَا رَبّ هَذَا مَقَامُ مَنْ لاذَ بِكَ وَاسْتَجَارَ بِكَرَمِكَ وَأَلِفَ إِحْسَانَكَ وَنِعَمَكَ وَأَنْتَ الجَوَادُ الَّذِي لاَ يَضِيقُ عَفْوُكَ وَلا يَنْقُصُ فَضْلُكَ وَلا تَقِلُّ رَحْمَتُكَ وَقَدْ تَوَثَّقْنَا مِنْكَ بِالصَّفْحِ القَدِيمِ وَالفَضْلِ العَظِيمِ وَالرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ أَ فَتَرَاكَ [تُرَاكَ] يَا رَبّ تُخْلِفُ ظُنُونَنَا أَو تُخَيِّبُ آمَالَنَا كَلا يَا كَرِيمُ فَلَيْسَ هَذَا ظَنّنَا [ظَنُّنَا] بِكَ وَلا هَذَا فِيكَ طَمَعَنَا [طَمَعُنَا] يَا رَبّ إِنَّ لَنَا فِيكَ أَمَلا طَوِيلا كَثِيرا إِنَّ لَنَا فِيكَ رَجَاءً عَظِيما عَصَيْنَاكَ وَنَحْنُ نَرْجُو إِن تَسْتُرَ عَلَيْنَا وَدَعَوْنَاكَ وَنَحْنُ نَرْجُو إِن تَسْتَجِيبَ لَنَا فَحَقِّقْ رَجَاءَنَا مَوْلانَا فَقَدْ عَلِمْنَا مَا نَسْتَوْجِبُ بِأَعْمَالِنَا وَلَكِنْ عِلْمُكَ فِينَا وَعِلْمُنَا بِأَنَّكَ لا تَصْرِفُنَا عَنْكَ [حَثَّنَا عَلَى الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ] وَإِنْ كُنَّا غَيْرَ مُسْتَوْجِبِينَ لِرَحْمَتِكَ فَأَنْتَ أَهْلٌ إِن تَجُودَ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُذْنِبِينَ بِفَضْلِ سَعَتِكَ فَامْنُنْ عَلَيْنَا بِمَا أنت أَهْلُهُ وَجُدْ عَلَيْنَا فَإِنَّا مُحْتَاجُونَ إِلى نَيْلِكَ».

* * *

(١٧)

«يَا غَفَّارُ بِنُورِكَ اهْتَدَيْنَا وَبِفَضْلِكَ اسْتَغْنَيْنَا وَبِنِعْمَتِكَ [فِي نِعَمِكَ] أَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا ذُنُوبُنَا بَيْنَ يَدَيْكَ نَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ مِنْهَا وَنَتُوبُ إِلَيْكَ تَتَحَبَّبُ إِلَيْنَا بِالنِّعَمِ وَنُعَارِضُكَ بِالذُنُوبِ خَيْرُكَ إِلَيْنَا نَازِلٌ وَشَرُّنَا إِلَيْكَ صَاعِدٌ وَلَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ يَأْتِيكَ [عَنَّا] بِعَمَلٍ قَبِيحٍ فَلا يَمْنَعُكَ ذَلِكَ مِنْ إِن تَحُوطَنَا بِنِعَمِكَ وَتَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِآلائِكَ فَسُبْحَانَكَ مَا أَحْلَمَكَ وَأَعْظَمَكَ وَأَكْرَمَكَ مُبْدِئا وَمُعِيدا تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَكَرُمَ صَنَائِعُكَ وَفِعَالُكَ أنت إلهي أَوْسَعُ فَضْلا وَأَعْظَمُ حِلْما مِنْ إِن تُقَايِسَنِي بِفِعْلِي وَخَطِيئَتِي فَالعَفْوَ العَفْوَ العَفْوَ سَيِّدِي سَيِّدِي سَيِّدِي».

* * *

(١٨)

«اللَّهُمَّ اشْغَلْنَا بِذِكْرِكَ وَأَعِذْنَا مِنْ سَخَطِكَ وَأَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ وَارْزُقْنَا مِنْ مَوَاهِبِكَ وَأَنْعِمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَارْزُقْنَا حَجَّ بَيْتِكَ وَزِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَمَغْفِرَتُكَ وَرِضْوَانُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِنكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ وَارْزُقْنَا عَمَلا بِطَاعَتِكَ

وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا اجْزِهِمَا بِالإِحْسَانِ إِحْسَانا وَبِالسَّيِّئَاتِ غُفْرَانا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ وَتَابِعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالْخَيْرَاتِ [فِي الْخَيْرَاتِ]».

* * *

(١٩)

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا [إِنَاثِنَا] صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا حُرِّنَا وَمَمْلُوكِنَا كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ وَضَلُّوا ضَلالا بَعِيدا وَخَسِرُوا خُسْرَانا مُبِينا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاخْتِمْ لِي بِخَيْرٍ وَاكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي مِنْ أَمْرِ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي وَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لا يَرْحَمُنِي وَاجْعَلْ عَلَيَّ مِنْكَ وَاقِيَةً بَاقِيَةً وَلا تَسْلُبْنِي صَالِحَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ وَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ رِزْقا وَاسِعا حَلالا طَيِّبا».

* * *

(٢٠)

«اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِحَرَاسَتِكَ وَاحْفَظْنِي بِحِفْظِكَ وَاكْلأْنِي بِكِلاءَتِكَ وَارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ فِي عَامِنَا هَذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ وَزِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ وَالأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَلا تُخْلِنِي يَا رَبِّ مِنْ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الشَّرِيفَةِ وَالْمَوَاقِفِ الْكَرِيمَةِ اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيَّ حَتَّى لا أَعْصِيَكَ وَأَلْهِمْنِي الْخَيْرَ وَالْعَمَلَ بِهِ وَخَشْيَتَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَا أَبْقَيْتَنِي يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ».

* * *

(٢١)

«اللَّهُمَّ إِنِّي كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ وَتَعَبَّأْتُ [تَعَبَّيْتُ] وَقُمْتُ لِلصَّلاةِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَنَاجَيْتُكَ أَلْقَيْتَ عَلَيَّ نُعَاسا إِذَا أَنَا صَلَّيْتُ وَسَلَبْتَنِي مُنَاجَاتَكَ إِذَا أَنَا نَاجَيْتُ مَا لِي كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ صَلَحَتْ سَرِيرَتِي وَقَرُبَ مِنْ مَجَالِسِ التَّوَّابِينَ مَجْلِسِي عَرَضَتْ لِي بَلِيَّةٌ أَزَالَتْ قَدَمِي وَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ خِدْمَتِكَ سَيِّدِي لَعَلَّكَ عَنْ بَابِكَ طَرَدْتَنِي وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَنِي أَو لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخِفّا بِحَقِّكَ فَأَقْصَيْتَنِي أَو لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرِضا عَنْكَ فَقَلَيْتَنِي أَو لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقَامِ الكَاذِبِينَ [الْكَذَّابِينَ]

فَرَفَضْتَني أو لَعَلَّكَ رَأَيْتَني غَيْرَ شَاكرٍ لنَعْمَائكَ فَحَرَمْتَني أو لَعَلَّكَ فَقَدْتَني منْ مَجَالس الْعُلَمَاء فَخذَلْتَني أو لَعَلَّكَ رَأَيْتَني في الغَافلينَ فَمنْ رَحْمَتكَ آيَسْتَني أو لَعَلَّكَ رَأَيْتَني آلفَ مَجَالس البَطَّالينَ فَبَيْني وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَني أو لَعَلَكَ لَمْ تحبَّ إن تَسْمَعَ دُعَائي فَبَاعَدْتَني أو لَعَلَّكَ بجُرْمي وَجَريرَتي كَافَيْتَني أو لَعَلَكَ بقلة حَيَائي منْكَ جَازَيْتَني فإن عَفَوْتَ يَا رَبّ فطَالَمَا عَفَوْتَ عَن المُذنبينَ قَبْلي لأَنَّ كَرَمَكَ أَيْ رَبِّ يَجل عَنْ مُكَافَاة الْمُقَصّرينَ وَأَنَا عَائذٌ بفَضْلكَ هَاربٌ منْكَ إلَيْكَ مُتَنَجّزٌ [مُنْتَجزٌ] مَا وَعَدْتَ منَ الصَّفْح عَمَّنْ أَحْسَنَ بكَ ظَنّاً».

* * *

(٢٢)

«إلَهي أنت أَوْسَعُ فَضْلا وَأَعْظَمُ حلْما منْ إن تُقَايسَني بعَمَلي أو إن تَسْتَزلَّني بخَطيئَتي وَمَا أَنَا يَا سَيّدي وَمَا خَطَري هَبْني بفَضْلكَ سَيّدي وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بعَفْوك وَجَلّلني بسَتْرك وَاعْفُ عَنْ تَوْبيخي بكَرَم وَجْهكَ سَيّدي أَنَا الصَّغيرُ الذي رَبَّيْتَهُ وَأَنَا الجَاهل الذي عَلَّمْتَهُ وَأَنَا الضال الذي هَدَيْتَهُ وَأَنَا الْوَضيعُ الذي رَفَعْتَهُ وَأَنَا الْخَائفُ الذي آمَنْتَهُ وَالْجَائعُ الذي أَشْبَعْتَهُ وَالعَطْشَانُ الذي أَرْوَيْتَهُ وَالعَاري الذي كَسَوْتَهُ وَالفَقيرُ الذي أَغْنَيْتَهُ وَالضعيفُ الذي قَوَّيْتَهُ وَالذَّليل الذي أَعْزَزتَهُ وَالسَّقيمُ الذي شَفَيْتَهُ وَالسَّائل الذي أَعْطَيْتَهُ وَالْمُذنبُ الَّذي سَتَرْتَهُ وَالخَاطئُ الذي أَقَلْتَهُ وَأَنَا القَليلُ الَّذي كَثَّرْتَهُ وَالْمُسْتَضْعَفُ الذي نَصَرْتَهُ وَأَنَا الطَّريدُ الَّذي آوَيْتَهُ أَنَا يَا رَبّ الَّذي لَمْ أَسْتَحْيكَ في الْخَلاء وَلَمْ أُرَاقبْكَ في المَلَإ أَنَا صَاحبُ الدَّوَاهي العُظْمَى أَنَا الَّذي عَلَى سَيّده اجْتَرَى أَنَا الَّذي عَصَيْتُ جَبَّارَ السَّمَاء أَنَا الَّذي أَعْطَيْتُ عَلَى مَعَاصي الجَليل [الْمَعَاصي جَليل] الرُّشَا أَنَا الَّذي حينَ بُشّرْتُ بهَا خَرَجْتُ إليها أَسْعَى أَنَا الَّذي أَمْهَلْتَني فَمَا ارْعَوَيْتُ وَسَتَرْتَ عَلَيَّ فَمَا اسْتَحْيَيْتُ وَعَملْتُ [عَلمْتُ] بالْمَعَاصي فَتَعَدَّيْتُ وَأَسْقَطْتَني منْ عَيْنكَ [عنْدكَ] فَمَا بَاليْتُ فَبحلمكَ أَمْهَلْتَني وَبسَتْرك سَتَرْتَني حَتَّى كَأَنَّكَ أَغْفَلْتَني وَمنْ عُقُوبَات الْمَعَاصي جَنَّبْتَني حَتَّى كَأَنَّكَ اسْتَحْيَيْتَني».

* * *

(٢٣)

«إلَهي لَمْ أَعْصِكَ حينَ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَاحِدٌ وَلا بِأَمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ وَلا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ وَلَا لوَعِيدِكَ مُتَهَاوِنٌ لَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وَغَلَبَنِي هَوَايَ وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا شِقْوَتِي وَغَرَّنِي سِتْرُكَ الْمُرْخَى عَلَيَّ فَقَدْ عَصَيْتُكَ وَخَالَفْتُكَ بِجُهْدِي فَالآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي وَمِنْ أَيْدِي الْخُصَمَاءِ غَداً مَنْ يُخَلِّصُنِي وَبِحَبْلِ مَنْ أَتَّصِلُ إِن أَنْتَ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي».

* * *

(٢٤)

«فَوَا سَوْأَتَا عَلَى مَا أَحْصَى كِتَابُكَ مِنْ عَمَلِيَ الَّذِي لَوْ لا مَا أَرْجُو مِنْ كَرَمِكَ وَسَعَةِ رَحْمَتِكَ وَنَهْيِكَ إِيَّايَ عَنِ الْقُنُوطِ لَقَنَطْتُ عِنْدَ مَا أَتَذَكَّرُهَا يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ».

* * *

(٢٥)

«اللَّهُمَّ بِذِمَّةِ الإسلام أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ وَبِحُرْمَةِ الْقُرْآنِ أَعْتَمِدُ إِلَيْكَ وَبِحُبِّي النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الْقُرَشِيَّ الْهَاشِمِيَّ الْعَرَبِيَّ التِّهَامِيَّ الْمَكِّيَّ الْمَدَنِيَّ أَرْجُو الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ فَلا تُوحِشْ اسْتِينَاسَ إِيمَانِي وَلا تَجْعَل ثَوَابِي ثَوَابَ مَنْ عَبَدَ سِوَاكَ فَإِن قَوْماً آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَحْقُنُوا بِهِ دِمَاءَهُمْ فَأَدْرَكُوا مَا أَمَّلُوا وَإِنَّا آمَنَّا بِكَ بِأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا لِتَعْفُوَ عَنَّا فَأَدْرِكْنَا [فَأَدْرِكْ بِنَا] مَا أَمَّلْنَا وَثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي صُدُورِنَا وَلا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنت الْوَهَّابُ فَوَ عِزَّتِكَ لَو انْتَهَرْتَنِي مَا بَرِحْتُ مِنْ بَابِكَ وَلا كَفَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ لِمَا أُلْهِمَ قَلْبِي [يَا سَيِّدِي] مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِكَرَمِكَ وَسَعَةِ رَحْمَتِكَ إِلى مَنْ يَذْهَبُ الْعَبْدُ إِلا إِلى مَوْلاهُ وَإِلى مَنْ يَلْتَجِئُ الْمَخْلُوقُ إِلا إِلى خَالِقِهِ».

* * *

(٢٦)

«إِلَهِي لَوْ قَرَنْتَنِي بِالأَصْفَادِ وَمَنَعْتَنِي سَيْبَكَ مِنْ بَيْنِ الأَشْهَادِ وَدَلَلْتَ عَلَى فَضَائِحِي عُيُونَ الْعِبَادِ وَأَمَرْتَ بِي إِلى النَّارِ وَحُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الأَبْرَارِ مَا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْكَ وَمَا صَرَفْتُ تَأْمِيلِي لِلعَفْوِ عَنْكَ وَلا خَرَجَ حُبُّكَ مِنْ قَلْبِي أَنَا لا أَنْسَى أَيَادِيَكَ عِنْدِي وَسَتْرَكَ عَلَيَّ فِي دَارِ الدُّنْيَا».

(٢٧)

«سَيِّدي أَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِي وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ خِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَانْقُلْنِي إِلى دَرَجَةِ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ وَأَعِنِّي بِالْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِي فَقَدْ أَفْنَيْتُ بِالتَّسْوِيفِ وَالآمَالِ عُمُرِي وَقَدْ نَزَلْتُ مَنْزِلَةَ الآيِسِينَ مِنْ خَيْرِي [حَيَاتِي] فَمَنْ يَكُونُ أَسْوَأَ حَالاً مِنِّي إِن أَنَا نُقِلْتُ عَلَى مِثْلِ حَالِي إِلى قَبْرِي [قَبْرٍ] لَمْ أُمَهِّدْهُ لِرَقْدَتِي وَلَمْ أَفْرُشْهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ لِضَجْعَتِي وَمَا لِي لا أَبْكِي وَلا أَدْرِي إِلى مَا يَكُونُ مَصِيرِي وَأَرَى نَفْسِي تُخَادِعُنِي وَأَيَّامِي تُخَاتِلُنِي وَقَدْ خَفَقَتْ عِنْدَ [فَوْقَ] رَأْسِي أَجْنِحَةُ المَوْتِ فَمَا لِي لا أَبْكِي أَبْكِي لِخُرُوجِ نَفْسِي أَبْكِي لِظُلْمَةِ قَبْرِي أَبْكِي لِضِيقِ لَحْدِي أَبْكِي لِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِيَّايَ أَبْكِي لِخُرُوجِي مِنْ قَبْرِي عُرْيَانًا ذَلِيلا حَامِلا ثِقْلِي عَلى ظَهْرِي أَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يَمِينِي وَأُخْرَى عَنْ شِمَالِي إِذِ الخَلائِقُ فِي شَأْنٍ غَيْرِ شَأْنِي لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ وَذِلَّةٌ».

* * *

(٢٨)

«سَيِّدي عَلَيْكَ مُعَوَّلِي وَمُعْتَمَدِي وَرَجَائِي وَتَوَكُّلِي وَبِرَحْمَتِكَ تَعَلُّقِي تُصِيبُ بِرَحْمَتِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي بِكَرَامَتِكَ مَنْ تُحِبُّ فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا نَقَّيْتَ مِنَ الشِّرْكِ قَلبِي وَلَكَ الحَمْدُ عَلى بَسْطِ لِسَانِي أَ فَبِلِسَانِي هَذَا الْكَالِّ أَشْكُرُكَ أَمْ بِغَايَةِ جُهْدِي [جَهْدِي] فِي عَمَلِي أُرْضِيكَ وَمَا قَدْرُ لِسَانِي يَا رَبِّ فِي جَنْبِ شُكْرِكَ وَمَا قَدْرُ عَمَلِي فِي جَنْبِ نِعَمِكَ وَإِحْسَانِكَ [إِلَيَّ]».

* * *

(٢٩)

«إِلَهِي إِنَّ [إِلا أَنَّ] جُودَكَ بَسَطَ أَمَلِي وَشُكْرَكَ قَبِلَ عَمَلِي سَيِّدِي إِلَيْكَ رَغْبَتِي وَإِلَيْكَ [مِنْكَ] رَهْبَتِي وَإِلَيْكَ تَأْمِيلِي وَقَدْ سَاقَنِي إِلَيْكَ أَمَلِي وَعَلَيْكَ [إِلَيْكَ] يَا وَاحِدِي عَكَفَتْ [عَلِقَتْ] هِمَّتِي وَفِيمَا عِنْدَكَ انْبَسَطَتْ رَغْبَتِي وَلَكَ خَالِصُ رَجَائِي وَخَوْفِي وَبِكَ أَنِسَتْ مَحَبَّتِي وَإِلَيْكَ أَلْقَيْتُ بِيَدِي وَبِحَبْلِ طَاعَتِكَ مَدَدْتُ رَهْبَتِي [يَا] مَوْلايَ

بِذِكْرِكَ عَاشَ قَلْبِي وَبِمُنَاجَاتِكَ بَرَّدْتُ أَلَمَ الْخَوْفِ عَنِّي فَيَا مَوْلايَ وَيَا مُؤَمَّلِي وَيَا مُنْتَهَى سُؤْلِي فَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ ذَنْبِيَ الْمَانِعِ لِي مِنْ لُزُومِ طَاعَتِكَ فَإِنَّمَا أَسْأَلُكَ لِقَدِيمِ الرَّجَاءِ فِيكَ وَعَظِيمِ الطَّمَعِ مِنْكَ الَّذِي أَوْجَبْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ».

* * *

(٣٠)

«فَالأَمْرُ لَكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُكَ وَفِي قَبْضَتِكَ وَكُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَكَ تَبَارَكْتَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ».

إِلَهِي ارْحَمْنِي إِذَا انْقَطَعَتْ حُجَّتِي وَكَلَّ عَنْ جَوَابِكَ لِسَانِي وَطَاشَ عِنْدَ سُؤَالِكَ إِيَّايَ لُبِّي فَيَا عَظِيمَ رَجَائِي لا تُخَيِّبْنِي إِذَا اشْتَدَّتْ فَاقَتِي وَلا تَرُدَّنِي لِجَهْلِي وَلا تَمْنَعْنِي لِقِلَّةِ صَبْرِي أَعْطِنِي لِفَقْرِي وَارْحَمْنِي لِضَعْفِي سَيِّدِي عَلَيْكَ مُعْتَمَدِي وَمُعَوَّلِي وَرَجَائِي وَتَوَكُّلِي وَبِرَحْمَتِكَ تَعَلُّقِي وَبِفِنَائِكَ أَحُطُّ رَحْلِي وَبِجُودِكَ أَقْصِدُ [أَقْصُرُ] طَلِبَتِي وَبِكَرَمِكَ أَيْ رَبِّ أَسْتَفْتِحُ دُعَائِي وَلَدَيْكَ أَرْجُو فَاقَتِي [ضَيَاقَتِي] وَبِغِنَاكَ أَجْبُرُ عَيْلَتِي وَتَحْتَ ظِلِّ عَفْوِكَ قِيَامِي وَإِلَى جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَرْفَعُ بَصَرِي وَإِلَى مَعْرُوفِكَ أُدِيمُ نَظَرِي فَلا تُحْرِقْنِي بِالنَّارِ وَأَنْتَ مَوْضِعُ أَمَلِي وَلا تُسْكِنِّي الْهَاوِيَةَ فَإِنَّكَ قُرَّةُ عَيْنِي يَا سَيِّدِي لا تُكَذِّبْ ظَنِّي بِإِحْسَانِكَ وَمَعْرُوفِكَ فَإِنَّكَ ثِقَتِي وَلا تَحْرِمْنِي ثَوَابَكَ فَإِنَّكَ الْعَارِفُ بِفَقْرِي إِلَهِي إِنْ كَانَ قَدْ دَنَا أَجَلِي وَلَمْ يُقَرِّبْنِي مِنْكَ عَمَلِي فَقَدْ جَعَلْتُ الاعْتِرَافَ إِلَيْكَ بِذَنْبِي وَسَائِلَ عِلَلِي.

إِلَهِي إِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِالْعَفْوِ وَإِنْ عَذَّبْتَ فَمَنْ أَعْدَلُ مِنْكَ فِي الْحُكْمِ ارْحَمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غُرْبَتِي وَعِنْدَ الْمَوْتِ كُرْبَتِي وَفِي الْقَبْرِ وَحْدَتِي وَفِي اللَّحْدِ وَحْشَتِي وَإِذَا نُشِرْتُ لِلْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيْكَ ذُلَّ مَوْقِفِي وَاغْفِرْ لِي مَا خَفِيَ عَلَى الآدَمِيِّينَ مِنْ عَمَلِي وَأَدِمْ لِي مَا بِهِ سَتَرْتَنِي وَارْحَمْنِي صَرِيعاً عَلَى الْفِرَاشِ تُقَلِّبُنِي أَيْدِي أَحِبَّتِي وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ مَمْدُوداً عَلَى الْمُغْتَسَلِ يُقَلِّبُنِي [يُغَسِّلُنِي] صَالِحُ جِيرَتِي وَتَحَنَّنْ عَلَيَّ مَحْمُولاً قَدْ تَنَاوَلَ الأَقْرِبَاءُ أَطْرَافَ جَنَازَتِي وَجُدْ عَلَيَّ مَنْقُولاً قَدْ نَزَلْتُ بِكَ وَحِيداً فِي حُفْرَتِي وَارْحَمْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الْجَدِيدِ غُرْبَتِي حَتَّى لا أَسْتَأْنِسَ بِغَيْرِكَ.

يَا سَيِّدِي إن وكَلْتَنِي إلى نَفْسِي هَلَكْتُ سَيِّدِي فَبِمَنْ أَسْتَغِيثُ إن لَمْ تُقِلْنِي عَثْرَتِي فَإِلى مَنْ أَفْزَعُ إن فَقَدْتُ عِنَايَتَكَ فِي ضَجْعَتِي وَإِلَى مَنْ أَلْتَجِئُ إن لَمْ تُنَفِّسْ كُرْبَتِي سَيِّدِي مَنْ لِي وَمَنْ يَرْحَمُنِي إن لَمْ تَرْحَمْنِي وَفَضْلَ مَنْ أُؤَمِّلُ إن عَدِمْتُ فَضْلَكَ يَوْمَ فَاقَتِي وَإِلى مَن الفِرَارُ مِنَ الذنوب إذا انقضى أَجَلِي سَيِّدِي لا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ.

إلهِي [اللَّهُمَ] حَقِّقْ رَجَائِي وَآمِنْ خَوْفِي فَإِن كَثْرَةَ ذُنُوبِي لا أَرْجُو فِيهَا [لَهَا] إلا عَفْوَكَ سَيِّدِي أَنَا أَسْأَلُكَ مَا لا أَسْتَحِقُّ وَأَنْتَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ فَاغْفِرْ لِي وَأَلْبِسْنِي مِنْ نَظَرِكَ ثَوْبًا يُغَطِّي عَلَيَّ التَّبِعَاتِ وَتَغْفِرُهَا لِي وَلا أُطَالَبُ بِهَا إِنَّكَ ذُو مَنٍّ قَدِيمٍ وَصَفْحٍ عَظِيمٍ وَتَجَاوُزٍ كَرِيمٍ.

إلهِي أَنت الَّذِي تُفِيضُ سَيْبَكَ عَلَى مَنْ لا يَسْأَلُكَ وَعَلَى الْجَاحِدِينَ بِرُبُوبِيَّتِكَ فَكَيْفَ سَيِّدِي بِمَنْ سَأَلَكَ وَأَيْقَنَ أَنَّ الْخَلْقَ لَكَ وَالأَمْرَ إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ سَيِّدِي عَبْدُكَ بِبَابِكَ أَقَامَتْهُ الْخَصَاصَةُ بَيْنَ يَدَيْكَ يَقْرَعُ بَابَ إِحْسَانِكَ بِدُعَائِهِ [وَيَسْتَعْطِفُ جَمِيلَ نَظَرِكَ بِمَكْنُونِ رَجَائِكَ] فَلا تُعْرِضْ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ عَنِّي وَاقْبَلْ مِنِّي مَا أَقُولُ فَقَدْ دَعَوْتُ [دَعَوْتُكَ] بِهَذَا الدُّعَاءِ وَأَنَا أَرْجُو إن لا تَرُدَّنِي مَعْرِفَةً مِنِّي بِرَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ.

إلهِي أَنتَ الَّذِي لا يُحْفِيكَ سَائِلٌ وَلا يَنْقُصُكَ نَائِلٌ أَنت كَمَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا نَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صَبْرًا جَمِيلا وَفَرَجًا قَرِيبًا وَقَوْلا صَادِقًا وَأَجْرًا عَظِيمًا أَسْأَلُكَ يَا رَبِّ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ يَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ وَأَجْوَدَ مَنْ أَعْطَى أَعْطِنِي سُؤْلِي فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَالِدَيَّ وَوُلْدِي [وَلَدِي] وَأَهْلِ حُزَانَتِي وَإِخْوَانِي فِيكَ [وَ] أَرْغِدْ عَيْشِي وَأَظْهِرْ مُرُوَّتِي وَأَصْلِحْ جَمِيعَ أَحْوَالِي وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ أَطَلْتَ عُمُرَهُ وَحَسَّنْتَ عَمَلَهُ وَأَتْمَمْتَ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ وَرَضِيتَ عَنْهُ وَأَحْيَيْتَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي أَدْوَمِ السُّرُورِ وَأَسْبَغِ الْكَرَامَةِ وَأَتَمِّ الْعَيْشِ إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَلا تَفْعَلُ [يَفْعَلُ] مَا يَشَاءُ غَيْرُكَ.

اللَّهُمَّ خُصَّنِي مِنْكَ بِخَاصَّةِ ذِكْرِكَ وَلا تَجْعَلْ شَيْئًا مِمَّا أَتَقَرَّبُ بِهِ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ رِيَاءً وَلا سُمْعَةً وَلا أَشَرًا وَلا بَطَرًا وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْخَاشِعِينَ.

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي السَّعَةَ فِي الرِّزْقِ وَالْأَمْنَ فِي الْوَطَنِ وَقُرَّةَ الْعَيْنِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالْمُقَامَ فِي نِعَمِكَ عِنْدِي وَالصِّحَّةَ فِي الْجِسْمِ وَالْقُوَّةَ فِي الْبَدَنِ وَالسَّلامَةَ فِي الدِّينِ وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبَداً مَا اسْتَعْمَرْتَنِي وَاجْعَلْنِي مِنْ أَوْفَرِ عِبَادِكَ عِنْدَكَ نَصِيبا فِي كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ وَتُنْزِلُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَنْتَ مُنْزِلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ رَحْمَةٍ تَنْشُرُهَا وَعَافِيَةٍ تُلبِسُهَا وَبَلِيَّةٍ تَدْفَعُهَا وَحَسَنَاتٍ تَتَقَبَّلُهَا وَسَيِّئَاتٍ تَتَجَاوَزُ عَنْهَا وَارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ فِي عَامِنَا [عَامِي] هَذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ وَارْزُقْنِي رِزْقا وَاسِعا مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ وَاصْرِفْ عَنِّي يَا سَيِّدِي الْأَسْوَاءَ وَاقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَالظُّلامَاتِ حَتَّى لا أَتَأَذَّى بِشَيْءٍ مِنْهُ وَخُذْ عَنِّي بِأَسْمَاعِ وَأَبْصَارِ أَعْدَائِي وَحُسَّادِي وَالْبَاغِينَ عَلَيَّ وَانْصُرْنِي عَلَيْهِمْ وَأَقِرَّ عَيْنِي [وَ حَقِّقْ ظَنِّي] وَفَرِّحْ قَلْبِي وَاجْعَلْ لِي مِنْ هَمِّي وَكَرْبِي فَرَجا وَمَخْرَجا وَاجْعَلْ مَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ تَحْتَ قَدَمَيَّ وَاكْفِنِي شَرَّ الشَّيْطَانِ وَشَرَّ السُّلْطَانِ وَسَيِّئَاتِ عَمَلِي وَطَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا وَأَجِرْنِي مِنَ النَّارِ بِعَفْوِكَ وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ وَزَوِّجْنِي مِنَ الْحُورِ الْعِينِ بِفَضْلِكَ وَأَلْحِقْنِي بِأَوْلِيَائِكَ الصَّالِحِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَبْرَارِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَجْسَادِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ لَئِنْ طَالَبْتَنِي بِذُنُوبِي لَأُطَالِبَنَّكَ بِعَفْوِكَ وَلَئِنْ طَالَبْتَنِي بِلُؤْمِي لَأُطَالِبَنَّكَ بِكَرَمِكَ وَلَئِنْ أَدْخَلْتَنِي النَّارَ لَأُخْبِرَنَّ أَهْلَ النَّارِ بِحُبِّي لَكَ إِلَهِي وَسَيِّدِي إِنْ كُنْتَ لا تَغْفِرُ إِلا لِأَوْلِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ فَإِلَى مَنْ يَفْزَعُ الْمُذْنِبُونَ وَإِنْ كُنْتَ لا تُكْرِمُ إِلا أَهْلَ الْوَفَاءِ بِكَ فَبِمَنْ يَسْتَغِيثُ الْمُسِيئُونَ إِلَهِي إِنْ أَدْخَلْتَنِي النَّارَ فَفِي ذَلِكَ سُرُورُ عَدُوِّكَ وَإِنْ أَدْخَلْتَنِي الْجَنَّةَ فَفِي ذَلِكَ سُرُورُ نَبِيِّكَ وَأَنَا وَاللهِ أَعْلَمُ أَنَّ سُرُورَ نَبِيِّكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ سُرُورِ عَدُوِّكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِنْ تَمْلَأَ قَلْبِي حُبّا لَكَ وَخَشْيَةً مِنْكَ وَتَصْدِيقا بِكِتَابِكَ وَإِيمَانا بِكَ وَفَرَقا مِنْكَ وَشَوْقا إِلَيْكَ يَا ذَا الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ حَبِّبْ إِلَيَّ لِقَاءَكَ وَأَحْبِبْ لِقَائِي وَاجْعَلْ لِي فِي لِقَائِكَ الرَّاحَةَ وَالْفَرَجَ وَالْكَرَامَةَ اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِصَالِحِ مَنْ مَضَى وَاجْعَلْنِي مِنْ صَالِحِ مَنْ بَقِيَ وَخُذْ بِي سَبِيلَ الصَّالِحِينَ وَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِي بِمَا تُعِينُ بِهِ الصَّالِحِينَ

عَلى أَنْفُسِهِمْ وَاخْتِمْ عَمَلي بِأَحْسَنِهِ وَاجْعَلْ ثَوابي مِنْهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ وَأَعِنّي عَلى صَالِحِ مَا أَعْطَيْتَني وَثَبِّتْني يَا رَبِّ وَلا تَرُدَّني في سُوءٍ اسْتَنْقَذْتَني مِنْهُ يَا رَبَّ الْعَالَمينَ.

اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ إِيمَانا لا أَجَلَ لَهُ دُونَ لِقَائِكَ أَحْيِني مَا أَحْيَيْتَني عَلَيْهِ وَتَوَفَّني إِذا تَوَفَّيْتَني عَلَيْهِ وَابْعَثْني إِذا بَعَثْتَني عَلَيْهِ وَأَبْرِئْ قَلْبي مِنَ الرِّيَاءِ وَالشَّكِّ وَالسُّمْعَةِ في دِينِكَ حَتّى يَكُونَ عَمَلي خَالِصا لَكَ.

اللّهُمَّ أَعْطِني بَصيرَةً في دِينِكَ وَفَهْما في حُكْمِكَ وَفِقْها في عِلْمِكَ وَكِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِكَ وَوَرَعا يَحْجُزُني عَنْ مَعَاصِيكَ وَبَيِّضْ وَجْهي بِنُورِكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتي فيمَا عِنْدَكَ وَتَوَفَّني في سَبيلِكَ وَعَلى مِلَّةِ رَسُولِكَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْفَشَلِ وَالْهَمِّ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ [وَ الذِّلَّةِ] وَالْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَكُلِّ بَلِيَّةٍ وَالْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تَقْنَعُ وَبَطْنٍ لا يَشْبَعُ وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ وَعَمَلٍ لا يَنْفَعُ وَأَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ عَلى نَفْسي وَديني وَمَالي وَعَلى جَميعِ مَا رَزَقْتَني مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجيمِ إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ الْعَليمُ اللّهُمَّ إِنَّهُ لا يُجيرُني مِنْكَ أَحَدٌ وَلا أَجِدُ مِنْ دُونِكَ مُلْتَحَدا فَلا تَجْعَلْ نَفْسي في شَيْءٍ مِنْ عَذابِكَ وَلا تَرُدَّني بِهَلَكَةٍ وَلا تَرُدَّني بِعَذَابٍ أَليمٍ اللّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنّي وَأَعْلِ [كَعْبي وَ] ذِكْري وَارْفَعْ دَرَجَتي وَحُطَّ وِزْري وَلا تَذْكُرْني بِخَطيئَتي وَاجْعَلْ ثَوابَ مَجْلِسي وَثَوابَ مَنْطِقي وَثَوابَ دُعَائي رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ وَأَعْطِني يَا رَبِّ جَميعَ مَا سَأَلْتُكَ وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ إِنّي إِلَيْكَ رَاغِبٌ يَا رَبَّ الْعَالَمينَ اللّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ في كِتَابِكَ [الْعَفْوَ وَأَمَرْتَنَا] إِنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنَا وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ عَنّا فَإِنَّكَ أَوْلى بِذلِكَ مِنّا وَأَمَرْتَنَا إِنْ لا نَرُدَّ سَائِلا عَنْ أَبْوَابِنَا وَقَدْ جِئْتُكَ سَائِلا فَلا تَرُدَّني إِلا بِقَضَاءِ حَاجَتي وَأَمَرْتَنَا بِالإِحْسَانِ إِلى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا وَنَحْنُ أَرِقَّاؤُكَ فَأَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ يَا مَفْزَعي عِنْدَ كُرْبَتي وَيَا غَوْثي عِنْدَ شِدَّتي إِلَيْكَ فَزِعْتُ وَبِكَ اسْتَغَثْتُ وَلُذْتُ لا أَلُوذُ بِسِوَاكَ وَلا أَطْلُبُ الْفَرَجَ إِلا مِنْكَ فَأَغِثْني وَفَرِّجْ عَنّي يَا مَنْ يَفُكُّ الأَسيرَ [يَقْبَلُ الْيَسيرَ] وَيَعْفُو عَنِ الْكَثيرِ اقْبَلْ مِنّي الْيَسيرَ وَاعْفُ عَنّي الْكَثيرَ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحيمُ الْغَفُورُ اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ إِيمَانا تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبي وَيَقينا [صَادِقا] حَتّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصيبَني إِلا مَا كَتَبْتَ لي وَرَضِّني مِنَ الْعَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ».

المحاضرة الأولى:

التربية الإلهيّة للإنسان

«إِلَهِي لا تُؤَدّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ، وَلا تَمْكُرْ بِي فِي حِيلَتِكَ، مِنْ أَيْنَ لِيَ الْخَيْرُ يَا رَبّ وَلا يُوجَدُ إلا مِنْ عِنْدِكَ، وَمِنْ أَيْنَ لِيَ النَّجَاةُ وَلا تُسْتَطَاعُ إِلاّ بِكَ».

نحـن فـي مطلـع شـهر رمضـان المبـارك، وقـد أعـددنا برنامجـاً لهـذا الشـهر الكـريم يتضـمن شـرح دعـاء أبـي حمـزة الثمـالي للإمـام زيـن العابـدين (عليـه أفضـل الصلاة والسلام).

من هو أبو حمزة الثمالي؟

كـان أبـو حمـزة الثمـالي أحـد أصـحاب الإمـام السـجاد والإمـام البـاقر والإمـام الصـادق والإمـام الكـاظم عليهم السلام، أي إنّ هـذا الإنسـان الجليـل عاصـر أربعـة مـن الأئمّـة الأطهـار، واسـمه ثابت بـن دينـار، وقـد ورد فـي فضـل هـذا الإنسـان عـن الإمـام الصـادق عليه السلام أنّ أبـا حمـزة فـي زمانـه مثـل سـلمان فـي زمانـه، وكـان مـن الفقهـاء والـرواة،[1] ولـه روايـات فـي فقـه أهـل البيت، وقـد سُـمي هـذا الـدعاء بـدعاء أبـي حمـزة الثمـالي نسـبة إلـى هـذا الـراوي، وكـان إمامنـا السـجاد عليه السلام ملتزمـاً بقراءة هذا الدعاء في السحر من ليالي شهر رمضان المبارك.[2]

أهمية الدعاء:

إنّ أدعيتنـا الـواردة عـن أهـل البيـت عليهم السلام هـي مدرسـة فـي المعرفـة الأخلاقيـة والتربويـة والعلاقـات الاجتماعيـة وأحيانـاً العلاقـات والأهـداف السياسـية للانسـان كالـدعاء بـالحج والـدعاء بالقتـل فـي سـبيل الله، وهـو مـن أسـرار الأدعيـة ومـن العطـاءات العظيمـة لمدرسـة الـدعاء، ففـي مقطـع مـن مقـاطع أدعيـة

---

(١) رجال النجاشي: ١١٥ / ٢٩٦.

(٢) روى أبـو حمـزة الثمـالي قـال: كـان علـي بـن الحسـين سـيد العابـدين صـلوات الله عليهمـا يصـلي عامـة الليـل فـي شـهر رمضـان، فـإذا كـان السـحر دعـا بهـذا الـدعاء... أنظـر مصـباح المتهجد للطوسي: ٨٥٢ ح ٦٩١ / ٦٧.

شهر رمضان المبارك وفي كل ليلة يقول عليه السلام: «وأن تجعل وفاتي قتلاً في سبيلك»[١] وهكذا يقول الدعاء «وتقتل بي أعداءك»[٢] هذا الأمر موجود في مدرسة أهل البيت وغير موجود في بقية المدارس بهذا الشكل من السعة والعمق وهذه هي تربية الأدعية، يعني يطلب الداعي أن يُقتل في سبيل الله ويقتل أعداءه.

إلهي لا تؤدّبني بعقوبتك...:

يوجد فرق بين كلمة (إلهي) وبين كلمة (يا الله) وكلمة (اللهم) فكلمة (يا إلهي) تعطي حساً وذوقاً لا تعطيه كلمة (يا الله) وفي كلمة إلهي إحساس بنوع من الارتباط والعلاقة القريبة جداً، ونجد هذه الكلمة في دعاء الإمام علي عليه السلام المعروف بدعاء كميل وهو من أدعية العشق الإلهي حيث يقول: (إلهي وسيدي من لي غيرك)، ويكثر في دعاء أبي حمزة الثمالي القول (إلهي) ولهذا يقول المفسرون: إنَّ أرجى آية في القرآن هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٣] وأرقّ آية هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٤] أي أنّ الله يغفر الذنوب من سجل الذنوب وتزول وتنتهي.

ورد في الدعاء: «يا من لا يغفر الذنب إلاّ هو».[٥]

---

(١) من دعاء للصادق عليه السلام يدعو به في شهر رمضان، الكافي للكليني، ج ٤: ٧٤، ح ٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر التبيان للشيخ الطوسي، ج ٩: ٣٧، ومجمع البيان للطبرسي، ج ١٠: ٣٨٢، والآية في سورة الزمر: ٥٣، لكن أهل البيت عليهم السلام قد بينوا في أحاديثهم أن أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى في سورة الضحى: الآية ٥. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وهي الشفاعة.

(٤) تفسير الميزان / الطباطبائي: ٢ / ٣٠.

(٥) دعاء الجوشن الكبير، مفاتيح الجنان.

وورد أيضاً: «الحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي»[(١)] إنه الرب العطوف الرؤوف، الكريم الذي يبدل السيئة حسنة.

«اذا سألك عبادي عني»، أي قبل أن يكون الإنسان مرتبطاً بك أيها النبي فهو مرتبط بي، ولا يحتاج أن أقول أني الله العظيم الخالق الجبار المتكبر فإنّي قريب.

ونجد هذا الكنز العظيم في (دعاء مشلول) حيث يقول: «يا جاري اللصيق، يا ركني الوثيق، ويا إلهي بالتحقيق، فكَّ عني حلق المضيق، وفرّج عني كل همٍّ وغمٍ وضيق».[(٢)]

إنّه أكثر من قريب حيث يقول: «أنا جليس من جالسني»[(٣)] في نداء ذلك الملك في كل ليلة من ليالي شهر رجب، يعني إنّي كالجالس في جنب من ذكرني «ومطيع من أطاعني»[(٤)] أي لست جليساً فقط، بل أنا مطيع من أطاعني، إذا دعاني أحدكم فأنا أجيب دعوته.

حُكم عليّ بالاعدام في ليلة الخامس من شعبان عام ٧٩ أي قبل ٢٤ سنة، كان معنا سيد يقول: (سيدي) لذلك البعثي الجبان التعيس الذليل الحقير، فقلت له: يصعب عليّ أن أقول له سيدي ونحن أولاد رسول الله وشيعة أهل البيت، يمكن أن تقول له أخي، ولكن لا يمكن وعلى كل حال أن تقول له سيدي، إنّ الله تبارك وتعالى هو سيدنا فقط.

لسنا في صدد التحدث عن ذات الله، بل عن صفات الله وعطاء الله ونعم الله ومحبة الله.

---

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء مشلول.

(٣) إقبال الأعمال لابن طاووس، ج ٣: ١٧٤ / ف ٥؛ المراقبات / للشيخ جواد التبريزي / مراقبات شهر رجب.

(٤) المصدر السابق.

في دعاء الجوشن الكبير الذي يستحب قراءته في ليلة القدر يقول عليه السلام: «يا خير شاهد ومشهود، يا خير ذاكر ومذكور، يا خير سائل ومسؤول، ياخير مجيب ومجاب، يا خير داعٍ ومدعو».

لقد نُهينا عن البحث عن ذات الله، لا عن معرفة صفات الله ونعم الله ومنن الله.[١]

أساليب تأديب الإنسان:

التجارب والمحن في الدنيا هي تأديب للإنسان، وعمل الأنبياء هو أن يعطونا الآداب والأخلاق وهذا تأديب أيضاً، والله سبحانه وتعالى هو الذي بدأ بلطفه ومنّه بتأديب الإنسان، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي»[٢] وهناك عملية تأديب عامة وأخرى عملية تأديب خاصة، وفي ذلك حديث مفصل.

الله سبحانه وتعالى أولاً علّم كل المخلوقات وأدّبها، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾[٣] من النملة إلى الإبل والنجم والشمس والماء والشجر (ثم هدى) المخلوقات، فبعضها يتجه خطوة خطوة من الصحراء إلى الماء إلى عدسة مكبرة كالسلحفاة التي تتخذ طريقها إلى الماء على بعد مئات الأمتار وهي لا تبصره، هذه هداية عامة لكل المخلوقات.

ثم هناك هداية ثانية تخص الإنسان الذي هداه الله تبارك وتعالى بعقله وتدبيره ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٤] وهذا تكريم خاص، وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٥] وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.[٦]

---

(١) راجع الكافي للكليني، ج ١: ٩٢، باب (النهي عن الكلام في الكيفية).
(٢) مجمع البيان للطبرسي، ج ١٠: ٨٦، والبحار للمجلسي، ج ٦٨: ٣٨٢، ح ١٧.
(٣) طه: ٥٠.
(٤) الإسراء: ٧٠.
(٥) البلد: ١٠.
(٦) الإنسان: ٣.

هـذه صـورة مـن صـور التأديـب، ثـم التأديـب عبـر الأنبيـاء والشـرائع الإلهيـة. إنّ الله تبـارك وتعـالى أرسـل لنـا رسـلاً وكتبـاً الغـرض منهـا تأديـب الانسـان، قـال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها﴾.(١)

نشـكر الله تعـالى أن جمعنـا فـي مجلـس تأديـب فيـه الموعظـة والإرشـاد، وهذا تأديب من الله تبارك وتعالى.

محنة الشعب العراقي والشيعة:

رحمة الله على السيد الحكيم، كان يرجو أن يكون ما يلقاه الشعب العراقي من محن شديدة كبيرة ليس عقوبة وإنّما تربية من الله تبارك وتعالى لكي يؤهله لقيادة هذا البلد، إنّ الله يريد أن يؤدب العراقيين فيجب أن يشهدوا من الامتحانات الشديدة التي يُرشّحون من خلالها للمقامات العالية، كنا نتساءل هل هذا الامتحان الشديد من باب العقوبة أو هو تربية وتأهيل لكي يأخذوا موقعهم ويتطوروا بعد هذه المحن؟ ولماذا اختص شيعة أهل البيت بالآلام والمحن والشدائد وغيرهم مرفهون وحياتهم سعيدة؟ الجواب انّ رؤية أهل البيت هي أنّ هذا الامتحان الذي يتعرض له الشيعة ليس عقوبة وإنّما هو تأهيل لهم.

وهنـاك حـديث رائـع جـداً عـن الإمـام الصـادق عليـه الصـلاة والسـلام، فقـد سـأله أحـد الأشـخاص قـال: أن عامـة مـن أصـحابنا فـيهم حـدّة، فقـال عليه السلام: إنّ الله تبـارك وتعـالى فـي وقـت مـا ذرأهـم أمـر أصـحاب اليمـين وهـم أنـتم أن يـدخلوا النـار فـدخلوها فأصـابهم وهجهـا فالحـدة مـن ذلـك الـوهج، وأمـر أصـحاب الشـمال وهـم مخـالفوكم أن يـدخلوا النـار فلـم يـدخلوها، فمـن ثـمّ لهـم سـمت ولهـم وقـار.(٢) يعنـي قلـتم نتحمّـل البـؤس والشـدائد فـي سـبيل إطاعتـك فأصـابكم مـن

(١) الشمس: ٩ و١٠.
(٢) مختصر بصائر الدرجات / الحلي: ٢١٥، عن علل الشرائع / الصدوق: ١ / ٨٥.

لهبها ووهجها، وأما هؤلاء المرتبون الذين قيافتهم وعطورهم وكراسيهم جيدة فإنهم أصحاب الشياطين الذين اتبعوا السلاطين، وهم وعاظ السلاطين، فلا توبة لهم ولا مغفرة، أمّا نحن فلسنا من وعاظ السلاطين.

على كل حال نرجع ونقول: إلهي، نحتاج إلى الأدب ولكن ليس بالعقوبة بل بالموعظة بآيات القرآن، بتلاوة القرآن، بنصيحة الصالحين، بصلاة الجماعة والجمعة، لا تؤدبنا بعقوبتك، نحن لا نتحمل، لماذا يعاقب الله الانسان؟ تكون العقوبة حتى في جهنم للتأديب، إنّ رحمة الله وسعت كل شيء، المطلوب هو وصول الإنسان إلى الهدف وما يستحق وما هو أهله.

هناك بحث علمي عقائدي هو أنّ الله سبحانه وتعالى كيف يخلّد الإنسان في جهنم آلاف الملايين من السنين، فالانسان الجلاد المسيء يكفي أن يعاقبه الله خمسين سنة، فلماذا يخلّده في النار وهو خالق السماوات والأرض؟

للجواب أذكر هذه القضية: كنا نصوم في السجن، وكان الإفطار شيئاً لا يُذكر، وكان للطباخ الذي يوزع الحساء على السجناء إبن صغير بريء يوزع الماء ولا يعرف ما القضية، قلت له: أعطني قدحاً من الماء البارد، أجابني جواباً عجيباً وقال: هذا الشمر لا يقبل أن أعطيك ماءً، هذه ثقافة كربلاء، الشمر يعني قاتل الحسين ويعني يزيد، إنّ هؤلاء الناس القساة الذين يشهدون هذه المشاهد بكل أنس وطرب وانتقام لا يمكن تطهيرهم أبداً، شأنهم في جهنم، كالشوكة حين تسقيها ماء تبقى شوكة، لكن الوردة تتعاطر، هؤلاء القساة شأنهم أن يكونوا في النار، لأنه لا يمكن أن يهتدوا.

التأديب للجميع:

الله سبحانه وتعالى يؤدب حتى عباده الصالحين بعقوبة فيها شيء من القسوة، العقوبة الإلهية تشمل حتى الأنبياء، إنّه الحنان الإلهي، مثل قصة يونس عليه السلام فهي عبارة

عن تأديب إلهي بالعقوبة المشحونة بالرحمة والحنان، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.(١) **القصة تقول: إنّ الله بعث ذا النون واسمه يونس إلى مدينة بلّغ فيها ٢٣ عاماً فما استجابوا لهذا النبي وهو معصوم فرأى أنّهم لا يستحقون نزول الهداية، بل التأديب بالعقوبة.**

دعا عليهم واستجاب الله دعاءه، فأخبر قومه أنّ يوم الأربعاء سينزل عليكم العذاب إذا لم تستجيبوا، فبدأ العذاب ينزل عليهم وأخذت السماء تكفهر وأصبحت زرقاء حمراء سوداء، وخرج يونس من القرية، وكان هناك عالم عابد، فلما رأى معالم العذاب قد ظهرت قال لهم: اخرجوا وادعوا الله نساءا وأطفالا، وسمعوا نصيحة هذا العالم فرفع الله عنهم العذاب، وشاء الله أن يؤدب نبيَّه، إنّ عقوبة هذا النبي التأديبية المشحونة بالرحمة، كانت عندما ركب السفينة وتلاطمت الأمواج وكادت أن تغرق.

كان الله سبحانه وتعالى ينتظر منه المزيد من الصبر والرحمة للعباد. وقع في ثلاث ظلمات: ظلمة الليل، وظلمة الماء، وظلمة بطن الحوت، وكان تسبيحه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.(٢)

كان هذا تسبيح يونس، احفظوه، وسبّحوا به دائماً لأنه من أعظم التسبيحات ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾.

إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعلّم عبده العبادة. يقول القرآن: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.(٣) **هذه عقوبة لكن ببعد تربوي.**

---

(١) الأنبياء: ٨٧ و٨٨.

(٢) لمزيد من الاطلاع على قصة يونس راجع تفسير العياشي: ٢ / ١٢٩، ح ٤٤، وتفسير الميزان / الطباطبائي: ٦ / ٢٨٦.

(٣) الصافات: ١٤٣ و١٤٤.

أساليب التربية:

كان الحديث عن التأديب الإلهي وله عدة صور، منها التأديب بالعبادة والطاعة، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها﴾.

هذه الصدقة للتطهير وليست لحاجة الاسلام، فأحد أساليب التربية أن يعطي الإنسان الصدقة، ولهذا فإن كلمة (صدقة) تعبير عن صدق الإنسان مع الله، أي عندما يتصدق يكون صادقاً، ولا يخاف على ماله أن ينقص لأن القصد هو الله.

الصلاة أسلوب من أساليب التربية للانسان ايضا، ورد في الحديث الشريف: «الصلاة قربان كل تقي»[(١)] يعني أنّ حالة التكامل وتربية الإنسان هي اقترابه من الله سبحانه وتعالى، بالصلاة يقترب الإنسان من العدل المطلق والكمال المطلق والسعادة المطلقة والوجود المطلق، ورد في الحديث الشريف: «الصلاة معراج المؤمن»[(٢)] ولهذا يروي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام عن رسول الله ﷺ قوله: «أيها الناس تعاهدوا أمر الصلاة»[(٣)] ثم يذكر أنّه شبَّهها بالحمئة تكون على باب دار الرجل (فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرّات) فهل يبقى عليه وسخ؟

من أساليب التربية أن ينتخب الإنسان صديقاً صالحاً مؤمناً، كلامه مفيد والجلوس معه مفيد، ولهذا عن الإمام السجاد عليه السلام في دعائه المعروف بمكارم الأخلاق، يقول: «اللهم صل على محمّد وآل محمّد، ووفقني لطاعة من أرشدني، ومتابعة من سدّدني».

---

(١) الكافي / الكليني: ٣ / ٦.

(٢) الاعتقادات / المجلسي: ٣٩.

(٣) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام قال: «تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها... وشبهها رسول الله ﷺ بالحمئة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن» نهج البلاغة، ج ٢: ١٧٧ / ١٩٩.

لذلك اتخذ موسى عليه السلام الخضر صديقاً صالحاً على أن يعلّمه ليستفيد من الدنيا، ولذلك يحتاج الناس إلى نصيحة حتى إذا كانت مكررة، فالدعاء مكرر، والصلاة مكررة، وقراءة القرآن مكررة، ولذلك إذا سمعنا مكانا فيه موعظة ومجلس فإن الله يباركه وتنزل عليه الرحمة، ولعلكم الآن مشمولون جميعاً برحمة الله.

يجب أن نستفيد من الصديق، وأحد أساليب التأديب الإلهي للأنسان هو أن يرزقه صديقاً صالحاً فإنه أعظم من المال والمنصب.

الساعات الشديدة:

ثلاث ساعات هي أشد الساعات على ابن آدم: ساعة نزول الموت به، وساعة القبر، وساعة النشر من القبر والحشر يوم القيامة، ولهذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ التهليل عشر مرات في اليوم خفف الله عنه سكرات الموت، وضغطة القبر، وهول المطلع».(١)

وورد في الدعاء: «أعددت لكلّ هول لا إله إلا الله، ولكلّ همّ وغمّ ما شاء الله، ولكلّ نعمة الحمد لله، ولكلّ رخاء الشكر لله، ولكلّ ذنب أستغفر الله، ولكلّ أعجوبة سبحان الله، ولكلّ ضيق حسبي الله، ولكلّ عدو اعتصمت بالله، ولكلّ هول معصية لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكلّ قضاء وقدر توكلت على الله، ولكلّ مصيبة إنّا لله وإنّا إليه راجعون».(٢)

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من زارني على بُعد داري أتيته يوم القيامة في

(١) نحوه في البحار للمجلسي، ج ٨٤: ٥ / ٨ وفيه: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من قال هذه الكلمات في كل يوم عشراً غفر الله تعالى له أربعة آلاف كبيرة ووقاه من شر الموت، وضغطة القبر... وهي هذه: «أعددت لكل هول لا إله إلا الله، ولكل هم وغم ما شاء الله...». راجع أيضاً الوسائل: ٧ / ١١٩، باب تأكد استحباب التهليل عشراً... وفيه أحاديث عدة تروى عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) المصدر السابق.

ثلاث مواطن حتى أخلصه من أهوالها، إذا تطايرت الكتب يمينا وشمالا، وعند الصراط، وعند الميزان».

يجب أن يكون الإنسان مستعداً للحياة الأبدية وما فيها من معاناة وصعوبات وأهوال، والتأديب قد يكون في سكرات الموت، حيث يشدّد الله سكرات الموت على الإنسان حتى يطهر. يعني إذا كان الإنسان مستغرقاً في الذنوب فعذاب القبر لا يكفيه ويحتاج إلى تطهير، هناك حيث يقف الناس فإنّهم مسؤولون، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[١] ويكفي لتطهير أصحاب اليمين سنة أو سنتين من التأديب في جهنم.

بعض الروايات تقول: المجرمون يخرجون من جهنم بعد أن تمضي عليهم دهور، يقول أصحاب الأديان الأُخرى إلهنا وسيدنا خلّصنا من النار فيأمر الله تعالى بهم إلى الجنة فيخرجون من النار. هذه عملية التأديب والتطهير عند الله، ولا يبقى في جهنم إلاّ ذلك الجهنمي الكافر الذي لا يستحق أن يفوز بالجنة، ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار، فيطبقونها على من بقي فيها، ويسمرونها بتلك المسامير، فينساهم الله ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم وذلك قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.[٢]

الاعتبار بقصص الأنبياء عليهم السلام:

في قصص الأنبياء عبرة لنا، ونستفيد بحوثاً عقائدية وعلمية، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ إِن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ إِن لا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي

(١) المدثر: ٣٨.

(٢) كنز العمال: ج ٣ / ص ٨٣٣ / ح ٨٨٨٧.

الْمُـؤْمنينَ﴾[١] وقـد روي عـن رسـول الله ﷺ مـا دعـا مكـروب بهـذا الـدعاء ﴿لا إلـه إلاَّ أنتَ سُبْحانَكَ إنّي كُنتُ منَ الظَّالمينَ﴾ إلاّ فرّج الله عنه.[٢]

بعـض التّفاسـير تقـول: إنّ يـونس عليه السلام لـم يكـن يومئـذ نبيـاً، وإنمـا كـان إنسـاناً صـالحاً وعـظ قومـه قبـل أن يُبعـث فلـم يجيبـوه، فـدعا علـيهم وانسـحب عنهم، وكانت إرادة الله أن يصبر عليهم.[٣]

أراد الله تبـارك وتعـالى أن يعلّمـه أنّ الإنسـان بـدون الله لا يسـتطيع أن يقـول حتى كلمـة واحـدة، كـل مـا عنـده مـن قـدرة هـو مـن عنـد الله سـبحانه وتعـالى ﴿بِسْـمِ اللـه مَجْراهـا وَمُرْسـاها﴾[٤] يـتكلم بـالله ويمشـي بـالله، أراد الله سـبحانه وتعـالى أن يعلّم يونساً أنّك بدوني لا تساوي شيئاً.

الكمال الذاتي والتبعي:

الكمـال قسـمان: ذاتـي وتبعـي، والله سـبحانه وتعـالى هـو صـاحب الكمـال الـذاتي، أمـا الأنبيـاء فقـد قـال عـنهم تعـالى: ﴿وَعَلَّمْنـاهُ مِـنْ لَـدُنَّا عِلْمـاً﴾.[٥] إنّ تربيـة الأنبياء إلهية وكمال تبعي وليست كمالاً ذاتياً.

قصة في الاعتكاف:

يـروي الشـهيد السـعيد السـيد محمـد بـاقر الصـدر (أعلـى الله مقامـه) هـذه الحكايـة: اصـطحب أسـتاذ فـي النجـف الأشـرف عشـرة مـن الطـلاب الأجـلاء ليعتكفـوا فـي مسـجد الكوفـة، والاعتكـاف مسـتحب جـداً كـالحج، والاسـلام لا

---

(١) الأنبياء: ٨٧ و٨٨.
(٢) سنن النسائي: ٦ / ١٦٨، نحوه.
(٣) تفسير العياشي ٢ / ١٢٩ / ح ٤٤.
(٤) هود: ٤١.
(٥) الكهف: ٦٥.

يريد العزلة المطلقة للانسان بحيث يجلس في صومعة، ولكنه في الوقت ذاته يريد منه أن يعتزل ثلاثة أيام في مسجد أو جامع، ويمكن تجديدها ثلاثة أيام أخرى، ثم ثلاثة أيام لتكون تسعة أيام، ولا يجوز أكثر من ذلك، ينقطع عن الدنيا ويتفرغ للصلاة والقرآن والمناجاة خاصة في أيام شهر رمضان.

هذا العالم قال لأحد تلامذته نحن مشغولون بالصلاة والمناجاة فعليك طبخ الغذاء والخدمة، كان هذا التلميذ المطيع يغسل الصحون وينظّف ويقدّم الشاي ويكنس الغرفة ثلاثة أيام، ثم جدّد العالم اعتكافه ثلاثة أيام أخرى، ثم ثلاثة أيام أخرى، وأمره بالخدمة أيضاً.

لم يسأل هذا الطالب لماذا أنا من دونهم، هل أنا إنسان غير محترم؟

وفي اليوم العاشر قال الاستاذ له نحن ذاهبون فعليك حمل الأواني وغيرها ثم التحق بنا، بقي وحيداً غريباً، فاستأجر عربة ووضع فيها جميع الأثاث وأخذ يمشي وراءها من الكوفة إلى النجف، وكان تسبيحه وورد لسانه هو تسبيح يونس عليه السلام: ﴿لا إله إلاَّ أنت سُبْحانَكَ إنِّي كُنْتُ منَ الظَّالمينَ﴾.

وبدأ يتألق ويتوهج بهذا التسبيح، وما زال يردد هذا التسبيح حتى وصل إلى النجف الأشرف عند صلاة الظهر وإذا بالناس يقيمون الصلاة فكبّر والتحق بالمصلين مع إمام الجماعة وهو منقطع إلى الله تبارك وتعالى. بعد السفرة هذه كشف الله سبحانه وتعالى عن بصره فرأى الجنة وهو في حال القنوت وما فيها من أشجار وأنهار، استطاع هذا الإنسان أن يعبر هذا السد والجسر، وهكذا تكون الروح قوية، ولكن الإنسان يبقى إنساناً ضعيفا فقيراً، والشيطان يوسوس له.

يقول هذا التلميذ: فلما رأيت الجنّة وما فيها وكُشِفَ لي عن بصري أصابني الغرور فأصبحت أفكر في نفسي هل أنا أفضل أم أستاذي؟ ولكني بمجرد أن فكّرت هذا التفكير زال عني مشهد الجنّة وعدت إلى حالي، فما ندمت على لحظة مثل ندمي على تلك اللحظة.

الإنسان شحيح حتى في الجنة، وإذا غفل عن نفسه لحظة واحدة فإنّه ينتهي كما في قصة يونس عليه السلام.

قصة أم سَلَمة:

تقول أم سلمة وكانت من زوجات النبي الصالحات المؤمنات ولها رواية خاصة بالحسين عليه السلام:[1] في ليلة من الليالي بحثْتُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وإذا هو في ساعة متأخرة من الليل ساجد ويبكي في سجوده ويقول: «إلهي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً، ولا تنزع عني صالحاً أعطيتني أبداً، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً، ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً» فبكيت على هذا الدعاء، فلما أنهى سجوده وصلاته قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فما هذا البكاء؟

فقال: يا أم سلمة إنّ الله تبارك وتعالى وَكِلَ أخي يونس إلى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان.[2]

هذه لغرض التربية والتكامل، فالذي أصاب يونس هو لأجل أن يتفرغ لعبادته، ويسبّح له.

وبقيت نقطة مهمة هي أنّ هذا النبي كان في أشد الشدائد وتوهّج نوره واتصل بالله وهو في عمق البحر والحوت، ولقّن البشرية درساً تكاملياً تربوياً إيمانياً في أن لا ينسى الإنسان ربه وهو في بطن الحوت ويقول: ﴿لا إلـه إلاّ أنـت سُبْحانَكَ إنّي كُنْتُ منَ الظّالمينَ﴾**، والحمد لله رب العالمين.**

---

(١) وهو إخبار النبي صلى الله عليه وآله لها بمقتل الحسين عليه السلام، وقد رواها العامة والخاصة، راجع بحار الأنوار للمجلسي، ج ٤٤ / ٣٣١، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ٣ / ٦٠، ومجمع الزوائد / الهيثمي: ٩ / ١٨٩، كنز العمال: ١٣ / ٦٥٦ / ح ٣٧٦٦٦.

(٢) البحار / المجلسي: ١٦ / ٢١٧ / ح ٦.

المحاضرة الثانية:

التوحيد والدعاء والتوسل

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيُجِيبُنِي وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئًا حِينَ يَدْعُونِي».

بسم الله الرحمن الرحيم

«الْحَمْـدُ لِلَّـه الَّـذي أَدْعُـوهُ فَيُجيبُنـي وَإنْ كُنْـتُ بَطيئًـا حـينَ يَـدْعُوني... الْحَمْـدُ لِلَّـه الَّـذي لا أَدْعُـو غَيْـرَهُ وَلَـوْ دَعَـوْتُ غَيْـرَهُ لَـمْ يَسْـتَجِبْ لـي دُعَـائي وَالْحَمْـدُ لِلَّـه الَّـذي لا أَرْجُـو غَيْرَهُ وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لأَخْلَفَ رَجَائي».

في حديث قدسي انّ الله تبارك وتعالى يقول: «وعزتي وجلالي لأقطعنّ أمل كل مؤمل غيري، كيف يؤمل عبدي غيري والخير كله بيدي».(١)

الحديث القدسي:

ما معنى الحديث القدسي؟

لدينا حديث قدسي ولدينا حديث نبوي.

الحديث النبوي يعني ما يُروى عن رسول الله ﷺ، والحديث القدسي يعني ما يروى عن الذات الالهية المقدسة.

وقد تسأل وتقول: إذا كان الحديث القدسي هو حديث الله وكلام الله فما هو الفرق بينه وبين القرآن، فإنه كلام الله أيضاً؟

الفرق هو أنّ القرآن الكريم هو ذلك الوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ كجزء من هذا الكتاب الذي يمثل رسالة الاسلام، والحديث القدسي عبارة عن تفاصيل وقصص وما شاكل ذلك عن الله تبارك وتعالى، ولكنها

---

(١) الكافي / الكليني: ٢ / ٦٥، ح ٧، أمالي الطوسي: ٥٨٤ / ح ١٢٠٨ / ١٣، ولفظ الحديث «...لا قطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس... أيؤمل عبدي في الشدائد غيري، أو يرجو سواي وأنا الغني الجواد، بيدي مفاتيح الأبواب...».

ليست جزءاً من هذا الوحي المنزل في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(١) والذي جاء تفصيله على طول ٢٣ سنة من عمر النبي الرسالي.

كل الأحاديث الإلهية غير القرآن الكريم وغير الكتب الإلهية المنزلة على سائر الأنبياء نسميها حديثاً قدسياً.

نعود إلى الحديث القدسي: «وعزتي وجلالي لأقطعنّ أمل كل مؤمل غيري، كيف يؤمّل عبدي غيري والخير كله بيدي؟» إنّ غيري لا يملك أي شيء، فما معنى أن تؤمل غير الله تبارك وتعالى؟

إنّ الأدعية تمثل عمق التوحيد الخالص:

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «الحمد لله الذي لا أدعو غيره، ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي» هذا تأكيد على المضامين العقائدية القرآنية.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾(٢) القطمير في اللغة العربية هو قشرة نواة التمرة، القرآن يقول إنّ الذين تدعون من دون الله لا يملكون حتى قشرة النواة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾(٣) فلو اجتمع الجن والإنس بكل معدّاتهم وكل التقنية المتقدمة في ذلك الزمان وهذا الزمان والى يوم يبعثون فإنّهم لن يخلقوا ذباباً. الذبابة التي ترونها فيها معاجز كل الكون، فلو اجتمعت كل البشرية على أن تخلق جناح الذبابة ما استطاعت، هذا الجناح العجيب الغريب، وهكذا عين الذبابة فإنّ أروع كاميرات الدنيا اليوم لن تبلغ واحدا من الف من دقة عين الذبابة وأوتوماتيكيته ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ

(١) القدر: ١.
(٢) فاطر: ١٣.
(٣) الحج: ٧٣.

الـذُّبابُ شَـيْئاً لا يَسْـتَنْقِذُوهُ مِنْـهُ ضَـعُفَ الطَّالِـبُ وَالْمَطْلُـوبُ﴾ **المطلوب ضعيف وهو ذبابة، والطالب هو هذا الإنسان المغرور ضعيف أيضاً.**

صفات الجمال والجلال:

علماء الكلام يقسّمون الصفات الإلهية إلى قسمين:

القسم الأوّل: صفات الجمال.

والقسم الثاني: صفات الجلال.

صفات الجمال هي الصفات الايجابية الثبوتية التي ننسبها إلى الله تبارك وتعالى، من قبيل: الله الخالق، البارىء، المصور، السلام، المؤمن، المهيمن، السميع، البصير، الحي، القيوم، مالك الملك، مجري الفلك، مسخر الرياح، فالق الاصباح، ديان الدين، رب العالمين.

وهناك صفات سلبية تسمى صفات الجلال من قبيل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[1] **أي انّ الله ليس بظالم، وليس بغافل، ولا تأخذه سِنة ولا نوم، ولا يأكل ولا يشرب، ولا ينام ولا يغفل «سبحان من هو حفيظ لا يغفل»[2] وعبارة لا يغفل ترجمة أخرى للصفة الثبوتية (حفيظ) وصفات الجلال تعني أنّ الله جل عنها، وارتفع عنها، «سبحان من هو رحيم لا يعجل»[3] لا عجلة عنده «وسبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو».[4]**

﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾.[5]

---

(١) فصلت: ٤٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ٦/ ٢١٦، ح ١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

معنى نفي الصفات عنه:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وسيد العارفين: «أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف».(١)

عندما تقول فلان أبيض يعني هو شيء والبياض شيء، وفلان طويل يعني أنّ الطول مفهوم والشخص الذي تصفه بالطول شيء آخر، وهكذا: الشجر جميل، فمفهوم الشجر غير مفهوم الجمال وإن اتحدا في الخارج فكان الشجر جميلاً. ثم يقول عليه السلام: «فمن وصفه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله».(٢)

سؤال: الإمام يقول لا تصفوا الله، فكيف القرآن الكريم يصف الله ويقول هو الله الخالق الباريء المصور له الأسماء الحسنى، فهذه صفات؟

الجواب: المقصود هو النهي عن إعطاء صفات زائدة عن الذات الإلهية.

نحن نعتقد إسلامياً أنّ كل هذه الصفات هي تعبيرات أخرى عن الذّات الإلهية وليست شيئاً آخر، نحن لا نعتقد أنّ العلم شيء آخر غير الله، أو الوجود شيء آخر غير الله، أو السمع شيء آخر غير الله، بل كلها هي الذات الإلهية، وهذا يحتاج إلى بحث واسع ومفصل.

التوسل بالأئمّة عليهم السلام:

سؤال: يقول الدعاء: «الحمد لله الذي لا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي» كيف إذن نقف عند الأئمة المعصومين عليهم السلام في زيارتهم

---

(١) نهج البلاغة: ١ / ١٤، خ ١، ولفظه: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه... فمن وصفه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه...».

(٢) المصدر السابق.

وندعوهم ونتوسل بهم؟ ولهذا فإن أعداء أهل البيت يتهمون شيعتهم بالشرك ويقولون كيف تتوسلون بقبور رسول الله والأئمة الأموات؟

الجواب: هذا في الحقيقة خطأ وجهل ومغالطة وعدم فهم، وخروج عن الإسلام والواقعية.

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾(١) فلماذا لا تقولون عن موسى عليه السلام الذي كان يستخدم العصا بأنّه مشرك وكان عليه أن يستعين بالله تعالى فقط؟

ما يقولونه أمر مثالي وليس واقعي وجهل وحماقة، إذ أنّ الاستعانة بالسكين والعصا والقلم والكتاب والطعام لا تعني الشرك بالله سبحانه وتعالى، فموسى عليه السلام استعان بالعصا، ورسول الله استعان بالجيوش والمقاتلين والرماح والسيوف، فهل هذا شرك؟

اليوم حينما تستعين كل البشرية بالسيارات والكاميرات والفضائيات والصحف وما شاكل ذلك هل عملها شرك؟ كلا، الفرق بين ما هو شرك وما هو توحيد هو أن الاستعانة تارة تكون من دون الله وتارة تكون بالله، فاذا كانت من دون الله صارت شركاً، وإذا كانت بالله صارت توحيداً، أنت تأكل الطعام وتستعين به لتقوى به، لكن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أنت تستعين بالسيارة وتركبها حتى توصلك، أعوذ بالله أن يقول أحد انّ ذلك شرك، لأنّك تستعين بها تارة من دون الله وتقول هذه السيارة توصلني بدون قدرة الله، وبعيداً عن الله فهذا شرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾(٢) فالانسان، الملائكة، الوسائل الطبيعية عباد أمثالكم، وإذا كنتم

---

(١) الشعراء: ٦٣.

(٢) الأعراف: ١٩٤.

تركبون السفينة بالله وفي الله وتقولون: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾(١) **فإنّه باسم الله وليس شركاً، ولهذا طلب موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام المعونة واستعان بأخيه هرون حيث قال حينما قال الله تبارك وتعالى له:** ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾(٢) **قال موسى:** ﴿هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً﴾(٣) **قال إلهي أريد معي مؤازراً ومشاركاً لي، فهل هذا شرك بالله؟ ونقول يا موسى أنت مشرك! كلا، إنّه استعانة بالأمور الطبيعية وليست من دون الله وإنّما بالله، وإلاّ فمعناه أن لا يأكل الإنسان ولا يشرب ولا ينام ولا يلبس ولا يمشي لأن ذلك كله استعانة بالوسائل الطبيعية ويكون شركاً!**

يعلم أعداؤنا أنّ هذا حماقة وكذب لأنهم يستعينون بالوسائل الطبيعية والأدوات الصناعية والأكل والشرب لكن عندهم حساب آخر مع شيعة أهل البيت، المهم لديهم أن يتهموهم.

إنّ الاستعانة بأسباب يسّرها الله سبحانه وتعالى لك لتستعين بها معتقداً بأنّ الله تبارك وتعالى هو مسبب الأسباب كما وجدت لوحة دعاية على بوابة صيدلية مكتوب عليها (الدواء عندنا والشفاء من عند الله) فإن ذلك ليس استعانة من دون الله حتى يكون شركاً.

حينما نتوسل بالأنبياء والصالحين والائمة والقرآن والصلاة فإنّه ليس توسلاً من دون الله بل توسل إلى الله وبالله وبأسباب إلهية، أنت تستعين بالنار لتطبخ طعاماً فهل يقول لك أحد إنّك مشرك؟ وهكذا تستعين وتتوسل بالنبي وتقول: «اللهم بذمة الإسلام أتوسل إليك، وبحرمة القرآن أعتمد عليك، وبحبي للنبي الأمي، القرشي، الهاشمي،

---

(١) هود: ٤٣.
(٢) طه: ٢٤.
(٣) المصدر السابق.

العربي، التهامي، المكي، المدني أرجو الزلفة لديك»(١) يعني كل الإتجاه إلى الله وليس من دون الله، لكن الله يقول هذه وسائل.

الولد إذا نظر إلى وجه أبيه برقّة كتب الله له حسنة، وإذا نظر الأب إلى وجه ابنه برقّة كتب الله له حسنة، فهل هذا شرك؟ كلا، إنّ الله يريد أن نتوسل إليه من خلال بناء المجتمع والقيم وتوطيد العلاقات، النظر إلى وجه العالم عبادة، هل هذا شرك؟

إنّه لجهل في الحقيقة حينما نحرف المفاهيم كما يفعل أعداء التشيع.

قصة الأنصاري:

جاء جمع إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله، انظر إلى هذا الانصاري ذهب بتجارة وسرعان ما عاد بربح عظيم.

قال ﷺ: ألا أدلكم على من هو أعظم منه تجارة وربحاً؟

قالوا: بلى.

قال انظروا إلى هذا القادم _ وكان رجلاً من الأنصار وفقيراً رثّ الثياب ومستضعفا _ رفع له اليوم من الحسنات ما لو قسّم على أهل الارض لوجبت لهم الجنة.

سألوه ماذا فعلت؟

قال: لم أفعل شيئاً ولكن كان عندي دينار وكان يوم جمعة فقلت أذهب إلى السوق أتاجر به، ولكن وجدت السوق مغلقاً، قلت في نفسي انّ هذه التجارة الدنيوية لم أحصل عليها، فلأرجع إلى مسجد النبي ﷺ وهناك علي بن أبي طالب فأنظر إلى وجهه، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة».(٢)

---

(١) الصحيفة السجادية / الإمام السجاد عليه السلام: ٢٢٤ (أبطحي).

(٢) انظر نص الرواية في أمالي الصدوق: ٤٤٤ / ح ٥٩١ / ١.

النظر إلى وجه الأب عبادة، والاسلام دين الأخلاق حقيقة، فلماذا يكون ذلك شركاً؟ انّنا نتوسل إلى الله تعالى بأنبيائه فهل هذا شرك؟

قال تعالى عن النبي سليمان عليه السلام: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾(١) حيث استعان سليمان بالشياطين وسخرها الله له وحفظها، قال تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ﴾(٢) فهل هذا شرك؟

إنّها إذن مسألة اتهامات، فاتّهموا من تشاؤوا حتى الأنبياء فإنّ سليمان كان يستعين بالشياطين وبالجن وبالإنس وبالطير.

حكومة سليمان وداود عليهما السلام:

إنّ هناك أكثر من عشرة أبحاث في قصة سليمان، كل بحث منها يحتاج إلى محاضرة كاملة.

أحدها: ما معنى قول سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لي وَهَبْ لي مُلْكاً لا يَنْبَغي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدي﴾(٣) ما هذا الطموح العظيم عند سليمان؟ كان يريد ملكاً لا يرى أحد مثله حتى نهاية البشرية، ما تفسير ذلك؟ يمكن أن يطلب ملكاً لكن لماذا لا يملكه أحد غيره؟ هذا بحث له عدة أجوبة لسنا بصددها الآن، ونميل إلى جواب آخر غير الذي يذكره أهل التفسير وابن عربي في الدفاع عن سليمان.

التفسير الذي أميل إليه شخصياً هو أنّ الله تبارك وتعالى أراد أن يثبت للبشرية حاكمية الدين وقدرة الدين وعدم التنافي بينه وبين الدنيا، وإنّ الدين يمكن أن يؤسس أعظم حكومة، وأنّ النبي يمكن أن يكون أعظم ملك ورئيس جمهورية، وكان هذا مقطعاً استثنائياً جعله الله سبحانه وتعالى في تأريخ الأنبياء ليقول: لا تتصوروا انّ الأنبياء

---

(١) الأنبياء: ٨٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ص: ٣٥.

كلهم مظلومون ومقتولون ومشردون دون قدرة ولا لياقة لهم وانّ القتل هو حقهم الطبيعي، أنا استثني من ذلك وأعطيكم صفحة أخرى لتشاهدوا نموذجاً من صورة نبيّين هما سليمان وداود عليهما السلام كيف حكما، والبشرية إلى اليوم لا قدرة لها لأن تحكم كما حكم سليمان وداود. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[1] الرياح تجري بين يديه رخاءاً وتمشي أمامه حيث أصاب، الرياح والجبال والطير تسبح بين يديه وتركض بين يديه، غدوها شهر ورواحها شهر، هذا ملك سليمان، يريد الله أن يقول لنا _ بناءً على هذا التفسير _ إنّ النبوات والأديان قادرة على أن تحقق أعظم ملك سياسي في الدنيا، وأعظم حكومة مدنية في الدنيا، هي مدنية داود وسليمان، هذا نموذج ضربه الله تبارك وتعالى لنا، وإلاّ فإن سليمان ليس بحاجة إلى ملك وكرسي، ولا هو من أهل الدنيا انّما هو نبي معصوم، لكنها مفاهيم عظيمة نفهمها من تأريخ الأنبياء وحركتهم.

على كل حال فإن الله سخر لسليمان عليه السلام الشياطين ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ﴾ وليس من العجيب أن يحفظ الله الشياطين.

لما جاء الهدهد عرف أنّ سليمان متألّم فقال ﴿جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[2] حضرني انّ البعض يقولون هل نخبر عن البعثيين الأرجاس الذين هم من أتباع الرجس النجس صدام وعفلق؟ أنا أتحدث معكم حديثاً دينياً، ولا أريد القسوة في العبارات، فالقرآن حينما يقول ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ﴾[3] فإنّه يصف المنافقين الكافرين أعداء الدين، و جزء من أدب القرآن التقييم الصحيح والدقيق لشخصية الكافرين، البعض يسأل: إنّ لجان مكافحة البعث تطلب أن نعطي معلومات عن البعثيين وقلبي لا يسمح بذلك،

(١) سبأ: ١٠.
(٢) النمل: ٢٢.
(٣) القلم: ١٢ و١٣.

هل يجوز أن نكتب التقارير؟ وهذا حُسن نية من ناحية وعدم معرفة من ناحية ثانية. لانّ نصر الدين يحتاج إلى تقديم معلومات وإلاّ فهذا يعني الإدهان معهم والله تعالى يقول: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾(١) والله تعالى يقول: ﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّه﴾.(٢)

هذا يختلف عن التقارير التي كان يكتبها المجرمون ضد عباد الله الصالحين المستضعفين، فتلك تقارير محرمة، لكن عندما تكتب وتدلي بالمعلومات نصرة لله وإنقاذاً للمجتمع المظلوم المضطر الذي يتعرض يومياً إلى تفجير وقتل وارهاب وإحراق من قبلِ هؤلاء الأرجاس البعثيين فهذا يعني إنقاذ المساكين، هذه مسؤوليتك ﴿مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَميعاً﴾(٣) هذا دفاع عن المجتمع، فإن لم تدافع عن هذا المجتمع وعن دين الله فأنت محاسب يوم القيامة. لماذا لم تعطِ المعلومات للجان مكافحة البعث؟ هل تنتظر عودتهم مرة اخرى؟

من جرائم البعثيين:

قبل ٣٠ سنة بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٦ استشهد الشهيدان العلامة الحجة السيد عزالدين القبانچي والسيد عماد الدين الطباطبائي وكانا من العلماء الاوائل الذين أُعدموا في النجف الاشرف على يد البعثيين المجرمين سيما الطاغية صدام وأتباعه.

لأوّل مرة شهد تأريخ النجف إعدام علماء دين، ونذكر يومئذ ما جرى في النجف كيف يلاحقنا أفراد الامن. وبعد شهادتهما يومئذ ضاقت علينا الدنيا حيث الخوف والارهاب سيطر على الناس وقاطَعَنا حتى الصديق، ولا أحد يسلّم علينا، لا مجلس فاتحة ولا بكاء، فكَّرت يومها هل أبقى في النجف

(١) القلم: ٩.
(٢) النور: ٢.
(٣) المائدة: ٣٢.

ام أهاجر؟ الجو مظلم حولي ويومئذ كنت في مقتبل العمر، النجف صامتة خيّم عليها ارهاب البعث الكافر، جئت إلى أستاذنا آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﷺ، وكان أستاذي وأبي حقيقة وعلاقتنا خاصة، وكانت فاجعة بالنسبة لنا وضربة موجعة، لا نعرف المستقبل، أخذ لي الاستخارة فكانت الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(١) هذه الآية فيها دلالات عديدة، فبقيت في النجف ولم أهاجر، وبعدها جرت علينا ملاحقات البعثيين ثم دخلنا السجون وحُكم علينا بالاعدام، ولكن شاء الله تعالى ان نبقى إلى اليوم ونعود إلى العراق بعد الهجرة ونرسم جميعاً مستقبل العراق، وكان ذلك هو ترجمة الآية القرآنية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا...﴾ وهكذا منّ الله تعالى علينا بالنصر.

إن الآية تقول: ينبغي بالمستضعف بعد أن يمنّ الله تعالى عليه بالنصر أن يكون قائداً ميدانياً وحاضراً في الساحة ووارثاً في الأرض وصاحب الحق، يرفع الراية ولا يدعها تسقط، هذه آية واحدة فيها أربعة عطاءات:

١ _ نريد ان نمن على الذين استضعفوا ونجعلهم أئمة.

٢ _ ونجعلهم الوارثين.

٣ _ ونمكّن لهم في الأرض.

٤ _ والذل الذي يصيب أعداءهم ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

شواهد على جواز التوسل بغير الله:

حينما نتوسل بأئمتنا ﷺ أو بالقرآن أو نقول: «اللهم اني أسألك

(١) القصص: ٥ و٦.

باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم»[1] فإنه ليس شركاً كما نسأل وندعو باسم الله تعالى، إقرؤوا أدعيتنا وزياراتنا هل تجدون فيها غير التوحيد النقي الخالص الذي لا مثيل له، (من أراد الله بدأ بكم)، إذن لا نريد غير الله وذلك عن طريق الأنبياء والأوصياء الأطهار ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[2] لابد من طريق تمشون به «من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم»[3] «بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا»[4] يعني بهذه الواسطة، بالقرآن وبالمعرفة بالوحي وبالأئمة.

حديث الدار:

في حديث الدار: حينما اجتمع رسول الله ﷺ مع رؤساء قريش ودعاهم للاسلام في الدار، قال: من منكم يؤازرني على هذا الأمر يكون خليفتي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي؟ فسكتوا جميعاً، فقال علي عليه السلام وله من العمر يومئذ عشر سنوات: أنا يا رسول الله، قال له اجلس يا علي لأرى هل يقوم غيرك من قريش؟

لم يقم أحد، قام علي ثانية وهكذا ثالثة، فقال: «هذا أخي ووصيّي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»[5] وهذا حديث ثابت وصحيح عند الفريقين بلا مناقشة. ولأجل التحريف جعله الوضاعون أتباع معاوية (وخليفتي

---

(١) من دعاء يستحب الدعاء به آخر ساعة من نهار يوم الجمعة. وهو الدعاء المعروف بدعاء (السمات) مصباح المتهجد / الطوسي: ٤١٦ / ح ٥٣٨ / ١٤٨.

(٢) المائدة: ٣٥.

(٣) (الزيارة الجامعة الكبيرة) انظر القمي / مفاتيح الجنان.

(٤) نفس المصدر.

(٥) أنظر الإرشاد للمفيد: ١ / ٤٩، تاريخ الطبري: ٢ / ٦٢، سنن النسائي: ٥ / ١٢٤ ح ٨٤٥١، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٣ / ٢١٠.

في أهلي) يعني فقط على عيالي وليس خليفتي في الأمّة وكأن المشكلة هي ان رسول الله كيف يترك أهله بدون خليفة ويومها ليس له سوى خديجة، كأن مشكلة الإسلام هي كيف يموت رسول الله ﷺ وليس عنده خليفة على أهله، وهو لا يملك لا صفراء ولا بيضاء ولا أولاد. فجعلوا له (خليفتي في أهلي) حتى يقولوا ليس خليفتي في الإسلام والمسلمين وإنّما في عيالي.

أمّا حديث الثقلين الثابت أيضاً في الصحاح عند الفريقين بالإجماع فقد قال فيه رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا».(١)

والحديث الثالث هو حديث السفينة الثابت أيضاً في صحاح الشيعة والسنّة، يعني عند الفريقين وباجماع المحدّثين والرواة، قال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى».(٢)

وجاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: «أنتم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة والباب المبتلى به الناس... من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم... بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الغرقة، وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودة الواجبة...».(٣)

ليست هذه استعانة بغير الله تعالى وإنّما استعانة بالله وفي الله، لكن بالأسباب التي

---

(١) كمال الدين / الصدوق: ٢٣٤ / باب ٢٢، ح ٤٤ - ٤٦، سنن الترمذي: ٥ / ٣٢٧، ح ٣٨٧٤ و٣٨٧٦، مسند احمد: ٣ / ١٤...

(٢) أمالي الطوسي: ٣٤٩ / ح ٧٢١ / ٦١، الجامع الصغير / السيوطي: ١ / ٢٧٣ / ٢٤٤٢، كنز العمال / المتقي: ١٢ / ٩٨ / ح ٣٤١٦٩.

(٣) عيون أخبار الرضا / الصدوق: ١ / ٣٠٥، ح ١.

وضعها الله تبارك وتعالى كما نستعين بالطعام والحجر والسكين وما شاكل ذلك، فكيف لا نستعين بالكتاب والقرآن لطلب الهدى والنجاة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] **فالذي لا يستعين بالكتاب يعني أنّه بعيد عن دين الله.**

العلاقة بين الإنسان وبين الله تبارك وتعالى علاقة مباشرة أحياناً، وبالواسطة أحياناً أخرى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[2] **هذه علاقة مباشرة، والعلاقة بالواسطة موجودة أيضاً. هذا فهم الإسلام والدين، لا توجد منافاة بين هذا وذاك، ولو كان الوقت يسمح لذكرنا بعض القصص المفيدة في هذا الشأن.**

القرآن الكريم يقول في وصف الزهراء عليها السلام **سيدة نساء العالمين وعلي** عليه السلام **سيد الوصيين:** ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.[3]

قال النبي صلى الله عليه وآله **لعلي** عليه السلام**: «ما عَرف الله إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلاّ الله وأنا»[4] ومع ذلك يقول علي** عليه السلام**: «إنّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» نتخلص من ذلك اليوم بإطعام الطعام.**

لقد قرأت لكم الآية ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[5] **يعني لم يكن لدينا تصدّق وإنفاق في سبيل الله، وأنا أدعوكم يا شباب ويا نساء للإنفاق في سبيل الله، ولأداء ما هو الواجب الشرعي في أموالكم.**

---

(١) البقرة: ٢.
(٢) آل عمران: ١٩١.
(٣) الإنسان: ٨ - ١٠.
(٤) مختصر بصائر الدرجات / ابن سليمان الحلي: ١٢٥.
(٥) المدثر: ٣٨ - ٤٤.

فريضة الخمس:

ففي الإنفاق في سبيل الله طهارة للقلب، وتكليفي أن أذكّركم بهذا التكليف وهو أن يكون لكل شخص منكم رأس سنة للخمس، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَ...﴾(١) أكثر الناس لا يعرفون هذه المفاهيم، بينما هي من الواجبات في الإسلام مثل الصلاة والصوم، ممكن أنت فقير ولا درهم فائض لديك، لكن تنظر الزائد الذي عندك، إذا كان لديك العام الماضي ألف دينار وهذه السنة ألفا دينار فهذا الألف الزائد تعطي خمسه إلى الله ورسوله، وتذهب إلى المرجع الديني وتقول هذا الخمس، هل تعطيني إجازة أصرفه على جاري أو أقرباني، وإلاّ أنت اصرفه في الأولويات التي لديك، يجب أن نتعلم سياسة الإنفاق.

وكانت إحدى السياسات الخاطئة عندنا نتيجة عدم السماح للعلماء أن يوضحوا الحقائق للناس هي انّ هذه السياسة المالية في الإسلام مفقودة وضعيفة في ساحتنا، الناس يعطون ويتبرعون، لكن الموازين والقيم الاسلامية لا يعرفونها جيداً، فقد ينفق شخص أكثر من الاستحقاق الواجب في الخمس لكن من دون معرفة بدقائق الأحكام الشرعية، من قبيل أن يدعو شخص كثيراً ولكن لا يعرف الصلاة ركوعاً وسجوداً وقراءة. لابد من إنفاق في سبيل الله، لابد من صدقات، ولابد من رأس السنة، تضعون لأموالكم دفتراً لتعرفوا أنّ رأس السنة في أيّ شهر وتعطوا الخمس حتى لو كان ديناراً واحداً، فإنّه طهارة لأموالكم ودفعاً للبلاء وصدقة.

كنت أقرأ رواية تبيّن كيف نبعد الشيطان حيث تقول: «الصدقة تكسر ظهر الشيطان»(٢) جرّب ذلك، تصدق فسوف تشعر أنّ الشيطان ضعف أمامك،

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) مستدرك سفينة البحار / النمازي: ٦ / ٢٤٩.

وأصبحت أقوى حيث تغلبت على عدو موجود في داخل النفس، هذا الأمر مطلوب ذكره في مجالسكم الدينية والمشاريع الإنسانية، يجب أن نتعلم ذلك.

إيثار أهل البيت عليهم السلام:

تقول الرواية في نزول هذه الآية ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ...﴾: أنّ الحسن عليه السلام مرض فنذرت الزهراء عليها السلام أنّه إذا عافاه الله تبارك وتعالى أنّ تصوم ثلاثة أيام، فصامت بعد شفاء الحسن عليه السلام كريم أهل البيت الذي ننتظر ذكراه في الخامس عشر من رمضان، وصام معها علي والحسن والحسين عليهم السلام، وعند الإفطار إذا بطارق يطرق الباب ويقول أنا مسكين أطعموني مما أطعمكم الله، فأعطوه خبز الشعير وأفطروا على الماء، وفي اليوم الثاني عند الإفطار طرق الباب يتيم فأعطوه الطعام وأفطروا بالماء، وفي اليوم الثالث وقد بلغ الجوع بهم الذروة حتى كانت الزهراء عليها السلام ترتعش من شدة الجوع، لكنه الكرم، الاخلاص، النقاء، الفداء، العطاء المطلق ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ جاء أسير، الروايات تقول أنّ الطارق لم يكن مسكيناً ولا يتيماً ولا أسيراً وإنّما الله تبارك وتعالى قد أرسل ملائكة بهذا التصوير اختباراً لأهل البيت هل يعطون كل ما عندهم لله؟ الله سوف يعطيكم أيضاً ما عنده، الزهراء أعطت كل ما عندها لله، فنزل قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾.(١)

---

(١) روت العامة والخاصة أن هذه الآيات نزلت في عليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام... راجع مجمع البيان / الطبرسي: ١٠ / ٢٠٩، أسباب نزول الآيات / النيسابوري: ٢٩٦، تفسير القرطبي: ١٩ / ١٣١.

مصيبة علي الأكبر عليه السلام:

كان بودي أن أذكر علي الأكبر هذه الليلة، ونختم مجلسنا بذكر هذا الشاب الذي كان يماثل رسول الله صلى الله عليه وآله في شمائله ومنطقه.

أقبل على الإمام الحسين عليه السلام ليستأذن منه المبارزة، لما نظر إليه الحسين ارخى عينيه بالدموع، إنّه لا يخاف الأعداء، لكنه نظر إلى أنّ هذا الفتى الذي يشبه رسول الله سوف يقتل بيد هذا الجمع من شيعة آل أبي سفيان، أَذِنَ له قائلاً: «اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز اليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلُقا بنبيك محمّد صلى الله عليه وآله، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى هذا الغلام» كم كان الأكبر جميلاً، الحسين أَذِنَ له في القتال.

دخل الأكبر المعركة وقاتل قتالاً عظيماً، وسرعان ما رجع إلى الحسين قائلا:

أبه، ثقل الحديد قد أجهدني والعطش قتلني، فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوى بها على الاعداء وأرجع بها إلى الميدان؟

تقول الرواية: كان الحسين عطشانا وليس عنده ماء، فماذا يصنع؟ أعطاه خاتمه ووضعه في فمه، رواية اخرى تقول: إنّ الحسين أعطاه لسانه، ولما رأى الأكبر لسان الحسين كالخشبة اليابسة يئس من الماء، وقال بني علي سرعان ما يسقيك جدك رسول الله كأساً لا تظمأ بعدها أبداً.

قاتل الأكبر وسقط صريعا، ونادى أبه يا أبا عبد الله، هذا جدي رسول الله سقاني شربة لا أظمأ بعدها أبدا، أقبل إليه الحسين جلس عنده ورآه مغمض العينين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الثالثة:

السؤال وأصناف السائلين

«الْحَمْـدُ لِلَّـهِ الَّـذِي أَسْـأَلُهُ فَيُعْطِينِـي وَإِنْ كُنْـتُ بَخِـيلا حِـينَ يَسْتَقْرِضُنِي».

بسم الله الرحمن الرحيم

«الْحَمْدُ للّٰهِ الَّذي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِيني وَإِنْ كُنْتُ بَخيلا حينَ يَسْتَقْرِضُني».

أصناف السائلين:

يقول العلماء: إنّ السائلين ثلاثة: سائل يسأل الله تبارك وتعالى على سبيل الاستعجال، وسائل على سبيل الاحتمال، وسائل على سبيل الامتثال.

سائل على سبيل الاستعجال يعني أنّ الله تبارك وتعالى قدّر له في علم الغيب ما يريد لكنه مستعجل، الله كتب له رزقاً وعافية وحج بيته الحرام وزوجة صالحة وتوفيقاً، لكنه مستعجل لا يدري أنّ هذا مكتوب له، بحيث لو انكشف له الغطاء في اللوح المحفوظ لوجد فيه: يا فلان إنّ الشيء الذي تريده مكتوب لك، لكن لأنّ الإنسان لا يرى ذلك يسأل على سبيل الاستعجال.

وسائل على سبيل الاحتمال، يعني أنّه يحتمل أنّ الله تعالى ربط أجابته بالدعاء، كالرزق، فالله يقول: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ﴾[1] **أنا كاتب رزقهُ لكن بعض الرزق مشروط بالدعاء، أنت تسأل لأنّك تشعر أنّ الله يقدّر لك ذلك الرزق بالدعاء، وهكذا حج بيت الله الحرام فإنّ الله تعالى قد يرزقك الحج إذا سألته، فأنت لابد أن تدعو. على كل حال نحن ندعو لأنّنا لا نعرف الغيب، الله تعالى شرط اجابتنا بالدعاء، قال تعالى:** ﴿إِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2] **وكلمة (إذا) أداة شرط، فأنت تدعو الله تبارك وتعالى على سبيل الاحتمال، الشرطية تعني أنّ الله تعالى يشرط أن يعطيك بدعائه.**

---

(١) الإسراء: ٢٠.

(٢) البقرة: ١٨٦.

وسائل على سبيل الامتثال، يعني أنت تسأل لمجرد الامتثال لله، لقوله تعالى: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[(١)] أي أنّ الله يحب أن يرى العبد سائلاً، فربما أنت غير محتاج ولكن الله يحب أن يكون الإنسان ذليلاً خاضعاً، فأنت تسأل على سبيل الامتثال، لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره ولكن حباً له كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، فليس ذلك هو الهدف من العبادة عند أمير المؤمنين عليه السلام هذا العبد الصالح، ولكن المهم هو الامتثال والسؤال بين يديه.[(٢)]

إخلاص شعيب:

«بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتى عمى، فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمى، فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمى، فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله عليه: يا شعيب، إلى متى يكون هذا أبداً منك، إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك، وإن يكون شوقا إلى الجنة فقد أبحتك، قال إلهي وسيدي أنت تعلمُ أني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك فأوحى الله جل جلاله إليه: أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران».[(٣)]

وفعلاً لما هاجر موسى عليه السلام مرَّ على بئر ماء ووجد جمعاً من الناس يسقون أغنامهم وزرعهم بشكل منتظم، ورأى إمراتين بعيدتين عن الرجال

(١) النساء: ٣٢.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الهي ما عبدتك خوفاً من عقابك (وفي رواية أخرى: من نارك) ولا طمعاً في ثوابك (وفي رواية: في جنتك)، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» راجع بحار الأنوار للمجلسي ج ٤١: ١٤، وفي نهج البلاغة، ج ٤: ٥٣، عنه عليه السلام: «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

(٣) علل الشرائع: ج ١ / ص ٥٧ / باب ٥١ / ح ١.

تريدان السقي لكن لا تستطيعان لوجود الزحام، فرأى موسى أن يقدّم خدمة لهاتين الفتاتين المحجبتين، فسقى لهما، ولما سقى لهما وانصرفتا أوى إلى الظل وقال: «رب إني لما أنزلت اليّ من خير فقير». هاتان الفتاتان ذهبتا إلى أبيهما شعيب وقصّتا له القصة، لأنه سألهن لماذا رجعتما بسرعة؟ قالت إحداهما: يا أبت استأجره إنّ هذا الشاب الذي سقانا الماء شاب جيد مؤمن صالح ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾(١) فهل كان ذلك كناية عن رغبتها في الزواج منه، أم هي صادقة بهدف استئجاره للخدمة؟

على كل حال فإنّ البنت ذات حياء فتشير لما تريد بالإشارة، والأب فهم الحكاية وقال لها: اذهبي إليه وادعيه ليأتينا، فذهبت وقالت له: إنّ أبي يدعوك، فجاء وقال له شعيب: هل لك أن تأجرني ثماني سنين فإن أتممت عشراً فمن عندك؟ بمعنى أن تعمل عندي ثمان سنوات وإن جعلتها عشر سنوات فذلك لك.

قَبِل موسى عليه السلام هذا العرض وعمل خادماً في مضيف شعيب عشر سنوات، وزوّجه تلك الفتاة.(٢)

هكذا كافأ الله تبارك وتعالى شعيب نتيجة حبه وإخلاصه لله تعالى، كان يقول: «إلهي أحب لقاءك ورؤيتك ولا أريد شيئا» «ولقاؤك قرة عيني»(٣) كما نقرأ في الدعاء، أي يريد المؤمن أن يلتقي بالله تبارك وتعالى يوم القيامة، وليس المقصود الرؤية العينية، لأن الله تبارك وتعالى أكبر من أن يُرى بالعين، والعين غير قادرة على أن تحيط بالله تبارك وتعالى.

---

(١) القصص: ٢٦.

(٢) أنظر علل الشرائع / الصدوق: ١ / ٥٧، باب ٥١، ح ١.

(٣) الصحيفة السجادية: ٤١١ (أبطحي).

شعارات شعيب:

كان شعيب (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) خطيب الأنبياء كما يقول بعض المفسرين، وكان يبتكر شعارات ففي هذه الآيات القرآنية طرح ثلاثة شعارات:

قال تعالى: ﴿وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِله غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قالُوا يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.(١)

الشعار الأوّل: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ **وأصبح هذا الشعار عنواناً ورمزاً لإمام زماننا # ، فبقية الله هو مولانا صاحب العصر والزمان، وأنتم يا شيعة أهل البيت بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين.**

الشعار الثاني: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ **وكان هذا شعار إمامنا الحسين عليه السلام في كربلاء، حيث قال: إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي.**

الشعار الثالث: ﴿وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾.

هذه الشعارات أصبح يستعملها المؤمنون أصحاب الرسالات في رسالاتهم، لأنّها كلمات شعارية والدين يريد شعاراً فـ (لا إله إلا الله، محمّد رسول الله) شعار في الوقت الذي هو مبدأ ومفهوم، وفي معركة أحد حينما رفع المشركون شعار (أعلُ هبل، أعلُ هبل) احتاج المسلمون إلى شعار، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أجيبوهم.

(١) هود: ٨٤ - ٨٨.

قالوا: ما نقول؟

قال: قولوا (الله أعلى وأجل).[(١)]

الإمام الحسين عليه السلام استخدم شعار ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ﴾ **أيضاً.**

قبول النصيحة:

يقول الإمام الجواد عليه السلام: المؤمن يحتاج إلى ثلاث:

١ _ توفيق من الله.

٢ _ واعظ من نفسه.

٣ _ قبول ممن ينصحه.[(٢)]

موعظة جبرئيل:

لا ينبغي للإنسان أن يكون مغروراً، فحتى النبي صلى الله عليه وآله كان يطلب النصح من جبرائيل عليه السلام مع أنّه أفضل منه، لكن لا ينافي أن يحتاج إلى من يذكّره، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أخي جبرئيل عظني.

قال له: يا محمّد، عِش ما شئت فإنّك ميت.

واجمع ما شئت فإنّك مفارقه.

واعمل ما شئت فإنّك ملاقيه».[(٣)] إذن لا بدّ أن تعمل عملاً جيداً حتى تلاقيه، إنّها موعظة جميلة.

قصة يحيى عليه السلام مع الشيطان:

ذات يوم رأى يحيى (على نبينا وعليه السلام) إبليس في اليقظة وعليه معاليق، يعني حُزُم وعلق وما شابه.

---

(١) مسند أحمد: ٤ / ٢٩٣، ونحوه في مجمع البيان للطبرسي: ٣ / ١٨٠.

(٢) تحف العقول / ابن شعبة: ٤٥٧.

(٣)- الكافي / الكليني: ٣ / ٢٥٥، ح ١٧.

قال: يا إبليس ما هذه المعاليق؟

قال: هذه أفتن بها الناس، ذهب ومال ولعب وفضائيات ولهو وسيديات وما شاكل ذلك، هذه معاليق الشيطان، بدليل أنّ شهر رمضان الذي هو شهر العبادة والمناجاة وأدعية السحر تقدّم بعض الدول الاسلامية العربية مسلسلات رمضانية هي عبارة عن فجور وخلاعة، هذه أعمال الشيطان تستخدمها هذه الدول الضالّة لخداع الناس، إنّهم لا يستطيعون منع الصيام، ويخجلون قليلاً فيعرضون ليلاً أفلاما مستهترة تقضي على أثر الصوم، يعني إنّ رسول الله ﷺ يقول إنّ أيدي الشياطين مغلولة في هذا الشهر، فسلوا ربكم أن لا يسلّطها عليكم، وهم يقولون: نحن نفتح أيدي الشياطين، هذه الإذاعات والتلفزيونات والفضائيات تقول نحن نقدم أعمالاً تفك أيدي الشياطين حتى تتسلط على الشعوب العربية.

إنّ إبليس يخادع بهذا الشكل أو بغيره، وليس أكثر من خداع هذه الأفلام الخليعة، إبليس يعمل بهذا الاتجاه.

قال يحيى عليه السلام: يا إبليس هل وجهت سهمك عليّ يوماً، وهل أصبتني؟

قال: بلى.

قال: كيف؟

قال: ربما أكلت وشبعت فتثاقلت عن الصلاة والعبادة!

عرف يحيى الموعظة وفهمها من حيث لا يقصدها إبليس.[١]

فقال يحيى: إذن والله لا أشبع أبداً.

فقال أبليس: إذن والله لا أنصح أحداً أبداً.

يحيى يقبل النصيحة، ونحن نحتاج إلى أن نقبل النصيحة، والنصيحة موجودة.

---

(١) انظر نص الرواية في كتاب المحاسن للبرقي: ٢ / ٤٣٩، ح ٢٩٧.

الفرق بين الحظ والتوفيق:

هناك فرق بين الحظ والتوفيق.

والنظرية الإسلامية ترى أنّ التوفيق من عند الله تبارك وتعالى، فالرزق، العبادة، الولد الصالح، الزوج الصالح، الأم الصالحة، المحل الصالح، السيارة الصالحة، والحيوان الصالح كل ذلك يحتاج إلى توفيق، أمّا مفهوم الحظ فهو مفهوم غير مقبول إذا أُخذ بعيداً عن الرعاية والعناية الإلهية.

ولذا فإن الحديث يقول المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، ولم يقل المؤمن يحتاج إلى حظ.

معالجة مشاكل المجتمع:

كل نبي من الأنبياء يواجه مشكلة ويحاول معالجتها، فمرة تكون المشكلة فساداً أخلاقياً كقوم لوط حيث واجه نبيهم سقوطاً أخلاقياً عند قومه، ومرة تكون المشكلة عبادة أوثان، ومرة فسادا اقتصاديا كما كان في زمان شعيب عليه السلام، ولهذا قالت الآيات: ﴿وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِله غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ﴾[1] أي بعد عبودية الله يجب أن نعالج المشكلة الاقتصادية، ومن الخطأ أن يعتقد الناس أن الدين بعيد عن معالجة القضايا الإنسانية، فالدين جاء لمعالجة مشكلات الانسان، و خوف الغرب من الإسلام اليوم هو لأنّه يضع معالجات لكل مشاكل الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية.

هل الحريات مطلقة؟

الإسلام لا يعتبر الحريات مطلقة، رغم إيمان الإسلام بحرية الإنسان وكرامته. لا توجد عندنا حرية اقتصادية مطلقة بلا قيم وعدالة، في الإسلام حريات ملتزمة، هكذا في المجال الاجتماعي الثقافي والسياسي.

---

(١) هود: ٨٤.

صحيح أنّ الحديث يقول: (الناس مسلطون على اموالهم)(١) ولكن إلى جانب ذلك يقول القرآن: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوالَكُمُ﴾(٢) يعني أنّ الحرية في الإسلام هي لأجل الاستفادة من المال، وهكذا في مجال الإعلام، فلا يقول قائل نحن نعتقد بحرية الإعلام، فإنّ الصحيح هو حرية الاعلام التكاملية، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾(٣) وليست الظالّة التي تخلو من الموازين والقيم، المطلوب هو الإعلام السديد وليس الإعلام الضّال.

هذه هي الحرية الاسلامية، القرآن يدعو إلى حرية إعلامية تكاملية لبناء المجتمع والانسان.

وفي المجال الاقتصادي يقول الإسلام هذه الأموال هي أموال الله تبارك وتعالى، أنظروا إلى الخُلُق والكرم والحنان الالهي، يقول تعالى: هل تستطيعون أن تعطوني قرضاً مع أنّ الأموال هي أموالي؟ جاء ذلك مرة في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً﴾.(٤)

وأخرى في سورة الحديد، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٥) الصدقة التي يعطيها تكون مرة (يضاعفه له أضعافاً كثيرة) خاصة في ليالي رمضان فالصدقة في شهر رمضان مضاعفة، ومرة ﴿فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الصدقة والعطاء في سبيل الله تزكية للنفس.

---

(١) بحار الأنوار / المجلسي: ٢ / ٢٧٢ / ح ٧.
(٢) النساء: ٥.
(٣) الأحزاب: ٧٠.
(٤) البقرة: ٢٤٥.
(٥) الحديد: ١١.

علامات أهل الجنة:

جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: علامات أهل الجنة أربعة: «وجه منبسط، ولسان لطيف، ويد معطية، وقلب رحيم».(١)

الغضب لله:

أوحى الله تبارك وتعالى إلى نبيه شعيب عليه السلام:

إنّي معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم؟

قال: إلهي هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟

قال: بما داهنوا أهل المعاصي،(٢) يعني يجب أن نغضب لله تعالى وتكون لدينا حميّة للدين.

روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «لم يدخل الجنة حميّة غير حميّة حمزة»(٣) إنّها عصبية في الدين.

رسول الله يقول لا بدّ من عصبية في الدين، قال تعالى: ﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾.(٤)

أثر الصدقة:

جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: السام عليكم ولم يقل السلام عليكم، النبي قال: عليك.

قالوا يا نبي الله هذا دعا عليك بالموت؟

---

(1) المواعظ العدديّة / الباب الرابع / تنظيم وإعداد الشيخ علي المشكيني.
(٢) الكافي / الكليني: ٥ / ٥٥، ح١.
(٣) الكافي / الكليني: ٢ / ٣٠٨ / ٥.
(٤) النور: ٢.

لأنه قال السامُّ عليك بمعنى السمّ القاتل عليك! قال ﷺ: وكذلك رددت، هذا اليهودي سيعضّه ثعبان ويموت، عند الصباح وجدوه غير ميت، ولكن رسول الله ﷺ صادق القول ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.(١)

قالوا له: يا رسول الله هذا حي ولم يمت، قال: يا يهودي، أطرح رزمة الحطب التي تحملها أرضاً لنرى ماذا فيها، فتح الرزمة وإذا بثعبان أسود قد عضّ خشبة من الحطب واختنق بها.

قال ﷺ: كان مقدراً أن يعض هذا الثعبان اليهودي، فسأله: ماذا فعلت يوم أمس بحيث أن الثعبان لم يعضّك؟

قال: يا نبي الله كان عندي كعكتان واحدة أكلتها، والأخرى أعطيتها لمسكين في الطريق، فقال رسول الله ﷺ: الصدقة تدفع ميتة السوء.

هذه الصدقة دفعت ذلك القضاء الذي قدّره الله تبارك وتعالى، الصدقة تدفع القضاء.(٢)

يجب أن نشحذ هممنا لبناء العراق، الإرادة مطلوبة، والحمية مطلوبة والغضب لله مطلوب، كونوا رجالاً أبطالاً أنصاراً لدين الله، يجب أن لا تغمض لنا عين والكفر والنفاق موجود، هكذا يجب أن نكون.

التشيّع والحميّة للدين:

إنّ مسألة التشيع والحميّة للدين هي التي جعلتنا محارَبين من قبل الاستكبار العالمي، ولكنها جعلتنا قادة العالم، إنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام هم الذين يقودون العالم، الشعوب اليوم بدأت تتحرك بفضل الصحوة الإسلامية انطلاقاً من شيعة أهل البيت، هذا هو الانعطاف الجديد الذي مضى عليه ربع

---

(١) النجم: ٣ و٤.

(٢) انظر نص ما رواه الكليني في الكافي: ٤ / ٥، ح ٣.

قرن منذ قيام الجمهورية الإسلامية في إيران عام ١٤٠١ هـ على يد مرجع من مراجع الدين وفقيه من فقهاء أهل البيت.

العالم الآن يتلاطم بصحوة الشعوب من ناحية، وبالتآمر على الشعوب من ناحية ثانية.

الحمية في الدين منذ ١٤٠٠ سنة جعلت شيعة أهل البيت ينادون: «إن كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني». وهي الكلمة التي قالها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

«الْحَمْدُ للّهِ الَّذي أُنادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي»

المناداة والمناجاة:

ما هو الفرق بين المناداة والمناجاة؟

الله نناجيه و نناديه ايضاً.

النداء للبعيد، والنجوى للقريب جداً.

هل أنّ الله تبارك وتعالى بعيد حتى نناديه؟

إنّ من العجائب ومن الأسرار الإلهية ومن كنوز القرآن الكريم التي كشفها أهل البيت عليهم السلام ومن كنوز المعارف الإلهية أنّ الله تبارك وتعالى هو البعيد وهو القريب، وهو الداني وهو العالي، «يا من علا فلا شيء فوقه، ودنا فلا شيء دونه» «يا من قرب من خطرات الظنون، وبعد عن لحظات العيون»[1] يعني أنّ الله أقرب إليك من حبل الوريد ومن القلب والتأمل الوجداني.

الله سبحانه وتعالى هو هذه الحقيقة التي تجمع بين البعد والقرب، وبين الظهور والبطون «يا باطناً في ظهوره، ويا ظاهراً في بطونه»[2] فالله كما هو ظاهر

---

(١) دعاء الصباح للإمام علي عليه السلام، مفاتيح الجنان/ القمي.

(٢) من دعاء في كل يوم من أيام رجب، مصباح المتهجد / الطوسي: ٨٠٣.

هو خفي وباطن ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)] ولا تبصر عينك شيئاً إلاّ والله تعالى هو أول الشيء وهو آخره، وهو ظاهره وهو باطنه، بل في الحقيقة لا شيء إلاّ لله تعالى، وهو الحق وليس شيء غيره.

وورد في دعاء السفر عن الإمام عليّ عليه السلام، وهو من روائع الأدعية: «اللهم أنت الصاحب في السَفَر والخليفة في الأهل والمال والولد» ويعني أنّ الله تعالى يأتي معنا في السفر، في السيارة والطائرة وهو «الخليفة في الأهل والمال والولد». أو هو مع أهلنا وأولادنا في منازلنا.

نَسَب الله:

جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا أنسب لنا ربك!

فانتظر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام لا يجيبهم، كان ينتظر الوحي، فنزل قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ ولهذا يقول العلماء والمفسرون: إنّ سورة الاخلاص هي نسب الله.[(٢)]

نظرية وحدة الوجود:

وهناك نظرية لعلماء الإسلام وأكدها ورسخها كبير فلاسفة شيعة أهل البيت عليهم السلام صاحب الأسفار الأربعة، الملا صدر الدين الشيرازي الملقب بـ (صدر المتألهين) وإنْ كانت مطروحة عند ابن سينا وغيره وشرحوها، إسمها نظرية (وحدة الوجود) أي أنّ الوجود الآن فيه شمس وقمر وأرض وشجر وصخر وماء وسماء، هذا يعني تعدد الوجود ويتضمن ملايين المخلوقات من

(١) الحديد: ٣.

(٢) التوحيد / الصدوق: ٩٣، باب ٤، ح ٨، والبحار / المجلسي: ٨٧ / ٥٣.

الأرض وما فوقها من المجرّات، بحيث جاء في مقالة علمية أنّ عدد نجوم السماء التي اكتشفت مذهل، فإنّها بعدد رمال البحار والمحيطات، فهل يستطيع أحدكم أن يحصيها؟

ما يشاهدونه اليوم بالتلسكوبات وما لا يُرى أضعاف ذلك ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ﴾[1] **ولهذا نحن عندما نريد أن نذهب بعيداً نقول: «سبحانك زنة عرشك، وسبحانك عدد ما أحصاه كتابك وأحاط به علمك».**

نظرية وحدة الوجود وهي النظرية التي يقولها الفقهاء والفلاسفة وتوجد بشأنها إشارات في القرآن الكريم تعني أنّ هذا الوجود المتعدد هو بالحقيقة شيء واحد، هو الله الذي لا إله الاّ هو، هو الحق، لا يوجد حق غيره، كالبحر عندما تقف على ساحله تجده واحداً لكن أمواجه وهي البحر نفسه متعددة، فهو الواحد وهو المتعدد، إذا نظرت إلى الظاهر تقول انّها أمواج متعددة، وإذا نظرت إلى عمقها تقول انّها شيء واحد هي عبارة عن ماء البحر لكنها انعكاساته.

إنّ وجود الله تبارك وتعالى واحد، وكل ما في الوجود من تعدد هي أمواج وانعكاسات للوجود الإلهي الواحد، لا عينٍ ولا لسان ولا سمع ولا بصر ولا قلب ولا شعر ولا عظم ولا لحم، إنّما يكون بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها﴾.[2]

ويمكن أن نضرب لذلك مثالاً بالعدد.

العدد واحد يأتي بعده العدد اثنان وبعده ثلاثة إلى أن تصل إلى ألف. كل ألف عبارة عن واحد مكرر، الاثنين عبارة عن واحد + واحد، الثلاثة عبارة عن واحد + واحد + واحد وهكذا كل الأعداد مرجعها إلى واحد، فالمليون يرجع إلى واحد، والمليار يرجع إلى واحد، ومئات المليارات ترجع إلى واحد، لا يوجد شيء في

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) هود: ٤١.

الوجود يخرج عن هذا الواحد، إذن هي تكررات مرة بهذا الشكل ومرة بشكل آخر. إنّه العدد واحد وله إضافات أخرى فيكون إثنين وثلاثة واربعة. هكذا هو الله تعالى حسب نظرية (وحدة الوجود).

ولهذا هو البعيد وهو القريب، إذا أردت أن تناديه إرفع صوتك، قل يا إلهي، وإذا أردت أن تناجيه فلا أحد يسمع صوتك فناجيه.

الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يقول عنه الفضل بن الربيع: كنت أتفقده _ وكان في سجن هارون، فكانت له سجدة واحدة من طلوع الشمس حتى الزوال، يقوم عند الزوال ويصلي الظهر ولا يجدّد وضوءه لأنه لم يكن نائماً بل على ذكر ومناجاة من طلوع الشمس إلى زوالها.(١)

كنا ندرس في المناهج الدراسية الحكوميّة أنّ عصر هارون الرشيد هو العصر الذهبي ويعني أنّه يملك كذا عدد من بحيرات الخمر، وكذا ملعقة من ذهب، وكذا ألف جارية، هذا هو هارون الرشيد، وهذا هو العصر الذهبي من وجهة نظرهم!؟ لكن هارون هذا هو نفسه قاتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فهل هذا هو العصر الذهبي؟

على كل حال تريد أن تناجي الله تعالى فناجيه: يا موجوداً في كل مكان، لا تحتاج أن ترفع صوتك ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ﴾.(٢)

الأعرابي والحسين عليه السلام:

جاء أعرابي إلى المدينة المنورة عنده حاجة.

سأل من هو أكرم شخص في المدينة؟ قالوا: الإمام الحسين عليه السلام، قال: يا أبا عبد الله أنا أوّلاً مدين، وثانياً لا أملك كسوة، وثالثاً أريد الرجوع ولا أملك مالاً ولا فرساً.

---

(١) أنظر مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب: ٣ / ٤٣٣.

(٢) آل عمران: ١٩١.

قال الحسين ـ وهو سيد الكرماء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المعروف على قدر المعرفة».

لاحظوا الإمام الحسين ولاحظوا همومه الثقافية، ونحن أيضاً في الوقت الذي عندنا هموم إنسانية يجب أن يكون إلى جانبها هموم سياسية وثقافية، الإمام الحسين عليه السلام يعطينا النظرية الثقافية، وهي أنّ المعروف يكون على قدر المعرفة، فلا يجوز أن نعطي من لا يستحق.

قال الحسين عليه السلام للأعرابي: أسالك ثلاث مسائل إن اجبتني على واحدة أُعطيك ثلث حاجتك، وإنْ أجبتني على اثنتين أُعطيك ثلثيها، وإنْ أجبتني على ثلاثة أُعطيك كل حاجتك.

قال: سلني يا ابن رسول الله، إذا عرفت أجبتك، وإذا لم أعرف أتعلم منك.

طرح عليه السلام الأسئلة:

السؤال الأوّل: ما أفضل الأعمال؟ فقال الأعرابي بفطرته النقية: الإيمان بالله. استحسن الحسين عليه السلام الجواب وقال: أحسنت، جمعها كلها: الصلاة والصوم والزكاة.

السؤال الثاني: كيف النجاة عند الشدة؟ بالصديق، بالعدد، المال، الجاه والعشيرة؟ أطرق الأعرابي رأسه وقال: الثقة بالله، قال الحسين عليه السلام: أحسنت.

السؤال الثالث: ما زينة المرء؟

أطرق الأعرابي رأسه وفكر ثم قال: يا أبا عبد الله زينة المرء علم معه حلم، فقال الحسين عليه السلام: فإن لم يكن؟ فقال الأعرابي: مال معه كرم؟ قال الحسين عليه السلام: فإن لم يكن؟ قال الأعرابي: فقر معه صبر، قال الحسين عليه السلام: فإن لم يكن؟ قال الأعرابي: يا ابن رسول الله هذا إذا لم يمتلك واحدة منهن فصاعقة تنزل عليه وتقتله. الحسين انشرح لجوابه وأعطاه ما أراد.[1]

---

(١) البحار / المجلسي: ٤٤ / باب ٢٦ ح ١١.

نحن يا شباب ويا شابات، نحتاج إلى المعرفة وأولها معرفة الدين، فلا تحرموا أولادكم ونساءكم من المعرفة، بعض النساء قلن أنّ الازواج لا يسمحون لهن بالمجيء إلى صلاة الجمعة، أنا أفترض أنّ نيتهم حسنة فإنّهم يخافون عليهن. المطلوب أن يشجعونهن على الدخول في المدارس الدينية، وتعلّم القيم الإسلامية، فمثلما هي للرجال هي للنساء أيضاً. الرجال يشتركون مع النساء في صلاة الجمعة كذلك الجامعة، المدرسة، والمظاهرات، ولا يصحّ أن تكون المرأة في البيت وليس لها علاقة بالدين والسياسة والمجتمع، إنّ دعاء أبي حمزة الثمالي ليس فقط للرجال بل هو للنساء أيضاً، والمعرفة في هذا الدعاء للرجال والنساء.

مصيبة الرضيع:

قبل المجيء عقدت العزم على أن أذكر الطفل الرضيع عند ذكرنا لمصيبة الحسين ونختم المجلس بهذا الذكر.

يقول المؤرخون: إن أوّل من استشهد من أهل بيت الحسين عليه السلام هو علي الأكبر، وآخر من استشهد هو علي الأصغر.

الرواية تقول: إنّ الرباب هي التي جاءت بالرضيع إلى زينب، و جاءت زينب بالرضيع إلى الحسين وقالت: أخي يا أبا عبد الله، اُطلب الماء لهذا الرضيع.

أقبل به الحسين إلى القوم يظلّله بردائه، طفله عطشان.

قال: يا قوم إن خفتم أن أشرب الماء خذوا هذا الرضيع واسقوه أنتم، اختلف العسكر، بعضهم يقول أسقوه، وبعضهم يقول لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية.

أراد ابن سعد أن يقطع نزاع القوم، توجه إلى حرملة بن كاهل الأسدي وقال: يا حرملة إقطع نزاع القوم.

قال لمن أرمي الولد أم الوالد؟

قال: ارمِ الطفل، فسدّد إليه السهم فذبحه من الوريد إلى الوريد.

الرواية تقول: إنّ الطفل أخرج يديه من القماط من حرارة السهم، الحسين في هذا المشهد الصعب وضع كفه تحت منحره فامتلأ دماً ثم رمى به نحو السماء.

إمامنا الباقر عليه السلام يقول: فلم يسقط من ذلك الدم قطرة.(١)

ولهذا إمامنا الحجة # يقول: السلام على عبد الله بن الحسين، الطفل الرضيع، المرمي الصريع، المصعد بدمه نحو السماء، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه.(٢)

أقبل الحسين عليه السلام وأعاد الطفل إلى الخيام، ثم حمل على القوم، ولم يبق للحسين ناصر ولا معين، ثم أقبل إلى القوم وهم ينكشفون بين يديه، يقول الراوي: والله ما رأيت مكثوراً قط قد قُتل أهله وولده وصحبه أربط جأشاً ولا أقوى جناناً من الحسين، يتقدم وهم ينكشفون بين يديه.(٣)

وصل إلى المشرعة وقلبه يتقطع من العطش، أخذ من الماء قليلاً، أحد الاعداء قال: يا حسين أتلتذ بالماء وقد هُتكت عيالك؟

رمى الماء من يده وأقبل إلى الخيام فوجدها سالمة، عرف أنّها خدعة، مرة أخرى عاد يقاتلهم، قال ابن سعد: ويلكم هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه حملة رجل واحد، فاقبلت إليه السهام وهو يقول:

الموت أولى من ركوب العار   والعار أولى من دخول النار

ثم حمل على الميسرة وهو يقول:

أنا الحسين بن علي   آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي   أمضي على دين النبي(٤)

(١) اللهوف / ابن طاووس: ٦٩.
(٢) إقبال الأعمال / ابن طاووس: ٣ / ٧٣.
(٣) مقتل الحسين / أبو مخنف: ١٩٣، بحار الأنوار / المجلسي: ٤٥ / ٥٠.
(٤) مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب: ٣ / ٢٥٨.

أخـذ الحسـين عليه السلام يـودّع عيالـه وإذا بسـكينة عزيـزة الحسـين تقـول: أبـه، ضع يدك على رأسي كما يُصنع باليتامى.

بينما الحسين يقاتل وقف يستريح ساعة وإذا بحجر في جبهته.

انا لله وانا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الرابعة:

الرحلة إلى الله شروطها وأدواتها

«وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ وَأَنَّكَ لا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إلا إن تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمَالُ دُونَكَ».

«وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ وَأَنَّكَ لا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إِلا إن تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمَالُ دُونَكَ».

معنى الرحلة إلى الله:

ما معنى الرحلة والسفر إلى الله تبارك وتعالى؟

هذه المسألة مذكورة في القرآن الكريم حيث يقول:

﴿يا أَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[1] **أنت متحرك نحو الله تبارك وتعالى وستلتقي بالله، إذن هناك حركة نحو الله وسفر ورحلة.**

يصنف القرآن الكريم الناس إلى مؤمنين وكافرين، والفرق بينهم هو أنّ المؤمنين يعتقدون بلقاء الله.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيهِ راجِعُونَ﴾[2] **والكافرون لا يعتقدون بذلك** ﴿أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ﴾.[3]

الرحلة التكوينية والإيمانية:

الرحلة إلى الله على نوعين: الرحلة التكوينية العامة، والرحلة الإيمانية الخاصة.

الأولى: هي رحلة جميع المخلوقات إلى الله تعالى ﴿إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى﴾[4] ﴿وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى﴾[5] **أي يرجع الخلق كله إلى الله تبارك**

---

(١) الانشقاق: ٦.

(٢) البقرة: ٤٦.

(٣) فصلت: ٥٤.

(٤) العلق: ٨.

(٥) النجم: ٤٢.

وتعالى، شاء الإنسان أم أبى، وليست هي رحلة الإنسان فقط وإنّما رحلة كل المخلوقات والكائنات، حتى الشمس والقمر فانّهما سوف يعودان يوم القيامة إلى الله، قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾(١) و﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.(٢)

والرحلة الأخرى يختص بها المؤمنون، قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(٣) إنّها رحلة خاصة لا يشترك بها الذين كفروا، وهناك نداء للمؤمنين ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾(٤) أي إلجؤوا وسافروا وارحلوا إلى الله تعالى.

وليس بالضرورة أن يكون مصير الرحلة التكوينية إلى الجنة، فقد يكون إلى النار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.(٥)

هنا يصف القرآن لنا الرحلة التكوينية المرغم عليها البشر بأن بعضهم ستنتهي رحلتهم إلى الجحيم وبعضهم إلى الجنة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.(٦)

امّا الرحلة الإيمانية فهي دائما إلى الجنة، إنّها رحلة المؤمنين نحو الله تبارك وتعالى، يبشرهم ربهم ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾(٧) هذه الرحلة يقطعها الإنسان في الدنيا حيث يلتقي بالله تعالى، والمؤمن هو على لقاء مع الله دائماً ولكن اللقاء له مستويات، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا ذَا تَعْبُدُونَ * أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ

(١) القيامة: ٩.
(٢) التكوير: ٥.
(٣) الصافات: ٩٩.
(٤) الذاريات: ٥٠.
(٥) النازعات: ٣٧ - ٣٩.
(٦) النازعات: ٤٠ و٤١.
(٧) الحديد: ١٢.

تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾(١) **الأنبياء ليسوا فقط خيّرين ويصلّون ويصومون، بل هم مستعدون لمواجهة اعداء الله.**

لما أصبح الصباح جاء الجماعة فأقبلوا عليه يزفون، قال: هل تعبدون هذه الأصنام التي أنتم بنيتموها ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً﴾(٢) **سجّروا له ناراً وألقوه فيها، قال تعالى:** ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾.(٣)

الرحلة المكانيّة والرحلة الحقيقيّة:

كل واحد يستطيع الذهاب إلى الله في الدنيا، وليالي شهر رمضان وساعات الصلاة هي ساعات الرحلة إلى الله تعالى، لكن الرحلة يا إخواني على نوعين: رحلة مكانية ورحلة حقيقية.

الرحلة المكانية تعني أن تسافر من بلدك إلى مكان آخر، لكن ليس من الضروري أن يوصلك هذا السفر إلى ما تريد، فأحياناً أنت تمر على مجموعة من الناس لكن ذهنك في مكان آخر ولا كأنك رأيتهم، فهذا السفر هو سفر مادي ومكاني وليس سفراً ولا حركة ولا لقاءاً حقيقياً. لأنّ اللقاء ليس هو لقاء العين، والرؤية ليست هي رؤية العين وإنّما لقاء الأرواح، إنّ الرؤية الحقيقية والحركة الحقيقية هي في القلب وليست العين إلاّ واسطة، مثل

(١) الصافات: ٨٣ - ٩٣.

(٢) الصافات: ٩٥ - ١٠١.

(٣) المصدر السابق.

عدسة التصوير فليست هي التي ترى بل المصوّر هو الذي يرى. ما يرى ويسافر هو القلب وليس البدن، فإذا تحرك القلب وارتحل كانت الرحلة رحلة واقعيّة واللقاء لقاءاً واقعياً.

رؤية الله سبحانه:

إنّ بحث رؤية الله سبحانه بحث علمي وفلسفي، هل يمكن أن يُرى الله تبارك وتعالى أم لا؟ اختلف علماء الإسلام على عدة آراء:

الرأي الأوّل: وهو رأي المجسِّمة، وهم عبارة عن فرقة من المسلمين الذين يقولون أنّ لله يدا وساقاً وعيناً.

يقول هذا الرأي: إنّ الله يُرى ونلتقي به ويجلس معنا، وينزل إلى الدنيا ويركب حماره، وله رجل ويضع رجله في جهنم فتمتلئ وتقول قطني قطني، وهؤلاء يرون أنّ لله تعالى وجهاً جميلاً وجماله كجمال الانسان، وقد خلق آدم على صورته.[١]

الرأي الثاني: أنّ الله لا يُرى، وفي ضوء هذا الرأي لابد من حمل الآيات التي تشير إلى رؤية الله على المجاز، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢] أي إلى رحمة ربها وبراهين ربها ومخلوقات ربها ناظرة.[٣]

الرأي الثالث: ويذهب إليه عدد من فلاسفة الإسلام ومحققي فلاسفة شيعة أهل البيت وهو أنّ الرؤية ممكنة، ولا داعي لحملها على المجاز، بل نحملها على الحقيقة، لكنها ليست رؤية العين، بل رؤية القلب وهي الرؤية

---

(١) أنظر شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣ / ٢٢٧ و٢٢٩.

(٢) القيامة: ٢٢ و٢٣.

(٣) عن علي بن موسى الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: يعني: مشرقة، تنتظر ثواب ربها. أمالي الصدوق: ٤٩٤ / ٦٧٢ / ١، الاحتجاج / الطبرسي: ٢ / ١٩١.

الحقيقية، إذا تجردت روح الإنسان عن بدنه فلا يملك عين بعدها ولكنه يرى، ولا يملك أُذناً ولكنه يسمع السمع الحقيقي، إذا عبرنا حاجز العين وحاجز الأذن فسوف يكون اللقاء والرؤية أكثر دقة وأعظم، ويحصل التقاء الأرواح حيث لا توجد حواجز بدنية، ولهذا حينما سُئل أمير المؤمنين: هل رأيت ربك؟ قال: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره _ ويقصد الرؤية القلبية.(١)

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ يعني أنّ اللقاء بالله تبارك وتعالى ممكن، ولكن ليس بمعنى لقاء الأبدان.

حينما تقف للمناجاة بين يدي الله وتذرف عينك الدمعة يكون اللقاء قد تحقق وتلك الساعة من أعذب الساعات، يكون قلبك قد سافر والتقى بالله وهذا هو اللقاء الحقيقي.

ولهذا جاء في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك، فدونك دونك فقد قصدت قصدك.(٢) ويعني انفتح لك الباب وأُجيب لك.

إنّ أقرب لحظات ابن آدم إلى الله تبارك وتعالى هو موضع السجود إلى الله تعالى، إنّه اللقاء الروحي، بل هو اللقاء الحقيقي وليس لقاء الأبدان أصلاً.

مواضع اقتراب الشيطان من الإنسان:

رأى نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ابليس ذات مرة، قال: يا نوح

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال: فقال: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. الكافي / الكليني: ١ / ٩٧، ح ٦.

(٢) الكافي / الكليني: ٢ / ٤٧٨ ح ٨.

إنّ لك عندي يداً، وهذا اصطلاح عربي جميل، يعني أنت صاحب فضل عليّ، وأريد أن أكافئك.

قال نوح: أعوذ بالله.

قال ابليس: أنا في النتيجة ربحت.

قال نوح: كيف؟

قال: دعوت على قومك فغرقوا وكلهم ذهبوا إلى جهنم وأنا استرحت وهذا ما أريده، أنت خدمتني من حيث لا تشعر، لست محتاجاً بعد الآن لأن أتعب نفسي وأضلّ وأغوي وأحتال.

قال نوح: عجيب! والآن ماذا تريد؟

قال: أريد أن أكافئك يا نوح على هذه اليد والفضل الذي عملته لي.

أذكرني يا نوح في ثلاثة مواضع أكون أقرب ما يكون لابن آدم، ولا يستطيع الإنسان أن يتجنبها ولكنه ليحذر منها، ولهذا لم يقل ابليس ابتعد، وإنّما قال اذكرني وكن على حذر في تلك المواضع، وهي:

١ ـ «إذا غضبت»، فالإنسان إذا غضب يصبح كتلة نار، ويفقد السيطرة على نفسه، يعني يتلاعب به إبليس يميناً وشمالاً فيفقد التوازن.

٢ ـ «إذا حكمت بين اثنين»، فالقاضي موضع خطر جداً، وإن كان لابد من قضاء، و الأنبياء والأئمة كانوا قضاة والإمام عليّ عليه السلام كان قاضياً، لكن القاضي موضع خطر جداً، فإذا ابتعد عن الموضوعية والصدق قليلاً، ومالت نفسه لغير الحق فإنّه يعني أنّ إبليس قد تغلب عليه وصدر القضاء بغير حق.

٣ ـ «إذا خلا الرجل بامراة» والشاب مع الشابة مع عدم وجود غريب ولا قريب فإن الشيطان ثالثهما،[1] ولهذا يقول علماؤنا يحرم الخلوة بالأجنبية لأنّ الشيطان ثالثهما.

---

(١) انظر نص الرواية في: الخصال / الصدوق: ١٣٢ / ١٤٠.

لنتساهل في الزواج:

وأنا أوصي شبابنا وأولادنا وبناتنا بأن يطلبوا الحلال، فقد أحل الله تبارك وتعالى الرجل للمرأة والمرأة للرجل بشرطها وشروطها، وشعوبنا ظُلمت وعاشت عقود نكبات ومأساة، وحُرم شبابنا وبناتنا من الزواج، واليوم يجب أن نملأ هذه الفراغات، وأنا أدعو شبابنا وأولادنا جميعاً للإقدام على الزواج، وأدعو الآباء والأمهات أن يشجعوا أولادهم وبناتهم ويساعدوهم على الزواج، ولا يطلبوا الولد الأمثل للفتاة والبنت المثلى للولد، إذ لا يوجد في الدنيا من هو الأمثل إلاّ من عصمه الله سبحانه وتعالى فهؤلاء بشر، فتعالوا وكونوا أكثر واقعيين، فإذا كنتم تنتظرون الصهر المثالي فسوف لا تحصلون عليه، والبنت كذلك.

ولهذا تقول الثقافة الإسلامية التي حُرمت المجتمعات الإسلامية منها: يستحب أن يطلب الإنسان المرأة الكفوءة له، وفي الوقت نفسه تقول الروايات وعلى ضوئها يفتي العلماء: يستحب للمرء أن يتزوج غير الكفوءة أيضاً، حتى نكون واقعيين، ولهذا كان أئمتنا عليهم السلام يتزوجون من الإماء لا من البيوتات ولا من عوائل متميزة، حتى يقولوا لنا أنّ تكوين الأسرة مسألة مهمة، وأن لا ننتظر تلك الحالة المثالية.

وبدلاً من أن يتورط الإنسان في معصية يجب أن يدخل الطريق الذي فتحه الله تبارك وتعالى لعباده وهو الزواج الشرعي، وفي ذلك فضل وثواب عظيم، وهو أحد حلول مشكلات الكآبة والمأساة والبؤس والشقاء في مجتمعاتنا، وهذه دعوة جدية ندعوكم لها أيها الشباب وأيتها البنات وأيها الآباء وأيتها الأمهات، وحجة عليكم خاصة الذين لا يساعدون أبناءهم وبناتهم على الزواج، أو يطلبون حالات مثالية غير متوفرة فإنّهم يتحملون حالات المعصية إذا ارتكبها الشباب أو الشابات.

الموضع الأقرب إلى الله:

إنّ أقرب موضع لابن آدم إلى الله تبارك وتعالى هو حينما يكون ساجداً،[١] والسفر إلى الله شرطه حضور القلب والنية وليس سفر البدن، إذن الشرط في الرحلة إلى الله تبارك وتعالى هو النية الصالحة.

قال الإمام السجاد عليه السلام: «وأنّ الراحل إليك قريب المسافة، وأنّك لا تحتجب عن خلقك إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك».

الأعمال السيئة هي التي لا تسمح لنا بلقاء الله ورؤيته تبارك وتعالى.

«وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي» كما نقرؤه في دعاء ليلة المبعث النبوي الشريف.

الصلاة والصوم رحلة إلى الله ولكن بشرط إقبال القلب، وهكذا مجالس العلماء، لو انتبهتم الآن قليلاً وجدتم أنفسكم جالسين في سفينة تسير بكم وأنتم غافلون، كالسفينة التي تسير بأهلها لو نظروا إلى يمينهم لرأوا حركتها، أنتم الآن في هذا المجلس ترتحلون إلى الله تعالى. مجالس العلماء هي إحدى فرص الرحلة والسفر إلى الله تبارك وتعالى بشرط الإقبال والنية الحسنة.

أساليب الشيطان:

تذكر بعض الأحاديث القصصيّة والتربوية أن عابداً في بني إسرائيل قيل له: في المكان الفلاني قوم يعبدون شجرة، أخذ الفأس وتوجّه إليها ليقتلعها، في الطريق التقى به إبليس على شكل انسان وقال له: أين تذهب؟

قال: سمعت أنّ جماعة يعبدون شجرة وأنا ذاهب لأقتلعها.

فقال: أنا إبليس ولا أسمح لك.

---

(١) عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام قال: أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل وهو ساجد، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾. الكافي / الكليني: ٣ / ٢٦٤ ح ٣.

فقال: ليس الأمر لك، فقال إبليس: جيد، نتصارع والبقاء للأقوى، فإذا صرعتني إذهب واقطع الشجرة، واذا صرعتك فلا أسمح لك بالعبور.

استجاب المؤمن ورمى الفأس وتصارعا، في الجولة الأولى أسقط العبد الصالح إبليس بالضربة القاضية، فقال إبليس: استسلمتُ اذهب واقطع الشجرة، وعندما ذهب جاءه إبليس عن طريق المكر والإغراء وقال: أيها العبد الصالح أنت تتعب نفسك وتذهب لتقطع الشجرة لكيلا يعبد هؤلاء الناس تلك الشجرة، أليس كذلك؟ قال نعم، قال: كم ركعة تصلي يومياً؟ قال: مائة ركعة، قال: لماذا لا تصلي أكثر؟ قال: لا أستطيع فإنّ أعمالي كثيرة، قال له: جيد سأُعطيك نفقة عيالك، وبدلاً من أن تصلي مائة ركعة صلّ ألف ركعة وهذا أكثر ثواباً لك. ولكن بشرط أن تترك هؤلاء الذين يعبدون الشجرة وفي ذلك ثواب وراحة وعبادة، فانخدع هذا العبد الصالح ووافق.

وقال: كيف ستعطيني مبلغ النفقة والراتب الشهري، إذا أتيتني أمام الناس سأنفضح بأن إبليس يعطي للعابد الفلاني راتباً.

فقال إبليس: هذه ليست صعبة، أنت تجد المال تحت الوسادة كل يوم حتى إذا حل آخر الشهر تكون قد استلمت الراتب كله.

قال: وإذا لم تأت كيف؟ قال: الفأس بيدك فاذهب إلى الشجرة واقطعها فَخُدِعَ المسكين، وذهب في اليوم الأول وصلى ألف ركعة ووجد المال حاضراً تحت الوسادة، وهكذا في اليوم الثاني والثالث والرابع وبدأ يتعافى وتنوعت مائدته وأخذ بدنه يقوى ويسمن حتى خدر جيداً، وبعد شهرين انقطع الراتب، فقال لعل إبليس غير متقصد إن شاء الله ولعله نسي، ولكن لم يأت الراتب في اليوم الثاني أيضاً وهكذا في اليوم الثالث والرابع، فقال: لابد أنّه متعمد وفعل فعلته وغَدَرَ بي، فأخذ الفأس وذهب إلى الشجرة، وفي الطريق التقاه إبليس وقال: أين تذهب؟ فقال أذهب لأقطع الشجرة، قال لا أسمح لك، فقال ليس الأمر لك، فلنتصارع.

في الجولة الأولى صرع إبليسُ العابدَ فتعجب، وهكذا في الجولة الثانية والثالثة وقال: لا أجعلك تقلع الشجرة، فقال العابد: استسلمتُ، ولكن ماذا فعلت وما الذي حَدَثَ؟ أنا في المرة الأولى صرعتك في الجولة الاولى وأنا يومئذ نحيف وضعيف أمّا الآن لقد أصبحت قوياً معافاً ومع ذلك ليس لي قدرة على مقاومتك وقد صرعتني بالضربة القاضية، فما الذي حصل؟

قال: أولاً كنت أعطيك راتباً من المال الحرام المكتسب من الخمور المشروبة ثلاثة أشهر، وثانياً إنّ نيتك قد اختلفت، كانت نيتك في المرة الأولى قربة إلى الله تعالى ولهذا صرعتني، ولا أستطيع أن أتغلب على شخص نيته قربة إلى الله، لا أحد يستطيع التغلب على من يعمل لوجه الله لا أبليس ولا صدام ولا حزب البعث، والآن اختلفت النية عندك وصارت قربة إلى الراتب وليس إلى الله تعالى فلا تستطيع التغلب عليّ.

هكذا السفر إلى الله شرطه النية الصالحة، ولهذا لا يُقبل من الصلاة الاّ بما أقبل المرء على الله تعالى بقلبه.

أدوات السفر:

هناك روايات وقصص جميلة وبحوث ولكن الوقت لا يسمح لنا بتناولها.

إنّ سبل الرحلة إلى الله وأدواتها ليست المال بل هي التقوى ﴿وَتَزَوَّدُوا فإن خَيْرَ الزَّاد التَّقْوى﴾.(١)

هذه أدوات السفر إلى الله تبارك وتعالى، فكل من أراد أن يكون مسافراً إلى الله يجب أن يعد العدّة وهي التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢) و﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.(٣)

---

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) الصافات: ٨٤.

(٣) الشعراء: ٨٨ و٨٩.

بينما سبل السفر المادي هي عبارة عن الطعام والشراب والسيارة وما شاكل ذلك.

مصيبة السبايا:

بعد مقتل الحسين عليه السلام يوم العاشر أقبلوا بالنياق وحملوا النساء وقالوا مرّوا بهن على قتلاهم، الرواية تقول أنّ العقيلة زينب هي التي طلبت ذلك فأخذت كل واحدة تخاطب قتيلها. ليلى تخاطب الأكبر، ورملة تخاطب القاسم، وزينب تخاطب الحسين عليه السلام.

تقول الرواية: إنّ العقيلة كانت منها التفاتة إلى زين العابدين عليه السلام، حيث خشيت عليه أن يُغمى عليه ويقع صريعاً لأنّه كان مريضاً، فحاولت أن تشاغله وهمّت أن تلقي بنفسها على الجسد الشريف، إلتفت زين العابدين وقال: عمة، إذا رميتِ بنفسك فمن يركّبك على ظهر الناقة وأنا عليل مقيّد، قالت: إذن ماذا أصنع؟ قال: عمة، ودّعيه وأنت على ظهر الناقة، أخذت زينب تنظر إلى جسد الحسين وتقول: يا ابن أم، والله لو خيّروني بين المقام عندك أو الرحيل عنك لأخترت البقاء عندك، ولو كنت أعلم أنّ السباع تأكل من لحمي.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الخامسة:

إجابة الدعاء لطف أم استحقاق

«وَقَدْ قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِطَلِبَتِي، وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَتِي، وَجَعَلْتُ بِكَ اسْتِغَاثَتِي، وَبِدُعَائِكَ تَوَسُّلِي، مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ لاسْتِمَاعِكَ مِنِّي، وَلا اسْتِيجَابٍ لِعَفْوِكَ عَنِّي، بَلْ لِثِقَتِي بِكَرَمِكَ».

من آداب الدعاء:

بعد أن يبدأ الإمام السجاد عليه السلام بالحمد والثناء والتمجيد لله تعالى، والاعتراف بالخطأ والتقصير، وبعد التحدث عن جلال الله وكرمه وهو من آداب الدعاء يبدأ بالدخول على الله تعالى.

لاحظوا كيف بدأ الإمام زين العابدين بالاعتراف بالاستحقاق للعقوبة والحاجة إلى الأدب «إلهي لا تؤدبني بعقوبتك» يعني أنا مذنب وقفت بين يديك، ثم يبدأ بالثناء ويقول: «الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني... والحمد لله الذي أسأله فيعطيني،... الحمد لله الذي لا أدعو غيره،... الحمد لله الذي لا أرجو غيره» هذا قبل أن يبدأ بالسؤال ويقول ما هي حاجته، فمن غير الأدب أن يبدأ الإنسان بالقول: حاجتي كذا وكذا أعطني إيّاها.

من آداب الدعاء أن يبدأ بالحمد والثناء كما ورد في دعاء الافتتاح: «اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك، وأنت مسدد للصواب بمنك» ثم يصل إلى الدعاء.

لاحظوا أنّ الإمام بدأ بالمقطع الأوّل: «إلهي لا تؤدبني بعقوبتك، ثم الحمد والثناء: الحمد لله الذي..، الحمد لله الذي...» ثم المقطع الثاني وفيه شرح صورة من صور الكرم والجود الإلهي، حيث يقول: «اللهم إني أجد سبل المطالب إليك مشرعة» إلهي أنا بعد أن حمدتك واثنيت عليك أجد أن الطرق في عرض المطالب والحاجات عليك مفتوحة «ومناهل الرجاء لديك مترعة» يعني أنّ روافد الرجاء التي تعطي الإنسان حاجاته ورجاءه مملوءة مترعة، «والاستعانة بفضلك لمن أمّلك مباحة» أي من يستعين بك تكون الاستعانة له مباحة «وأبواب الاجابة للداعين إليك مفتوحة، وأعلم أنك للراجين بموضع

إجابة، وللملهوفين بمرصد إغاثة» هذا كله عرض للشأن الإلهي قبل أن يصل إلى حاجته، ثم يقول: «إنّ في اللهف إلى جودك والرضا بقضائك عوضاً من منع الباخلين، ومندوحة عما في أيدي المستأثرين» إلى أن يقول: «وقد قصدت إليك بطلبتي».

هذه المقاطع ليست خليطا غير مدروس، بل منسّقة بشكل عجيب، عندما يدرسها الإنسان يتصور أنّ الإمام قد جلس يؤلف كتاباً ذا فصول، في حين أنّ الإمام مسترسل لكن الفصول والانتقالات والتحولات عجيبة ومرتبة منسقة، يقول: «وقد قصدت اليك بطلبتي، وتوجهت إليك بحاجتي، وجعلت بك استغاثتي، وبدعائك توسلي» لا أتوسل بعملي وأموالي وعشيرتي وأبنائي وجهدي، وإنّما أتوسل إليك بدعائي.

إلهي إنّي أعترف حينما أدعو، وأقصد الدخول عليك بأنّي غير مستحق لأن تجيبني «من غير استحقاق لاستماعك مني» ممكن أن لا تسمعني أصلاً، وتقول إنّي لا أستمع اليك، ولا أجيبك «ولا استيجاب لعفوك عني» ولا عفوك واجب ايضاً، أنا أطرق الباب أيها الكريم ولا أقول إنّ من واجبك أن تفتح الباب وتعطيني، وأنا مستحق لدخول دارك، لكن شأن الكريم هو أن يفتح الباب ويعطي السائل.

لاحظ ذلك الأدب العظيم، لا يستطيع أحد أن يقول يجب على الله أن يعفو عني ويسمع دعائي، لا نبي ولا ملك من الملائكة، ولا يجب على الله تعالى أن يستمع «من غير استحقاق لاستماعك مني، ولا استيجاب لعفوك عني بل لثقتي بكرمك».

قانون الملازمات الطبيعية أو قانون اللطف والحنان؟

هل إنّ قانون الملازمات الطبيعية ينطبق على الدعاء والاجابة أو قانون اللطف والحنان؟ الأب يجب عليه شرعاً أن ينفق على ولده، لكن يوجد شيء آخر غير وجوب الانفاق، فالأب مرة يعطي ألف دينار لابنه، ومرة يدلل ابنه ويتحنن عليه ويعطف عليه ويجلس معه على المائدة ويقول له: يا ولدي سأوفر لك كل ما تحتاجه.

يجب على الوالد الانفاق على ولده، وكذلك الزوج على زوجته، ولكن فرق بين ولد يأتي بقدح ماء لوالده قائلاً متى أستريح من خدمتك؟! وبين من يأتي بقدح ماء لوالده ويجلس بين يديه مؤدباً.

هل سمعتم بقصة الشاب الذي قامت أمه بتربيته والسهر عليه فلمّا كبر صار بعثياً، جاءت إليه وقالت: بحق تربيتي وليالي السهر أريد منك حق التربية والحليب والرضاع، فذهب وأتى لها بسيارة حليب معقم قائلاً خذيه وخلصيني! هل هذا تعامل صحيح بين الولد وأمه؟ إنّ العلاقة بين الأب والأم والابن علاقة حنان. إن ما نريد أن نقوله بعد هذه الأمثلة أن هناك قانون الالزام والوجوب، وهناك قانون اللطف والعطف والتفضل.

فالنار حينما تضع عليها ورقة تحترق، والحديدة التي تضعها في الماء تغرق، والورقة التي تضعها في الماء تبتل.

فهل العلاقة بين الدعاء والاجابة هي علاقة وجوب وتلازمات طبيعية لتقول أنا دعوت إذن لابد أن يستجيب الله لي، أم قانون آخر هو قانون اللطف والعطف والتفضل من الله تعالى؟

القرآن والاسلام يشرح لنا قانوناً آخر اسمه قانون العطف والحنان، وفيه إن شاء العطوف أن يعطف عطف، وإن لم يشأ ذلك فله ذلك، ليس لي أن أجبره (من غير استحقاق لاستماعك مني) أنا غير مستحق أن تستمع مني (ولا استيجاب) ولا يجب عليك أن تعفو عني.

قانون اللطف الإلهي:

إذن يبقى سؤال، ما معنى ما يقول الفقهاء وعلماء الكلام من قاعدة اسمها (قاعدة اللطف) القائلة: يجب اللطف على الله تعالى؟

الله تبارك وتعالى عادل، لكن يوجد شيء أعلى مرتبة من العدالة هو أنه الرحيم العطوف المحسن.

العدل هو إعطاء الحق، والاحسان هو إعطاء الزائد عن الحق.

لا يريد الله منا العدالة فقط بل يريد العدالة والاحسان، أن تصلي الصلاة الواجبة ومعها النافلة المستحبة، الأولى عدل والثانية إحسان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾.(١)

لله تبارك وتعالى الأسماء الحسنى، فهو العادل، وهو اللطيف المحسن، وهو الرؤوف، وهو العطوف، وهو الجواد، وهو الكريم، هذه مراتب أعلى من العدالة.

هل نستحق شيئاً على الله تعالى؟ بحيث يجب على الله أن يعطينا طعاماً وعافية ورزقاً وولداً وحياة وطول عمر؟

يموت الأطفال بالملايين، والملايين من الناس مرضى، لماذا يجب على الله أن يجعلني معافى مباركاً غنياً؟ إنّه عطف من الله، لو أراد الله أن يعاملنا بعدالته ما بقي منا أحد على قيد الوجود ولم يخلقنا أصلاً، نحن لا نستحق أن نوجد، ولهذا القرآن الكريم يقول: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾(٢) حتى الأنبياء لو أراد الله أن يؤاخذهم بأدنى زلّة أو تخلف أو غفلة وليس شرطاً أن يكون محرّماً.

ويقول في آية أخرى: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾(٣) كان الله يعجل لهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة كقوم نوح، هذا هو مقتضى قانون العدالة.

ولكن هناك قانون آخر هو قانون الاحسان واللطف والجود والكرم والرحمة، هذه أخلاق إلهية كتبها الله تبارك وتعالى على نفسه، وليس ذلك واجباً عليه بل إنّه شأنه، مثل الكريم شأنه أن يعطي، طبع الكريم الكرم.

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) فاطر: ٤٥.

(٣) الكهف: ٥٨.

قال سبحانه أنا رحيم وسوف ألتزم يا عبادي بالقرارات التي اتّخذتها على نفسي وليس أنتم الذين توجبونها عليّ، أنا فرضتها على نفسي ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(١) من قبيل أن تعد شخصاً بأن تعطيه هدية في اليوم الفلاني، فليس ذلك واجباً عليك، لكن حينما كتبت على نفسك ذلك فلابد أن تلتزم، لأن اخلاقك تقول لك لابد أن تلتزم، وعلماء الكلام حينما يقولون يجب اللطف على الله تعالى فإنّهم يعنون أنّه كتب على نفسه الرحمة، إذن نحن ننتظر منه الرحمة.

النبوة واجبة:

ما ذكر هو قاعدة اللطف، ويستدل بها علماء الكلام على وجوب البعثة والنبوة ثم وجوب الإمامة، حيث يقولون: لا يمكن أن يترك الله الناس بدون نبي، وبعد النبي لا يمكن تركهم بلا إمام، فاللطف يقتضي أن يبعث الله لهم نبياً، ثم يختار له وصياً، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(٢) أي إنّ لطفي ورحمتي هي أن لا أعذب أمة من الأمم إلاّ وأبعث لها رسولاً، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٣) سأضع منذراً وآخر إماماً هادياً بعد المنذر المؤسس، هذه هي قاعدة اللطف.

إجابة الدعاء لطف:

نحن ندعو وننتظر الاجابة، تقول الرواية: إذا دعوت فظنّ أنّ حاجتك بالباب.(٤) على أي أساس ننتظر الاجابة؟ هنا الدعاء فيه استدلالات علمية لطيفة رائعة بحيث لا تشعر أنّ الإمام يقوم ببحث برهاني، بل كأنه يكتب رسالة محبة بين شخص وآخر، أين الجامعيون المثقفون والجامعيات

---

(١) الأنعام: ٥٤.
(٢) الإسراء: ١٥.
(٣) الرعد: ٧.
(٤) الكافي / الكليني: ٢ / ٤٧٣، (باب اليقين في الدعاء) ح ١.

المثقفات؟ أنظروا إلى علوم أهل البيت بصياغات أدبية، إنّها صياغات دعاء لكن يا لها من علوم إنّه يقول: (من غير استحقاق لاستماعك مني، ولا استيجاب لعفوك عني) بل بأربع أدلة انتظر الاجابة منك يا إلهي:

الدليل الأوّل: ثقتي بكرمك، والكريم لا يرد السائل الفقير.

الدليل الثاني: سكوني إلى صدق وعدك، فأنت حينما تعِد لا تخلف الميعاد، قلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١) حينما تذهب إلى كريم دعاك إلى مائدة إفطار تقول: أنت دعوتني فلابد أن تعطيني.

الدليل الثالث: لجوئي إلى الإيمان بتوحيدك، أنا مؤمن بك والإيمان هو أعظم كهف نلجأ اليه، أنا ألجأ إلى الإيمان بتوحيدك وهو أفضل درع وحاجز بيني وبين النار.

الدليل الرابع: يقيني بمعرفتك أنّي لا أملك رباً غيرك، فأين أذهب؟ يعني أنت تذهب إلى المضيف الذي يعود للكريم وتطرق الباب قائلاً: لدي ثقة بأنك كريم، إنّ أفضل محبة تقدمها لشخص هي حينما تعتقد به حقيقة، إنّ ذلك أهم من الأموال وكل شيء، إلهي لا أستطيع أن أعطيك شيئاً لكنني معتقد بك، أنا على يقين بأنّك تعلم أني لا أملك أي باب وبيت آخر. فأين أذهب؟ أنت كريم ودعوتني وأنا معتقد بك، وأنت تدري أني ليس لي مأوىً، فهل يصح أن لا تعطيني؟ هذا هو الاستدلال الجميل.

أنت القائل وقولك صدق ووعدك حق: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.(٢)

سبعة في ظل العرش:

في الرواية عن رسول الله ﷺ: سبعة في ظل عرش الله يوم لا ظلّ الاّ ظلّه:

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) النساء: ٣٢.

١ ـ إمام عادل.

٢ ـ شاب نشأ في عبادة الله: نشأ بين المسجد والقرآن، وبين الموعظة والرسالة العملية، وبين زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وبين صلة الرحم وبين محبة الوالدين، وبين خدمة الناس وعبادة الله، هذا الشاب ينشأ نشأة صالحة.

٣ ـ رجل تصدق بيمينه فأخفاها عن شماله، أي ليس رياءً.

حينما نزلت الآية القرآنية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1] **بإجماع الرواة المسلمين، أبناء العامة والخاصة، (المقصود من ابناء العامة هم أبناء السنّة وعوام المسلمين، وأبناء الخاصة هم الشيعة الذين هم الأقلية بين المسلمين اختصهم الله تبارك وتعالى بولاية أهل البيت) في عليّ عليه السلام حينما دخل سائل مسكين إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسأل الناس ولم يستجب له أحد، كان أمير المؤمنين عليه السلام يصلي وفي حالة الركوع فمدّ يده إليه فأخذ الخاتم، يستحق الإمام علي عليه السلام أن تنزل الآيات بحقه، فهذا إخلاص لله، اما عمر فيقول كما في بعض الروايات: تصدّقت بعد أن نزلت هذه الآية بأربعين خاتماً وأنا راكع لينزل فيَّ ما نزل فيّ علي بن أبي طالب فما نزل.[2] لأن النية اختلفت، الله ليس بحاجة إلى الخاتم ولا الخاتم هو الذي ينزل الآيات، إنما النية الصالحة.**

حينما دعوناكم للمشاركة في هذه الأعمال الدينية والمواكب الحسينية انطلق الناس رجالاً ونساءً للتبرع بشكل لا يتوقعه أحد، قلت لأخواننا علّموا الناس ليساهموا في المشاريع الدينية، إجمعوا التبرعات لصلاة الجمعة، قال البعض: إنّ ذلك لا يناسب، قلت: هذا ما يقوله الله تبارك وتعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾،[3] **أنفقوا في سبيل الله، لنعلّمهم العطاء وستجدون كيف تتحول القلوب.**

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) الأمالي / الصدوق: ١٨٦، ح ١٩٣ / ٤.

(٣) التوبة: ١٠٣.

تساوي الرجل والمرأة في العمل:

ستعترض النساء عليّ بأنّ الحديث كله عن الرجل، فهل يجوز للمرأة أن تتصدق؟

هذه ملاحظة مهمة في فهم الأحاديث سواء القرآن الكريم أو أحاديث السنّة الشريفة، فحينما يأتي لفظ رجل أو عبد أو ما شاكل ذلك فليس المقصود هو البعد النوعي أنّ هذا ذكر أو أنثى، إنّما المقصود هو البعد الإنساني، ولهذا فإن القرآن الكريم وهذه إلتفاتة مهمة جداً، لا يذكر الرجل إلاّ ويذكر إلى جانبه إمرأة، لا يذكر العبد إلاّ والى جانبه الأمَة، لاحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾.(١)

﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾.(٢)

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾.(٣)

﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾.(٤)

ومعنى ذلك أن القرآن الكريم حينما يتناول عنوان الرجل أو العبد أو المسلم أو السارق مثلاً من زاوية البُعد الذكوري فيه فإنه سرعان ما يذكر إلى جانبه المرأة والأمة والمسلمة والسارقة إلى سائر العناوين للتأكيد على مشاركة البُعد الأنوثي أيضاً، بخلاف الحال حينما يذكر القرآن عنوان الذين آمنوا أو بني آدم أو الإنسان، حيث يكون المقصود فيها الإشارة إلى البُعد الإنساني الذي تشترك فيه المرأة والرجل، فنلاحظ هنا أن القرآن لا يعمد إلى

(١) البقرة: ٢٢١.
(٢) نفس المصدر.
(٣) الأحزاب: ٣٥.
(٤) آل عمران: ١٩٥.

ذكر المرأة بعنوانها الخاص وإنما يكتفي بالعنوان العام الذي تشترك فيه المرأة مع الرجل وهو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يا أَيُّهَا الإِنسانُ﴾ وما شاكل ذلك.

والحديث السابق حينما يتحدث عن (رجل تصدق بيمينه فأخفاها عن شماله) إشارة إلى البُعد الإنساني في الرجل الذي تشترك معه المرأة وليس إلى البُعد الذكوري.

الحقيقة أن مجتمعنا يجب أن يبنى بناءً جديداً على أساس الاسلام، في الإسلام طالما يوجد رجل في العمل وفي الساحة لابد أن تكون إلى جانبه إمرأة.

الحسينية فيها رجل إذن فيها وامرأة، صلاة جماعة فيها رجل وفيها امرأة ايضاً، وهذا ما سبق أن شرحناه في صلاة الجمعة.

فحين يقول الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: رجل تصدق، ليس المقصود الرجل فقط، يعني عبد من العباد، سواء أكان ذكراً أو انثى، هذا من باب التغليب.

٤ _ رجلان اجتمعا على طاعة الله وافترقا على طاعة الله.

اثنان صداقتهما قائمة على أساس الدين، يجتمعان في سفر على أساس ديني، ويفترقان وكل واحد يتجه إلى مدينته على أساس ديني ايضاً، اجتمعا وذهبا إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام أو جاءا إلى مجلس شرح دعاء أبي حمزة الثمالي على أساس ديني، افترقا فذهب أحدهما إلى لجنة مكافحة البعث في المناذرة مثلاً وذهب الآخر إلى لجنة مكافحة البعث في الكوفة، كل واحد يؤدي واجبه، ولم يختلفا وإنّما تباعدا لأنّ كل واحد له مسؤولية.

٥ _ رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من الدموع.

كان وحده في البيت، أو في الصحراء يصلي ويدعو وفاضت عيناه من الدموع، عجيب كم يؤكد الإسلام على هذه الدمعة!؟ على خلاف الثقافة الوهابية التي تعتبر البكاء عيباً، يقولون للرجل عندما يبكي من خشية الله: هل أنت إمرأة؟ عجيب! هل كان الأنبياء نساءً؟!

البكاء من خشية الله شرف، نحن أتباع القرآن أم أتباع ماذا؟ القرآن يقول: ﴿وَإِذا سَمِعُوا ما أُنزِلَ إِلى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾،[1] هل هؤلاء كانوا نساءً؟!

قبل عشرين سنة أو أكثر كنت جالساً في مسجد النبي ﷺ عند قبره، ولعلّي لم أكن متوجهاً إلى من حولي، كنت أزور النبي وأبكي، فجاءني أحد الوهابيين وقال: ما هذا البكاء؟ استغربت لأني لأوّل مرة كنت أذهب فيها إلى الحج ولم أشاهد مثل هذا الموقف، أي بشر هؤلاء؟

قلت له: يقول القرآن: ﴿تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[2] و﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾[3] لكنه كان في عالم آخر، لا ينفع معهم الدليل والحجة والجدل أصلاً.

٦ ـ شاب دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال: إنّي أخاف الله، يعني رجل حاولت امرأة أن تغريه فقال: العياذ بالله، إنّي أخاف الله ولا أرتكب محرّماً.

٧ ـ رجل قلبه متعلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود اليه.[4] يصلي صلاة الجمعة أو الجماعة، يقول إن شاء الله غداً أو الأسبوع القادم أيضاً أحضر لأستمع ماذا يقول هذا العالم، يحضر في الحسينية الفاطمية الكبرى وعندما ينتهي المجلس يقول: لنرى غداً ماذا يقول هذا السيد.

هذه سبعة عناوين في ظل الله يوم القيامة، طبّقوا على أنفسكم ولاحظوا هل ينطبق عليكم أحد هذه العناوين أم لا؟

إن شاء الله ينطبق عليكم أكثر من واحد. وأنتم الآن مجتمعون في

---

(١) المائدة: ٨٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإسراء: ١١٠.

(٤) الخصال / الصدوق: ٣٤٢، ح ٧.

طاعة الله، ونحن نأمل ونرجو من الرب الكريم الودود أن يجعلنا تحت هذه العناوين ونكون يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل إلاّ ظله.

قصة سعد بن معاذ:

نبقى عند قوله: «بغير استحقاق لاستماعك مني، ولا استيجاب لعفوك عني» نحن لا نستوجب شيئاً على الله تبارك وتعالى، فهذا سعد بن معاذ وكان من خيار صحابة رسول الله ﷺ لما مات اشترك رسول الله ﷺ في تشييعه وفي دفنه، فرحت أمه بهذا المنظر وأصبحت فرحة مسرورة، فقالت: هنيئاً لك الجنة يا سعد، فسمعها رسول الله ﷺ وقال: يا أم سعد لا تجزمي على الله، ثم شرح لها أنّ لسعد ضغطة في قبره نتيجة سوء أخلاقه مع زوجته،[(١)] وهذه الضغطه تعادل صعوبات الدنيا كلها، صحيح أنّه من خيار صحابة رسول الله ﷺ لكن كان فيه هذا الخلل.

الشاهد في هذه القصة أننا لا نستطيع أن نقول يجب على الله تعالى أن يدخلنا الجنة مهما كنّا ومهما كانت أعمالنا صالحة.

المؤاخاة بين النبي ﷺ وعليّ عليه السلام:

آخى رسول الله ﷺ بين المؤمنين، وبقي علي عليه السلام منتظراً لمن يؤاخي رسول الله، فصاح ﷺ: يا عليّ أنت أخي وأنا أخوك.[(٢)]

هذه مؤاخاة باتفاق المسلمين جميعاً العامة والخاصة، وفي عالم السماء جبرائيل وميكائيل إخوان ايضاً، إذا ذُكر جبرائيل ذُكر ميكائيل دائماً، ولهما مقام مشترك في الشرف والجلالة.

---

(١) راجع نص الرواية في أمالي الطوسي: ٤٢٨ / ح ٩٥٥ / ١٢.

(٢) انظر حديث المؤاخاة في كتاب مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٢، والمعجم الكبير / الطبراني: ١ / ٣١٩ ح ٩٤٩.

الله تبارك وتعالى أوحى: يا جبرائيل ويا ميكائيل من منكما يؤثر صاحبه على نفسه وقد جعلت عمر أحدكما أطول من الآخر؟ يعني أيكما يجعل نفسه فداءً للآخر؟

مقام الملائكة مقام عظيم لكن الحياة عزيزة أيضاً، تردّدا قليلاً، هل جبرائيل يذهب فداءً لميكائيل أو العكس؟ هذا يعطي من عمره لذاك أو العكس؟ القضية صعبة، مع أنّهما ملكان مطهران، وليس من واجبهما الإيثار، لم يؤثر أحدهما على الآخر بنفسه، هذه الرواية يرويها الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) وهو من أئمة العامة ويقول: فأوحى الله لهما، هلاّ كنتما مثل محمد وعلي، أُنظرا علياً كيف يؤثر رسول الله على نفسه ويبيت في الفراش، إنزلا عنده واخدماه، فنزل جبرائيل عند رأس علي وميكائيل عند رجليه تلك الليلة، ونزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.(١)

مبيت عليّ عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله:

أنقل لكم القصة: اجتمعت قريش في دار الندوة (قاعة الاجتماعات)، ودعي للاجتماع من كان عمره فوق الأربعين سنة من أهل الخبرة والمعرفة لينظروا كيف يتخلصون من محمّد صلى الله عليه وآله، حيث بدأ الإسلام ينتشر ويمتد، بينما البواب واقف في الباب لا يسمح للغرباء بالدخول واذا بشيخ كبير بيده عصا طرق الباب.

من أنت؟ قال أنا من أهل نجد لا أعدمنّكم الرأي، وبلغني أنّكم مجتمعون على أمر مهم وأنا عندي خبرة أفيدكم بها ولا تخافوا مني، فأنا من أهل نجد وغريب عنكم، وكان هذا الرجل إبليساً، ففتحوا له الباب وجلس معهم، وعند مطارحة الآراء والمقترحات.

قالوا: المقترح الأوّل هو أن نرسل أحد شبابنا ليقتل محمداً وندفع الدية فيما بعد.

---

(١) البحار / المجلسي: ١٩ / ٣٩، والآية في سورة البقرة: ٢٠٧.

قال الشيخ النجدي (ابليس): هذا رأي فاسد خبيث وغير صحيح، فمن هو مستعد من الشباب ليقتل محمداً ثم هو يُقتل فيما بعد.

قالوا: نسجنه في غرفة حتى يموت.

قال النجدي: هذا رأي خبيث لأن بني هاشم سيجتمعون عليكم والأعراب من البادية يداهمونكم فيخلصون هذا الأسير، هذا رأي غير صحيح.

وكرأي ثالث قالوا: نهجّره إلى الأعراب ونخلص منه.

قال الشيخ النجدي: وهذا رأي خبيث ايضاً، تبعثون للأعراب أصبحكم وجهاً وأنطقكم لساناً؟ سرعان ما يتجمّع عليكم الجموع ويكسب هؤلاء كلهم ويحتل مكة كلها.

قالوا: اذن ما هو الرأي؟

قال: الرأي هو أنّ واحداً من كل عشيرة وأنتم أربعون عشيرة يجتمعون فيقتلونه قتلة واحدة، فإذا أراد بنو هاشم أن يهاجموكم فإنّهم لا يقدرون عليكم لأنّكم أربعون عشيرة، وإذا أرادوا الدية تعطونهم ديتين، فضحكوا وقالوا نعطيهم عشر ديّات المهم أن نتخلص منه، فأجمعوا على هذا الرأي ورشّحوا من كل عشيرة شخصاً ومن بني هاشم رُشّح (أبو لهب).

اجتمعوا على تطويق منزل النبي ﷺ ليلاً ليهجموا عليه هجمة رجل واحد، أنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي يأسروك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1] سينقلب المخطط عليهم وسوف يصبح الأمر ضدهم يا رسول الله ﷺ، وهبط جبرئيل على رسول الله ﷺ قائلاً: يا محمد ليس لك في مكة ناصر، أخرج عنها.

بعث رسول الله لعليّ: يا عليّ يا حامي الشدات، هناك حروب في

(١) الأنفال: ٣٠.

الروايات يصيح فيها رسول الله: يا علي أدركني، إنّي مهاجر وقريش يريدون قتلي الليلة، هل تبيت في مكاني؟

قال: أوتسلم يا رسول الله؟

قال: نعم.

قال: إذن فداك سمعي وبصري، إذهب فأنا مكانك.

نام علي في فراش النبي ﷺ، واجتمعت قريش قبل الفجر، وهجمت آخر الليل هجمة رجل واحد على الدار، فقام لهم عليّ عليه السلام وقال: من تريدون؟

قالوا: أين محمّد؟

قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟ خرج محمد، إذهبوا وراءه إن شئتم.

فوجئوا، أيدخلون معركة مع علي؟ لا يستطيعون، وإنّ هدفهم هو النبي، الله مكر بهم وخدعهم.

على كل حال. خرج رسول الله ﷺ تلك الليلة من بينهم، فأخذ قبضة من التراب ثم رماها في وجوههم وقال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾،[(١)] ﴿وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.[(٢)] **وخرج من بينهم وهم جلوس ينظرون ولم يره منهم أحد.**

هنا نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ﴾[(٣)].[(٤)]

رحم الله السيد الحكيم قدس سره، حينما كنا في الهجرة وكانت الظروف صعبة كان يؤكد علينا الدعاء أدعوا الله تعالى أن ينصرنا، وأن يسقط صدام

---

(١) البقرة: ١٧١.

(٢) يس: ٩.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) أنظر مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب: ١ / ١٥٨، وشرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٣ / ٢٦٢.

لأنّنا بقدراتنا لا نستطيع علي ذلك، قدرات البشر ضعيفة، القرآن يقول: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾(١) نحن الآن في مشهد من مشاهد الدعاء، ونحن ندعو الله تبارك وتعالى أن يكتب الأمان ونصر الإسلام والفتح للاسلام في العراق، وأمامنا مراحل كلها يسيرة بإذن الله تعالى وسنخطوها ونعبر البحر إن شاء الله، ونحن منتصرون حتى نشهد عراقاً اسلامياً مستقلاً وإن كره الكافرون.

مصيبة أُم الرضيع عليه السلام:

أنقلكم إلى مصيبة أم الرضيع، الرباب هذه الامرأة الصالحة التي ضربت نموذجاً أيضاً في الوقوف إلى جانب الحسين عليه السلام وفي الصبر مع الحسين تستحق الكثير.

يقول المؤرخون: كان الحسين قد طلب من زينب عليها السلام أن تجمع العيال والأطفال في ليلة الحادي عشر من المحرم فجمعتهم، ولما صار الليل تفقدت النساء وإذا بالرباب غير موجودة، وحولهم معسكر الأعداء وفيهم رجال غلاظ قتلة، ساحة معركة، وفيها جثث مقطعة وأشلاء، يُخاف على كل شخص أن يخرج تلك الليلة، خرجت العقيلة زينب تبحث حول الخيام المحترقة، وكان ابن سعد كلّف حماة ليحموا الخيام، العقيلة زينب خرجت إلى أحد الحماة وقالت: يا هذا هل رأيت امراة؟ قال لا، ولكن أنا في الطريق رأيت سوادة من بعيد جالسة عند إحدى الجثث أطلبيها لعلها هي.

أقبلت إليها تنادي: رباب أين أنت كلّميني بحق أخي الحسين كلميني، وإذا الرباب جالسة عند جسد الحسين.

قالت لها زينب: رباب ما تصنعين هنا؟

قالت: لا تلوميني، ثدياي درتا وصدري أوجعني، أقبلت أطلب ولدي الرضيع لعلّ به رمق الحياة فيشرب من اللبن.

---

(١) الفرقان: ٧٧.

المحاضرة السادسة:

الحق والوعد الإلهي

«اللَّهُمَّ أنت الْقَائِلُ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَوَعْدُكَ صِدْقٌ».

الحق محور الوجود:

الحق في الإسلام هو محور الوجود كله، ويجب أن يكون محور حركة الإنسان.

الحق من المفاهيم الواضحة إلى درجة لا يمكن تعريفها كالنور والوجود.

الحق يعني حقيقة الأشياء واستحقاق الشيء، وعبارة عن مطابقة الأحكام والمواقف للواقع باستحقاقاته. فالشخص الذي له دَينٌ عليك فإن من الحق إيفاؤه. والاعتداء على مال شخص يكون باطلاً وعكس الحق. إنّ محور الوجود ومحور حركة الإنسان هو الدين الحق وهو الاسلام.

هناك عدة عبارات: الله يأمر بالحق.

الله يقضي بالحق.

خلق الوجود بالحق.

الله هو الحق.

الله ينصر الحق.

الله يحق الحق.

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾.[١]

﴿ما خَلَقْنَا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾.[٢]

﴿وكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ﴾.[٣]

و﴿فَالْحَقُّ والْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ ومِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.[٤]

---

(1) الأنبياء: ١٨.

(2) الحجر: ٨٥.

(3) الروم: ٤٧.

(4) ص: ٨٤ و٨٥.

داو د يقضي بالحق:

إن الله تبارك وتعالى يحكم بالحق ويقضي به، ويأمرنا أن نأمر ونحكم بالحق في أعمالنا وأمورنا كلها. قال تعالى: ﴿يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ﴾.(١)

للنبي داود عليه السلام امتياز بين الأنبياء في القضاء، حتى أنّ إمامنا المهدي عليه السلام إذا ظهر سوف يحكم ويقضي بحكم وقضاء داود، فما معنى ذلك؟

امتياز داود هو أنه كان يحكم بالحق الواقعي الذي يعلمه، وليس على أساس أدلة الاثبات الظاهرية وهي البيّنة والشهود واليمين.

لقد سأل داود ربّه أن يقضي على أساس الحق الواقعي الذي ينكشف له عن طريق الموهبة الإلهيّة. فكان الله يوحي لقلبه بالحق دون الحاجة إلى أدلة.

انتصار الحق:

من جملة المفاهيم القرآنية: انتصار الحق «كلمة الله هي العليا» وكان يتنبأ به الأنبياء عليهم السلام ويكشفه القرآن، وهذا قرار إلهي وليس على أساس الاستدلال.

وتعني نظرية انتصار الحق: أيها الناس إذا كان موقفكم على حق فاطمئنوا بالنصر، وإذا كان الإنسان صاحب حق فإنّه سينتصر، قال تعالى: ﴿أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثالَ﴾(٢) **فالباطل يتبخّر ويبقى الحق منتصراً لا يُغلب، إنها نظرية قرآنية وليست تفاؤلاً.**

سؤال: إذن كيف خسر المؤمنون والأنبياء والأئمة في الكثير من المعارك وسُلبت حقوقهم، فأين انتصار الحق؟

لقد حكم معاوية وقُتل أمير المؤمنين عليه السلام وقُتل الإمام الحسين عليه السلام!! فإين النصر الإلهي!؟

---

(1) ص: ٢٦.
(2) الرعد: ١٧.

الجواب:

هناك نتيجتان للأعمال والصراعات والحروب:

١ _ النتيجة النهائية؛ وتعني أنّ النتيجة ليس آنية، بل ربما تظهر بعد سنين طويلة، فالغلبة النهائية للحق، فقد لا يربح المؤمن في الدنيا بل في الآخرة.

٢ _ النتيجة الدائمية الشمولية المستمرة؛ وتعني أنّ الغلبة الدائمية للحق بكل جوانبه، فالأمة ترددت في نصرة الإمام علي عليه السلام، فكان من الحق أن يستشهد الإمام علي عليه السلام ويفوز بالشهادة ويخسره المسلمون، حيث قال: «فزت ورب الكعبة».[1] الإمام حصل على استحقاقه وهذا نصر، وهكذا الدين حيث تجذر في عمق الأرض ببركة دم الإمام عليّ عليه السلام والحسين عليه السلام فهو موجود إلى هذا اليوم وكلٌّ قد أخذ حقّه.

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله الحسين عليه السلام قائلاً: وإن لك في الجنة درجة لن تنالها إلاّ بالشهادة.[2]

إذن فقتل الحسين عليه السلام هو غلبة للحسين عليه السلام حيث وصل إلى مرامه وهدفه النهائي.

وتسلط يزيد على الأمة هو أيضاً استحقاق تلك الأمة، فهي أيضاً قد نالت حقها، وهذا هو معنى انتصار الحق بكل جوانبه.

الانتصار الشمولي والدائمي هو للحق لأنّ الله محيط بكل شيء فيعطى الجميع كل حسب استحقاقه، فالأمة التي تستحق النصر يعطيها النصر، والأمة التي تستحق الذل يعطيها الذل.

مثلاً: من الحق أن تستورد البضاعة الخارجية ذات الجودة الأعلى، وتهمل البضاعة الرديئة الوطنية.

---

(1) مدينة المعاجز للبحراني: ٣ / ٤٠ / ح ٧٠٤.

(2) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي: ٣ / ٥٤.

ومن الحق أن يكون الانتصار العسكري للأمة المتوحدة حتى إذا كانت على باطل.

ومن حق الطالب المهمل هو الرسوب وليس النجاح، وهكذا.

فلسفة القانون والاخلاق:

هل الحق واحد أم متعدد؟

وهل القيم الأخلاقية ثابتة أم متغيرة؟

هناك نظرية تقول بالنسبية، أي أن السرقة ليست سيئة دائماً، وليس الصدق حسن دائماً.

الغرب اليوم يتبع الفلسفة البرجماتية (النفعية) أي أنّ المهم هو المصلحة.

إنّك مسلم فأنت على حق، واليهودي على حق أيضاً، فكل شخص ينظر من زاويته نظرية برجماتية نفعية، فلا يوجد حق بل المصلحة هي التي تحدد الوصف، والكثير من الناس انصهروا في هذه النظرية ومن جملتهم علي الوردي، حيث كتب في العهد الملكي خمسة كتب متأثراً بالفكر الغربي وتخلّى عنها فيما بعد.

مقولات علي الوردي:

كان الدكتو علي الوردي يفكر بالاصلاح الديني.

لكن هناك اصلاح ديني مع الالتزام بالثوابت الدينية، وهناك اصلاح بعيد عن الالتزام بالدين وقيم السماء وفيه يمكنك أن ترفض ما لا يعجبك من قبيل الحجاب والصلاة و...

إن من جملة مقولات الوردي أنّ الحقيقة نسبية، فمثلا إذا رغبت في الصوم فإنه حق وهكذا الصلاة وإلاّ فإنّهما باطلان! وليس من واجبك الالتزام.

ثم ندم على ذلك قبل وفاته، واعترف أنّه كان يسعى للملذات ويميل إلى نزعة التدين باسلام جديد بدون أصول وثوابت تأثراً بالثقافة الغربية.

وقال: إنّي بعد أن كبرت أصبحت كالغراب الذي أضاع المشيتين!

نحن نؤمن بالاسلام على أساس الالتزام بالثوابت ولو بطرح جديد.

هذا هو الاصلاح الحق والحقيقي، إنّه الاصلاح الديني على أساس الحفاظ على الثوابت.

عليّ مع الحق والحق مع عليّ:[1]

قال ذلك رسول الله ﷺ بشأن الإمام علي عليه السلام وهو ثابت بروايات غيرنا كعائشة وابن حنبل، في هذه العبارة دلالات رائعة، ولم يُسمع صدور مثل هذه العبارة بحق شخص غير الإمام علي عليه السلام، إنّ اتّباع الحق هو اتّباع عليّ عليه السلام، وهكذا يكون اتّباع عليّ عليه السلام اتّباعاً للحق، هناك عدة دلالات لهذه العبارة:

أوّلاً: إن علياً مع الحق وليس مجرد يتبع الحق بل هو معه.

ثانياً: الحق مع علي عليه السلام وليس مجرد علي مع الحق، فالحق أيضاً ملتصق بعليّ عليه السلام.

ثالثاً: الحق مع علي عليه السلام وعلي مع الحق لن يفترقا حتى يردا على الحوض،[2] فهناك تلازم دائمي وأبدي إلى يوم القيامة.

رابعاً: دعا النبي ﷺ الله قائلاً: اللهم أدِر الحق معه حيثما دار، وهنا نلاحظ أن الحق هو الذي يدور ويتبع علياً.

قصة عمّار:

وقال ﷺ لعمار: يا عمار تقتلك الفئة الباغية.

يا عمار كن مع علي حيثما كان.[3]

---

(1) المسائل الصاغانية للشيخ المفيد: ١٨٣؛ البحار: ١٠ / ٤٣٢.

(2) كشف الغطاء للشيخ كاشف الغطاء: ١ / ١١؛ الخصال للصدوق: ٥٥٩.

(3) معاني الأخبار للصدوق: ٣٥.

طرق عمار الباب، فقال النبي ﷺ: يا أنس انظر من بالباب، فإذا هو عمار بن ياسر.

قال ﷺ: افتح لعمار الطيب.

دخل عمار فسلّم على رسول الله ﷺ، فرد السلام ورحب به.

وقال: يا عمار، سيكون بعدي في أمتي هنات حتى يختلف السيف بينهم ويقتل بعضهم بعضا، وتبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني (علي بن أبي طالب)، فإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك عليّ وادياً فاسلك وادي علي وخلّ الناس طراً، يا عمار إنه لا يزيلك عن هدى.(١)

وقال ﷺ: علي مع القرآن والقرآن معه.(٢)

وقال ﷺ: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها.(٣)

يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انّه لا نبي بعدي.(٤)

وجاء في دعاء الندبة: «وزوجّه ابنته سيدة نساء العالمين وسدّ الأبواب إلاّ بابه، وأحلّ له من مسجده ما حلّ له، وأودعه علمه وحكمته».

فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها.

وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأنت غداً على الحوض وشيعتك مبيضة وجوههم حولي في الجنة، وشيعتك على منابر من نور وهم جيراني، ولولا أنت يا علي لم يُعرف المؤمنون بعدي.(٥)

---

(1) بحار الأنوار: ٣٢ / ٣١٦.

(2) الأمالي للصدوق: ٤٦٠.

(3) تحف العقول لابن شعبة: ٤٣٠.

(4) الهداية للشيخ الصدوق: ١٦١.

(5) انظر المزار: ٥٧٧.

الوعد الإلهي:

يستمر حديثنا هذه الليلة عن «الوعد الإلهي» والذي قال عنه الدعاء «وعدك صدق».

الوعد الإلهي على نوعين: وعد دنيوي، ووعد أخروي.

وفي تقسيم ثانٍ: وعد مطلق، ووعد جزئي.

وعد الإنسان:

أما وعد الإنسان فإن الحكم الشرعي في الوعد أن إذا وعد الإنسان وكان ذلك مع تبييت نية الخلاف فهو محرّم، لأنه خداع وخيانة، وفي هذا الحال يكون الوفاء به واجباً.

وإذا كان الوعد حقيقياً مع تبييت نية الوفاء ولكن لم يحالفه الحظ للوفاء به فمن المستحب حينئذ أن يفي به، ولكن إذا خالف ذلك لظروف خاصة فإنّه لم يرتكب حراماً.

وعد الله:

أما الله سبحانه فقد قطع على نفسه الوفاء بما وعد به.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾.(١)

وقال: ﴿وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.(٢)

إن من الوعود الإلهية على مستوى الآخرة هو قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٣) **إنه وعد إلهي مطلق.**

---

(1) آل عمران: ٩.

(2) الكهف: ٩٨.

(3) المائدة: ٩.

أما الوعود الإلهية على مستوى الدنيا فهي:

١ _ نصر المؤمنين، كما في:

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿وكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(٢)

٢ _ الوعد بقيام حكومة العدل المطلق:

فالأرض ستشهد حكماً إلهياً عادلاً كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج واحد من ولدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلما وجوراً».

وهناك مجموعة من الآيات التي تتحدث عن ذلك وتنبئ به وتشير إليه، منها قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْض كَمَا اسْتَخْلَفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.(٣)

وقوله تعالى: ﴿ونُرِيدُ إن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا في الأَرْض ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * ونُمَكِّنَ لَهُمْ في الأَرْض ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾.(٤)

إنّه وعد إلهي مطلق للبشر بتأسيس الحاكمية العالمية للإسلام على يد مولانا صاحب الزمان عليه السلام.

عقيدة الظهور والرجعة:

ومن المناسب هنا أن أنقلكم للحديث عن عقيدة الظهور وعقيدة الرجعة.

---

(1) محمد: ٧.

(2) الروم: ٤٧.

(3) النور: ٥٥.

(4) القصص: ٥ و٦.

هناك عقيدتان: عقيدة الظهور، وعقيدة الرجعة.

أمّا عقيدة الظهور فهي عقيدتنا بظهور صاحب الزمان عليه السلام كما هو اعتقاد جميع المسلمين، والفرق بيننا وبينهم هو أنّنا نعتقد بأنه موجود بالفعل وغيرنا لا يعتقد بذلك.

وأمّا نظرية الرجعة فإنّ الكثير من علماء الشيعة يقول بها، ولكنها ليست ملزمة لكل الناس، إنّها نظرية اجتهادية وهي تعني أنّ الأئمّة والأنبياء عليهم السلام سيرجعون إلى عالم الدنيا فيحكمون ويغلبون أعداءهم تمهيداً للقيامة بحيث تكون الأرض نموذجاً للحكم العادل، كما يرجع أشد الكفار والظالمين ويُغلبون، ولا يُعرف كم تطول هذه المرحلة وتستمر.

هناك مجموعة من الآيات القرآنية فُسّرت بالرجعة.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[2] **وقوله تعالى:** ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.[3]

وهناك روايات متواترة ذكرها العلامة الطباطبائي والأميني والمجلسي رحمهم الله بهذا الشأن.

إنه لا مشكلة من الناحية العلمية في نظرية الرجعة، فنحن نعتقد برجعة النبي عيسى عليه السلام كما يعتقد المسيحيون بذلك، وقد هبط إلى المسجد الأقصى في مجموعة من الأنبياء ليلة الإسراء. ولدينا قصة أصحاب الكهف،

---

(1) القصص: ٨٥.

(2) النمل: ٨٣.

(3) القصص: ٦١.

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾(1) **فإذا كان رجوع عيسى ممكناً، وإذا كان عودة الأنبياء إلى المسجد الأقصى أمراً ممكناً، وإذا كان حياة أصحاب الكهف بعد مماتهم ممكناً، إذن فمسألة عودة الأئمة عليهم السلام ورجعتهم إلى الحياة الدنيا هي مسألة من الناحية الإسلامية والعلمية ممكنة.**

انتبهوا عند قراءة الدعاء إلى جواهر الكلام وعمقه، فمثلا نقرأ: «وجعلني ممن يقتص آثاركم ويكرّ في رجعتكم. ويملّك في دولتكم».(2)

ونقرأ في زيارة عاشوراء: «إني بكم مؤمن وبإيابكم موقن».(3)

ونقرأ في أدعية رجب: «حتى العود إلى حضرتكم والفوز في كرّتكم».(4)

وفي زيارة القائم عليه السلام: «وأن يجعل لي كرة في ظهورك ورجعة في أيامك».(5)

وفي دعاء العهد: «فاخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي».(6)

رأي العلامة:

للعلامة الطباطبائي أروع تفسير للرجعة حيث يقول:

«إن يوم الرجعة من مراتب يوم القيامة».(7)

نحن اليوم نعيش معجزات مادية، حيث نلاحظ النقل المباشر في

---

(1) الكهف: ٢٥.

(2) الزيارة الجامعة الكبيرة/ مفاتيح الجنان/ القمي.

(3) زيارة عاشوراء/ مفاتيح الجنان/ القمي.

(4) أدعية رجب/ مفاتيح الجنان/ القمي.

(5) زيارة القائم/ مفاتيح الجنان/ القمي.

(6) زيارة القائم/ مفاتيح الجنان/ القمي.

(7) تفسير الميزان: ٢ / ١٠٩.

الفضائيات والإنترنيت والنقال المصور، وإن عالم الرجعة هو صورة متطورة من ذلك، بل فيه يعود إلى الحياة أناس قد ماتوا.

إن بعض الأثرياء اليوم يفكرون بتجميد أرواحهم لكي يعودوا للحياة بعد مائة عام، مستلهمين ذلك من سلحفاة جامدة في القطب حيث وجدوها حية بعد خمسمائة عام من تكلّسها. إنها محاولات لمعرفة هل يمكن أن تعيش الروح إذا كان الجسد جامداً؟

ولنعد إلى موضوع الوعد الإلهي، وقد قلنا أن هناك وعود إلهية مطلقة، وهناك وعود الهية دنيوية جزئية مثل أن الله وعد المسلمين في معركة بدر بالنصر حيث قال تعالى: ﴿وإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ويُرِيدُ اللَّهُ إن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ ويَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ﴾(١) أي ينصركم بعد شدائد، وقد وعد الله المسلمين في بدر بالنصر ونصرهم.

وكقوله تعالى في قصة رجوع موسى إلى أمه: ﴿فَرَدَدْناهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها ولا تَحْزَنَ ولِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾(٢) فقد قيل لفرعون أنه سيولد في بني إسرائيل ولد سيتغلب عليك، ولذا قرَّر فرعون قتل كل وليد بينهم وقام بمذابح.

ولما ولدت أم موسى ولداً خافت عليه من الذبح ولكن حفظته عناية الله قال تعالى: ﴿وأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إن كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَولا إن رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(٣)

وضعت أم موسى ولدها في تابوت وألقته في نهر النيل، وقالت لاخته ﴿قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾(٤) أي أتبعي التابوت أين يتوجه،

---

(1) الأنفال: ٧.
(2) القصص: ١٣.
(3) القصص: ١٠ و١١.
(4) القصص: ١٠ و١١.

فالتقطه آل فرعون وطلبت منه زوجته ان لا يذبحه ويكون ابناً له وقالت ﴿عَسى إِن يَنْفَعَنا أَو نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.(١)

ولم يقبل هذا الطفل ثدي أي امرأة ليرضع منه كما أشار إلى ذلك قوله تعالى ﴿وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾.(٢)

فقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ * فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣) وفي الآية التفاتة جميلة، فإنها لم تقل (لترضعه) بل (لتقرَّ به عينا) وربما يعني ذلك أن موسى لم يكن بحاجة إلى لبن أمّه، وإنما كان الهدف هو أن يصل إليها وتقر به عينها.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(1) القصص: ١٢.

(2) القصص: ١٢.

(3) القصص: ١٣.

المحاضرة السابعة:

الجسور بين الإنسان والله تعالى

«مَعْرِفَتِي يَا مَوْلايَ دَلِيلِي عَلَيْكَ، وَحُبِّي لَكَ شَفِيعِي إِلَيْكَ».

جسور الارتباط مع الله ثلاثة:

المعرفة أوّلاً، والحب ثانياً، والعمل ثالثاً، هي ثلاثة جسور بيننا وبين الله تبارك وتعالى.

الجسر الأوّل: المعرفة.

الجسر الثاني: الحب لله.

الجسر الثالث: العمل، ولهذا يقول الإمام عليه السلام: «عظم يا سيدي أملي وساء عملي، فأعطني من عفوك بمقدار أملي، ولا تؤاخذني بأسوء عملي»[1] يعني نحن لو بقينا مع أعمالنا فإنّ أعمالنا لا توصلنا إلى شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الأئمّة يقولون (ساء عملي) فكيف نحن؟

الجسر الأوّل: المعرفة بالله تعالى:

الجسر الأوّل: هو المعرفة بالله والإيمان به.

وهنا سؤال فلسفي وعلمي: كيف نعرف الله وعقولنا قاصرة عن معرفة سر الحياة في نملة وذبابة وجرثومة وفايروس، وكلنا ندعي أنّنا نعرف الله ونتحدث مع الله ونناجي الله، هل هذه المعرفة صحيحة أم هي أوهام وخيال لأنّ البشر غير قادر على أن يدرك الكُنه الربوبي؟

السؤال الثاني: هب أنّنا نملك المعرفة الصحيحة، فهل هذه المعرفة كاملة أم نسبية؟

---

(١) مصباح المتهجد / الطوسي: ٥٨٢ / ح ٦٩١ / ٦٧، دعاء أبي حمزة الثمالي.

الجواب: إنّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾(١) أي الإنسان غير قادر على أن يحيط بالله علماً، ولكن إذا دققتم في القرآن والآيات القرآنية تجدون أنّه لم يقل لا يعرفونه أو لا يعلمونه وإنّما قال لا يحيطون به علماً، أي ليس عندهم إحاطة كاملة، فلا يصح القول أنّ الإنسان لا يمكن أن يعرف الله تبارك وتعالى، إذن المعرفة ممكنة وصحيحة بدليل أنّ هذه المعرفة لا نستند فيها إلى مجرد عقولنا وإنّما إلى رسل أرسلهم الله تبارك وتعالى، فمثلاً نقول: يا قوي، يا غني، يا رؤوف، يا عطوف، يا سميع، يا بصير، لكن لا أحد يقول: يا طويل، يا عريض، يا أحمر، يا أخضر، لماذا؟ لأنّنا اعتمدنا في معلوماتنا عن الله على الوحي الإلهي، وهوالقناة التي فتحها الله لنا وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾(٢) هو الذي أعطانا هذه المعلومات وأصبحنا نفهمها بمقدار قدرة القابل.

في علم الكلام والفلاسفة إصطلاح (قابل) وإصطلاح(فاعل)، القابل هو قدرة الوعاء _ مثلاً _ على أن يأخذ مقداراً معيناً من ماء النهر مثلاً، يعني حين يكون الماء قليلاً فإنّ المشكلة ليست مشكلة النهر، بل إنّ القابل وهو الإناء لا يتحمل أكثر من ربع لتر، وليست في الفاعل، نحن نأخذ المعلومات عن الله تعالى وليس من محض عقولنا وإلاّ فإنّ عقولنا تقول أنّ هناك خالقاً، أمّا أنّ هذا الخالق هو العطوف، القوي، الجبار، المتكبر، المحسن، السلام، المؤمن، المهيمن فإنّ عقولنا إذا بقيت وحدها لا تستطيع أن تعطي هذه التصورات، ولهذا اعتمدنا على الوحي الصادق.

الله سبحانه هو الذي أعطانا هذه المعلومات، إذن معلوماتنا صحيحة ولكنها نسبية وليست كاملة، كل واحد بمقدار استيعابه، وهذا معنى (قدرة القابل).

---

(١) طه: ١١٠.
(٢) الحشر: ٢٤.

قصة الشاب الأصفهاني:

أنقل لكم قصة الشاب الأصفهاني حتى يكون مثالاً لتوضيح الفكرة.

هذا الشاب ذهب إلى صومعة في جبل ليعبد هناك، وكان ينزل إلى المدينة مرة كل أسبوع ليشتري ويأخذ ما يكفيه من الطعام خلال شهر.

نزل في أسبوع من الأسابيع، ولما حلّ وقت الصلاة دخل المسجد فإذا الواعظ يعظ ويقول: «أيها الناس ضعوا الموت أمام عيونكم، وإيّاكم والإسراف». عاد إلى الصومعة، وبعد شهر عاد إلى المدينة ودخل المسجد للصلاة، ولكن امام الجماعة بعد أن أنهى الصلاة واتّجه إلى الناس ليعظهم رأى منظراً غريباً، رأى أن هذا الشاب قد علّق على صدره فأرة ميتة بقي منها الهيكل العظمي وهو يكرر النظر إليه ويقول أستغفر الله، كما رآه قد وضع على إحدى عينيه طيناً وأصبح ينظر بعين واحدة، ناداه ما هي قصتك؟ ماذا صنعت بنفسك؟

قال: شيخنا أنت أعطيتنا موعظة في الاسبوع الماضي بأن نضع الموت نصب أعيننا، فجلبت هيكلاً عظمياً لحيوان ميت وجعلته نصب عيني، ثم إنك نهيتنا عن الإسراف، فقلت في نفسي إنّ إحدى العينين زائدة فوضعت طيناً عليها واكتفيت بعين واحدة.

لاحظوا هذا الشاب كان استيعابه لنصيحة الواعظ بهذا المقدار، فليست المشكلة في الواعظ إذ انّه قال قولاً صحيحاً، لكن هذا الرجل لم يستطع استيعاب المعنى بشكل صحيح، وكان فهمه بمقدار إدراكه هكذا، هذه هي المعرفة النسبية، أي إن كل أحد يفهم الكلام بمقدار مستواه في التفكير، معرفتنا بالله تبارك وتعالى أيضاً نسبية.

المرأة العجوز:

تخطر ببالي رواية هي أنّ موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام مرّ

على امرأة عجوز تناجي الله تعالى وتقول: إلهي لو رأيتك سوف أُدللك وأغسل رجليك وأمشط لك شعرك.

إنزعج موسى من هذا الكلام وصاح بهذه المرأة العجوز، فولّت باكية حزينة.

فأوحى له الله: يا موسى لماذا نهرتَ هذه المرأة؟ إنّ فهمها هو هذا المقدار، تريد أن تصل إليّ فأنا أقبل منها ذلك.

صحيح أنّ هذا التصور لدى هذه المرأة العجوز فيه شيء كثير من الخطأ، ولكن المشكلة مشكلة القابل، وهي لا تفهم أكثر من ذلك، لكن لديها حب مع الله تعالى ولهذا تتكلم معه بلغة محبوب وحبيب.

المعرفة الإلهية الصحيحة:

نعتقد أنّ معرفتنا بالله المستندة إلى القرآن والوحي وبيت النبوة معرفة صحيحة وإن كانت نسبية، ولهذا نقرأ في الدعاء وهو مدرسة في المعرفة الإلهية: «يا مذكور الذاكرين، يا مشكور الشاكرين، يا معروف العارفين، يا محبوب من أحبه، يا معروف من عرفه، يا موجود من طلبه»[1] ويعني: يا إلهي كل من يذكرك قد ذكرك وأصاب الحقيقة ولم يخطأ، فأنت مذكور كل ذاكر، المهم أنّه أخذ الماء من البحر وإن كان بمقدار وعائه لكنه قد أصاب ولم يخطأ ووجد الله عنده. الله موجود لكن تصوراتنا التي تريد أن تصل الله تبارك وتعالى أحيانا تكون الصورة مشوشة، المهم أنّ الإرسال موجود، والصورة تصل إلى الشاشة لكن الشاشة ليست نظيفة، فالصورة تظهر تارة واضحة جداً وغير واضحة تارة.

لا يتصور أحد أنّ هذه المحبة الصادقة لله تعالى تظهر يوم القيامة بشكل آخر، بحيث ترى أنّ المحبوب هو شيء آخر غير الله تعالى، ويقول الله له: أنت لا أحببتني ولا عرفتني.

---

(١) الدعاء المعروف بـ (الجوشن الكبير)، راجع مفاتيح الجنان/ عباس القمي.

لا ليس كذلك، فإن هذه المحبة تصل إلى الهدف رغم أنها معرفة نسبيّة بسيطة متواضعة مثل معرفة تلك المرأة العجوز.

ولهذا يقول الحديث القدسي المعروف: «من طلبني وجدني، ومن وجدني عرفني، ومن عرفني أحبني، ومن أحبني عشقني، ومن عشقني عشقته، ومن عشقته قتلته، ومن قتلته فديّته عليّ».(١)

وبما أنّ مدرستكم هي مدرسة الحسين عليه السلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام فإن هذا الحديث القدسي سيكون إشارة كافية حتى تعرفوا ما معنى قول القائل: «حبّ الحسين أجنّني» ذلك الحبّ الذي جعله يعمل ليل نهار في سبيل الله حتى يستشهد.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(٢) **الشاهد في الأمر أنّ المعرفة هي الجسر الأول بيننا وبين الله تبارك وتعالى، ولهذا يجب أن نكون طلاب معرفة، ليس فقط طلاب مكاسب وأرباح وتأدية صلاة وصوم، يجب أن نتذوق المعرفة.**

تذوّق الدعاء:

وأقول لكم: يا شباب ويا نساء حينما تقرؤون الدعاء تذوّقوا ما تقرؤون، ما معنى: «الحمد لله الذي لا أدعو غيره، ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي» أمّا إذا قرأتم قراءة بدون تذوق طعمه فإنّه يكون كمن يبتلع

---

(١) أنظر نفس الرحمن / النوري الطبرسي: ٣٣١، اللمعة البيضاء / التبريزي: ٥٥١، واللفظ هو: «من أحبني عشقني، ومن عشقني قتلته، ومن قتلته فأنا ديّته، (أو) فعليّ ديّته وأنا ديته» أما جملة: «من طلبني وجدني» فهي في حديث آخر، راجع المحجة البيضاء: ٨ / ٥٨ و٥٩ و٦١، وفيه: «... في التوراة: يقول الله عزوجل: طال شوق الأبرار إلى لقائي... من طلبني وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني...».

(٢) النساء: ١٠٠.

الحلوى مع غلافها الورقي، فالحلوى دخلت المعدة وفيها مواد سكرية مفيدة لكن لم يعرف طعمها، وأكثرنا مع الأسف يقرأ الدعاء على طريقة أكل الحلوى مع الغلاف الورقي!!

لماذا يرتعد الأئمة حينما يقرؤون الدعاء ويغمى عليهم؟

لأنّهم يعرفون ما يقرؤون.

ولماذا ترى عيونهم تفيض من الدموع؟ لأنهم عرفوا الحق ويعرفون ما هم فيه.

حينما تقرؤون دعاءً تذوّقوا وقفوا عند كلماته، كالدعاء: «إلهي لو اطلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته، ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته، لا لأنك أهون الناظرين إليّ وأخفّ المطلعين عليّ».[1]

لا لأنك لا تراني، أنت تراني، وأنا أعرف ذلك، ولكني اعتمد على حلمك وعفوك. أنا أخاف من الناس الذين يشاهدوني، ولو كانت عقوبتك في الدنيا فإنّي أخاف من ارتكاب المعصية، إذا قالوا لي إنّ نتيجة هذه المعصية هي دخول المستشفى ثلاثة أيام فإنّي أتركها، عجباً هل أنا لا أعرف أنّ الله يراني، ولا أعرف أنّ عذاب الآخرة أشد؟ أنا لا أستهين بنظرك «لا لأنك أهون الناظرين إليّ، أو أخف المطلعين عليّ، بل لأنك أرحم الراحمين» هذا تذوق للدعاء، الكلمات الجميلة الساحرة في مداليلها، وأنا كلما أتأمل فيها أقول كم أعطانا أئمتنا من كنوز، يا حسرة على العباد الذين لا يعرفون هذه الكنوز ولا يعرفون ما هو الدعاء، وغير أئمتنا عليهم السلام ما علّمونا دعاء أبداً بمثل ما علّمنا الأئمّة الأطهار عليهم السلام كنوز الدعاء، كدعاء كميل، دعاء أبي حمزة، دعاء الصباح.

لا توجد في المدرسة الإسلامية كنوز كما عندنا من معان وأدب ومعارف «يا حسرة على العباد» لا يفتحونها ويشاهدون مافيها. هذه واحدة من

---

(١) دعاء (أبو حمزة الثمالي).

مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وفي الحقيقة هي واحدة من خسائر البشرية، إنّ البشرية لا توفيق لها لتتذوق طعم الروافد الهنيئة السلسبيل، ولو كان لوصلت إلى هذا النهر العذب، نهر أهل البيت عليهم السلام.

الجسر الثاني: محبة الله:

الجسر الأوّل _ كما قلنا _ هو المعرفة «معرفتي يا مولاي دليلي عليك» أنا متأكد أنّ معرفتي صحيحة وواثق من دليلي بدلالتك، هذا بحث فلسفي لكن ما يشرحه لنا الدعاء ليس على طريقة الفلاسفة التي عندما تقرأها لا تفهم منها شيئاً. فقوله: «معرفتي يا مولاي دليلي عليك». يعني أنّ المعرفة بالله معرفة صادقة وصحيحة كما شرحنا ذلك، وهذا هو البحث الفلسفي «معرفتي يا مولاي دليلي عليك».

الجسر الثاني: هو المحبة «وحبي لك شفيعي لديك» هذا هو الجسر الثاني وهو الواسطة والشفيع الذي أقدمه بين يديك، وليس عملي لأنني لا أعتمد عليه «ساء عملي وطال أملي» عملي ليس ذلك الذي أعتمد عليه.

الجسر الثالث: العمل الصالح:

إن عملنا وهو الجسر الثالث ضعيف جداً، وحبنا لله هو الجسر الأقوى، «حبي لك شفيعي إليك» عندما تذهب إلى شخص تقول له أنا أحبّك، ليس عندي شيئاً أعطيك، والله أنا أحبك، فإن ذلك الشخص سوف يستقبلك ويأنس بكلامك.

تقول: يا إلهي أنا أحبّك، وهو أيضاً يحبك على هذه الطريقة.

من آداب الإسلام الجميلة أن تقول لأخيك الذي تحبه: أحبك، هذا يرطب القلوب ويوجد علاقة طيبة بمجرد أن تقول له أحبكِ، يستحب أن تخبره بحبك له، الزوج مع زوجته كذلك، إذا قال المرء لزوجته إنّي أحبك

فـإنّ رسـول الله ﷺ يقـول: «لا يـذهب مـن قلبهـا أبـداً»[1] هكـذا يجـب أن تكـون أخـلاق الرجـال مـع النسـاء، والـذين لـم يتزوجـوا مـن الرجـال والنسـاء إن شـاء الله يتزوجون ويعرفون معنى هذه الكلمة «إنّي أحبّك».

اعترافات أهل البيت عليهم السلام كيف نفسّرها؟

«إذا رأيـت مـولاي ذنـوبي فزعـت، وإذا رأيـت كرمـك طمعـت» أنـا يـا إلهـي إذا نظـرت إلـى ذنـوبي أخـاف منهـا وأفـزع، وإذا رأيـت كرمـك طمعـت فـي عفـوك ورحمتك.

نحـن نعتقـد بعصـمة أهـل البيـت عليهم السلام، فهـل ارتكـب الإمـام السـجاد عليه السلام ذنوبا ليفزع خوفاً وهلعاً إذا تذكّرها، وهل هي بمستوى أن يفزع منها؟

كيف يلتقي هذا مع إيماننا بعصمة الأئمّة الأطهار؟

جزاء الأعمال:

وهنـاك سـؤال ثـانٍ: مـا هـو العقـاب، ولمـاذا وكيـف؟ هـل العقـاب هـو جـزاء الأعمال السيئة، أو هو نتيجة الأعمال السيئة؟

هناك فرق بين الجزاء والنتيجة، مثلاً السارق نقطع يده، ونقول هذا القطع هو جزاء السرقة، ونـار جهنم والأغـلال والنيـران الموقـدة وعـذاب الآخرة هـو جـزاء عـن العمل السيء، وقرار إلهي، فالسارق والقاتل والكافر له جزاء وعقوبة، أما شارب الخمر فإنه سوف يسكر ويفقد عقله، وقد يصاب بأمر آخر بيدنه، ونقول نحن عن ذلك أنه نتيجة شرب الخمر ولا نقول إلى ذلك عقوبة، يعني هو تفاعل البدن بشكل طبيعي مع الخمر، وهذا هو معنى نتيجة العمل.

هناك نظريتان في جزاء المعاصي، النظرية الأولى تقول أنها عبارة عن عقوبة

---

(١) الكافي / الكليني: ٥ / ٥٩.

إلهية، هناك نظرية أخرى ترى أنّ العقوبة هي نتيجة العمل، يعني ما تفعله في الدنيا يتجسم يوم القيامة تجسماً حقيقياً، هو نفسه ولكن يظهر بوجهه الحقيقي في الآخرة، نحن في الدنيا نرى المظهر، لا نرى باطن الإنسان والإنسان يظهر يوم القيامة على شكله الحقيقي، فإذا كان في الدنيا نورانياً فإنّه يحشر نورانياً، الوجه يكون نورانياً حتى أنّ أهل جهنم يقولون: ﴿انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾.

نظرية تجسّم الأعمال تعني أنّك تجد العمل نفسه أمامك، فعندما يقول القرآن: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١) **هل يعني جزيناهم «بسبب» ما كانوا يكسبون أم جزيناهم «بما» كانوا يكسبون نفسه، المعنى الحقيقي هو أنّنا جزيناهم بعملهم نفسه، جزيناهم مثلا بالغيبة وبالنميمة بواقعها الجهنمي الحقيقي.**

إن نظرية تجسم الأعمال تقول: إنّ الجزاء هو امتداد للعمل السيء نفسه، وهو الذي يراه الإنسان على حقيقته يوم القيامة. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(٢) **فالإنسان يرى الصلاة والصوم والصدقة وصلاة الجمعة والعمل الصالح نفسه، الصلاة في مظهرها المادي هي هذه الحركة الجسمية التي نراها، ولكن الحركة القلبية هي التي يقول عنها الحديث (الصلاة معراج المؤمن).(٣) وهي جوهر الصلاة وواقعها.**

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً﴾(٤) **يعني أنّهم في الدنيا حينما يأكلون أموال اليتامى إنما يأكلون النار لكن لا إحساس لديهم بها ولا يرون الحقيقة، لأنّ الحاسة الحقيقية مفقودة، الجمرة جمرة لكن القلب خالٍ من الإحساس، بمقدار ما عندك من الإحساس تشعر بالألم.**

---

(١) الجاثية: ١٤.

(٢) الزلزلة: ٧ و٨.

(٣) الإعتقادات / المجلسي: ٣٩.

(٤) النساء: ١٠.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.(١)

ما هو العذاب الأليم؟ لم يقل أنّ العذاب هو نتيجة ذلك العمل، بل قال إنّ العمل نفسه سيجده الإنسان في جهنم وهو عبارة عن العذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٢) **أي ذوقوا عملية البخل والإكتناز، هذه هي نظرية تجسم الأعمال.**

المرء في قبره:

لذلك حينما ينزل المرء في قبره يجد أربعة أشباح: هي الصلاة عن يمينه، والصوم عن شماله، الزكاة عند رأسه، كلها بصورة أنوار جميلة، يتجسد الصوم والصلاة والزكاة تجسيداً حقيقياً، إنّه شيء تتمتع وتأنس به، ويرى الصبر مطلاً عليه، وكل هذه الأنوار والصور الجميلة تدافع عن المؤمن في قبره، تقول الرواية: وإذا عجز الصوم والصلاة والزكاة في الدفاع عنه فإنّ الصبر يدافع عنك. وهو يقول للصلاة والصوم والزكاة دونكم صاحبكم فإذا عجزتم فأنا دونه، أي أنا أدافع.

عصمة الأئمّة عليهم السلام:

هذه نظرية التجسيم شرحناها لكم لكي ندخل إلى الموضوع الأساس وهو قول الإمام: «إذا رأيت ذنوبي» هذه العبارة وأمثالها وردت عن الإمام عليّ عليه السلام والأئمّة أيضاً، كيف كانوا يتحدثون عن ذنوبهم؟

---

(١) التوبة: ٣٤.
(٢) التوبة: ٣٥.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «إلهي قلبي محجوب، ونفسي معيوب، وعقلي مغلوب، وهواي غالب، وطاعتي قليل، ومعصيتي كثير».[1]

هل كانت لديه ذنوب؟ أو كان الإمام عليه السلام صاحب معصية حقيقة؟

نحن نعتقد بعصمة أهل البيت عليهم السلام وهي قضية مفروغ عنها في فكرنا الشيعي، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي»[3] وقوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني يرضى الله لرضاها»[4] وأحاديث وآيات كثيرة.

ولسنا الآن بصدد دراسة وشرح مسألة العصمة، ولكن الإمام السجاد عليه السلام يقول في دعاء أبي حمزة الثمالي: «إلهي إذا رأيت ذنوبي... إلخ» لماذا يتكلم بهذا الكلام، وأيّ ذنوب له عليه السلام؟ وما هو تفسير هذه الاعترافات الصريحة؟

تفسير الاعترافات:

لقد ذكر العلماء لذلك جوابين:

الجواب الأوّل: وهو أن الأئمّة عليهم السلام يقولون هذا الكلام لكي يعلّمونا، ويمكن أن نسمي هذا الجواب بـ (التفسير التربوي)، إلاّ أن هذا التفسير غير قادر على أن يشرح لنا حالات البكاء والنحيب والاغماء التي كانت ترافق الأئمّة عليهم السلام وهم يقرؤون هذه الأدعية، الأمر الذي يكشف عن خوف حقيقي لدى الأئمة وليس مجرد إجراء عملية تربوية لنا، فهم يقصدون ما يقولوه

(١) من دعاء كان يدعو به أمير المؤمنين عليه السلام بعد ركعتي الفجر، ٨٤ / ٣٣٩، أنظر بحار الأنوار للمجلسي ح ١٩.
(٢) الأحزاب: ٣٣.
(٣) الأمالي / الصدوق: ١٤٩ / ح ١٤٦ / ١.
(٤) البحار / المجلسي: ٤٣ / ٢٠ / ح ٨.

حقيقة على أنفسهم قبل أن ينظروا إلينا، وحتى حينما يكونوا في خلواتهم مع الله تعالى وفي مسجد وهم حيث لا أحد يسمعهم.

الجواب الثاني: أنّ واقع علاقة الأئمة مع الله هو الخضوع والحب في قلوبهم، إنّهم يشعرون شعوراً حقيقياً بالخطأ والذنب مع الله تبارك وتعالى، بدليل انّ أحدهم يُغمى عليه حين يقف بين يدي الله تعالى، ويمكن أن نسمي هذا الجواب بـ (التفسير المعرفي).

بمعنى أنّ معرفتهم بواقع الأمور تجعلهم يعبّرون هذا التعبير ويقفون هذه المواقف، فكلما يزداد الإنسان معرفة بالله يزداد حباً وخوفاً، وليس كقول بعضنا معترضاً: لماذا يعذبنا الله، وماذا أعطانا، وماذا فعلنا؟ فإنّ ذلك نتيجة لعدم المعرفة.

الإمام عليّ عليه السلام يعرف واقع الأمور فهو خاضع لله، إنّه متواضع لأنّه يعرف الله، الأنبياء يعرفون الله ونتيجة للمعرفة تراهم يخشعون بين يدي الله تبارك وتعالى ويعترفون بحجم الخطأ، والمعرفة بعظمة الرب والمعرفة بحقارة الإنسان والأخطار الحقيقية هي التي تجعل الأنبياء يخشعون بين يدي الله ويُغمى عليهم ﴿لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرًّا...﴾.[1]

عقوبة يوسف:

يرتكب الإنسان معصية أو خطأ وزلّة أحياناً فيضيع بسببها جهد كبير وتعب سنين.

تقول الرواية: إنّ يوسف عليه السلام استقبل أبويه وخرّوا له سجداً عندما دخلوا عليه وهو على عرش الملك، وطأطآ الأبوان رأسيهما احتراماً له، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ

(١) الأعراف: ١٨٨.

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾[1] **فهبط عليه جبرئيل عليه السلام وقال له: أُبسط يدك، بسط يده وإذا بنور خرج منها إلى السماء، فقال: ما هذا النور؟ قال: هذه النبوة ذهبت من عقبك فلا يكون من ذريتك نبي، لأنّك تركت أمك وأباك يسجدان لك،[2] في الحقيقة إن هذه ليست معصية صدرت من يوسف ولكنها خلل فني وخطأ أخلاقي.**

الأنبياء يعرفون عظمة الله ويُغمى عليهم لأنهم يعرفون أمام من يقفون.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) يوسف: ٩٩ و١٠٠.

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن يوسف عليه السلام لما قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عزّ الملك فلم ينزل إليه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا يوسف أُبسط يدك، فبسط راحته فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء، فقال يوسف: يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟ فقال: نزعت النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ...» الكافي / الكليني: ٢ / ٣١١ / ح ١٥.

المحاضرة الثامنة:

قانون العفو والغفران الإلهي

«فَإِنْ عَفَوْتَ فَخَيْرُ رَاحِمٍ، وَإِنْ عَذَّبْتَ فَغَيْرُ ظَالِمٍ».

العفو الإلهي:

«أَدْعُوكَ يَا سَيِّدِي بِلِسَانٍ قَدْ أَخْرَسَهُ ذَنْبُهُ رَبِّ أُنَاجِيكَ بِقَلْبٍ قَدْ أَوْبَقَهُ جُرْمُهُ أَدْعُوكَ يَا رَبِّ رَاهِباً رَاغِباً رَاجِياً خَائِفاً إِذَا رَأَيْتُ مَوْلَايَ ذُنُوبِي فَزِعْتُ وَإِذَا رَأَيْتُ كَرَمَكَ طَمِعْتُ فَإِن عَفَوْتَ فَخَيْرُ رَاحِمٍ وَإِنْ عَذَّبْتَ فَغَيْرُ ظَالِمٍ».

ما هي المغفرة؟ وما هو قانون الغفران؟

يقول القرآن الكريم: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1] **فهل يتم ذلك بلا ضوابط؟**

كل شيء في الدنيا له قانون، وهكذا في الآخرة، فما هي خصائص الغفران الإلهي؟

غَفَرَ: يعني أخفى الشيء تحت التراب، والله سبحانه من لطفه ومنّه وصف نفسه بأنّه الغافر والغفور والغفار، يريد العباد الغفران بشكل حاضر وسريع، ونجد ذلك في وصفه تعالى بأنّه: «غافر الذنب» أي بالفعل و فوراً وأنّه «غفور» وهي صيغة مبالغة، أي كثير المغفرة يغفر مرة وعشر مرات ومائة مرة وآلا ف المرات، وهو «غفّار» أي يغفر بلا حدّ، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[2] **و** ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3] **و** ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾.[4] **فهو تعالى غافر، وغفور، وغفّار.**

كيف يحصل الإنسان على هذه المغفرة؟

---

(1) المائدة: ٤٠.
(2) طه: ٨٢.
(3) الحجر: ٤٩.
(4) غافر: ٣.

خصائص الغفران الإلهي:

يجب أن نعرف أن الغفران الإلهي له خصائص.

الخصوصية الأولى: ليس للمغفرة الإلهية حداً إلاّ الشرك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ إِن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾.[١]

ولذا يقول الإمام عليّ عليه السلام في دعاء كميل: «فباليقين أقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من إخلاد معانديك لجعلت النار كلها برداً وسلاماً»[٢] فلا يخلد في النار إلاّ المعاند والجاحد.

ويصف الإمام العسكري عليه السلام سعة رحمة الله بقوله: «إنّ الله خلق مائة رحمة، جعل منها رحمة واحدة في القلب وهي واحدة من مائة رحمة، والتسعة والتسعين يضيف لرحمته يوم القيامة فيرحم بها أمة محمد».[٣]

الخصوصية الثانية: المغفرة من الله هي فضل منه وليست إلزاماً، ولهذا نقرأ في الدعاء: «وتعفو عن الذنب كرماً، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك».

ربما يتصور بعض الناس أنّهم يدخلون الجنة حتماً نتيجة الثقة بأعمالهم، في حين أنّ دخول الجنة هو فضل ولطف من الله تعالى وليس إلزاماً عليه، فالعفو عن الذنب كرم من الله.

الخصوصية الثالثة: المغفرة والعفو هو من اختصاص الله تعالى، فلا أحد من الملائكة يستطيع أن يمسح ذنباً واحداً، ولذا نقول: «يا من لا يغفر الذنب إلاّ هو» ولفظ إلاّ هو أداة حصر.

الروح تتلوث بالذنب وأنت لا تستطيع إرجاع ساعة الخطأ، وكل حالة تترك أثرها على روح الإنسان، فالروح تتأثر بالحزن والفرح والمعصية، ولا

---

(1) النساء: ٤٨.

(2) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٨٤٨.

(3) بحار الأنوار: ٤ / ١٨٣ / ح ١٠.

يمكن ارجاع أمس لأنه مضى، وهكذا المعصية والطاعة تبقى مكتوبة عليك وقلبك قد تلوث أو تعطر بها، فهل تستطيع مسحه؟ فكما لا يستطيع أحد ارجاع الوقت كذلك لا يستطيع الغفران ومسح الذنوب غير الله سبحانه.

أرواحنا أسيرة بيد الذنوب التي لا يغفرها إلاّ الله.

نقرأ في الدعاء في ليالي شهر رمضان: «واغفر لنا تلك الذنوب العظام فإنّه لا يغفرها غيرك يا علام» ولذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾.(١)

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «لا أجد لذنوبي غافرا، ولا لقبائحي ساتراً ... غيرك».(٢)

قانون الغفران الإلهي:

تخضع المغفرة الإلهية لمجموعة قوانين وضوابط، وهي كما يلي:

١ ـ قانون التوبة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾.(٣)

في الرواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كان إبليس أوّل من ناح، وأوّل من تغنى، وأوّل من حدا.

قال: لما أكل آدم من الشجرة تغنّى.

قال: فلما هبط حدا به.

فلما استقر في الأرض ناح لذكره ما في الجنة.

فقال آدم: رب هذا الذي جعلت بيني وبينه العداوة لم أقوِ عليه وأنا في الجنة، وإن لم تُعنّي عليه لم أقوِ عليه.

فقال الله: السيئة بالسيئة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة.

---

(1) آل عمران: ١٣٥.

(2) مصباح المتهجد: ٨٤٥.

(3) طه: ٨٢.

قال: رب زدني.

قال: لا يولد لك ولد إلاّ جعلت له ملكاً أو ملكين يحفظانه.

قال: رب زدني.

قال: التوبة مفروضة في الجسد ما دام فيه الروح.

قال: رب زدني.

قال: أغفر الذنوب ولا أبالي، قال: حسبي».[١]

٢ _ قانون ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.[٢] **بمعنى أن الحسنات تكون سبب لمحو السيئات والعفو عنها.**

٣ _ قانون غفران الذنوب عند اجتناب الكبائر.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

٤ _ قانون غفران الذنوب بسبب اعطاء القرض، فمن ألطاف الله هو قوله تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٣] **فإنّ الله غير محتاج لأن يقرضه أحد، والقرض يشمل الهدية والعطاء والصدقة والإحسان أيضاً.**

٥ _ قانون العفو الإلهي مقابل العفو عمّن أساء إليك.

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[٤]

٦ _ قانون الغفران بسبب التحابب بين المؤمنين.

في الرواية عن إسحاق بن عمار، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فنظر إليّ بوجه قاطب.

فقلت: ما الذي غيّرك علي؟

---

(1) مستدرك الوسائل: ج ١٢ / ص ١٤٤ / ح ١٣٧٣٥.

(2) هود: ١١٤.

(3) التغابن: ١٧.

(4) النور: ٢٢.

قال: الذي غيرَّك لإخوانك، بلغني يا إسحق أنّك أقعدت ببابك بواباً يرد عنك فقراء الشيعة.

فقلت: جُعلت فداك إنّي خفت الشهرة.

فقال: أفلا خفت البلية؟ أو ما علمت أنّ المؤمنَين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله ﷻ الرحمة عليهما فكانت تسعة وتسعين لأشدهما حبا لصاحبه، فإذا توافقا غمرتهما الرحمة، فإذا قعدا يتحدثان قال الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا فلعل لهما سراً وقد ستر الله عليهما».(١)

٧_ قانون المغفرة ببركة الولاية للنبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام.

يروي سدير الصيرفي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

يا سدير، أما أنّ ولينا ليعبد الله قائماً وقاعداً ونائماً وحياً وميتاً.

قال: قلت: جعلت فداك أمّا عبادته قائماً وقاعداً وحياً فقد عرفنا، كيف يعبد الله نائماً وميتاً؟

قال: إنّ ولينا ليضع رأسه فيرقد، فإذا كان وقت الصلاة وكلّ الله به ملكين خلقا في الأرض لم يصعدا إلى السماء ولم يريا ملكوتها، فيصليان عنده حتى ينتبه فيكتب الله ثواب صلاتهما له، والركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين.

وإنّ ولينا ليقبضه الله إليه فيصعد ملكاه إلى السماء فيقولان يا ربنا عبدك فلان بن فلان انقطع واستوفى أجله، ولأنت أعلم منا بذلك فإذن لنا نعبدك في آفاق سمائك وأطراف أرضك.

قال: فيوحي الله إليهما: إن في سمائي لمن يعبدني، ومالي في عبادته من حاجة، بل هو أحوج إليها، وإنّ في أرضي لمن يعبدني حق عبادتي، وما خلقت خلقاً أحوج إليّ منه.

---

(1) الكافي: ج ٢ / ص ١٨٢ / ح ١٤.

فيقولان: يا ربنا من هذا يسعد بحبك إياه؟

قال: فيوحي الله إليهما: ذلك من أخذت ميثاقه بمحمد عبدي ووصيه وذريتهما بالولاية، اهبطا إلى قبر وليي فلان بن فلان فصلّيا عنده إلى أن أبعثه في القيامة.[١] وعلى أساس ذلك جاء الدعاء ليقول:

«اللهم إنّي بذمة الإسلام أتوسل إليك، وبحبي النبي الأمي العربي المدني المكي العربي التهامي أرجو الزلفة لديك، فاعرف اللهم ذمتي التي رجوت بها قضاء حاجتي يا أرحم الراحمين».[٢]

* * *

(1) فضائل الشيعة للشيخ الصدوق: ٢٧.

(2) دعاء أبي حمزة الثمالي.

المحاضرة التاسعة:

تقييم عمل الإنسان

«عَظُمَ يَا سَيِّدِي أَمَلِي وَسَاءَ عَمَلِي، فَأَعْطِنِي مِنْ عَفْوِكَ بِمِقْدَارِ أَمَلِي، وَلا تُؤَاخِذْنِي بِأَسْوَإِ عَمَلِي».

«عَظُمَ يَا سَيِّدِي أَمَلِي وَسَاءَ عَمَلِي فَأَعْطِنِي مِنْ عَفْوِكَ بِمِقْدَارِ أَمَلِي وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِأَسْوَإِ عَمَلِي».

يوجد هنا بحثان: بحث حقوقي وبحث تربوي، نقف الليلة عند البحث الثاني.

مقدمة:

أسباب الجريمة:

هناك ذنوب عملية كالكذب والسرقة والغيبة والشتم والظلم والاعتداء، ويسميها القانون جريمة، وتوجد وراء هذه الذنوب أمراض قلبية، فالجريمة لم تحدث إلاّ ووراءها مرض قلبي وحالة نفسية مرضية، فلو كان الإنسان سليماً قلبياً لم يسرق ولم يكذب ولم يسيء.

الإسلام يركز على القلب في اطار التربية الدينية، وتسمى اليوم التربية الوطنية بدلاً عن الدينية في بعض الدول العربية أعداء للدين، وهذا من فعل الاستعمار حينما احتل هذه الدول، حيث جعل الدين من جملة النصوص الأدبية، فكما تحفظ قصائد امرئ القيس تحفظ آيات قرآنية دون معرفة معناها.

أصل القضية هي أنّ الإنسان يجب أن يبدأ من تربية القلب، وينطلق لمكافحة الجريمة في الخارج.

روي عن النبي ﷺ قوله: «إنّما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق».[1]

هل يحاسب الله سبحانه على الأمراض القلبية إذا لم تتحول إلى جريمة على الأرض؟

---

(1) البحار: ١٦: ٢١٠.

يقول القرآن الكريم: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾.[1] **وهذه الآية ظاهرة في أن الله تعالى يحاسب على النيّات، ومن هنا يقول العلماء: إذن ماذا بقي لنا؟**

لذا قالوا أنّ هذه الآية منسوخة، فمن كان في نيته أن يغش ولكنه لم يغش فإن الله لا يحاسبه لأنّ الحالة لم تترجم إلى فعل.

لقد بدأ الإسلام بتربية القلوب وازالة الأمراض القلبية.

التربية أو العقوبة:

هناك بحث قانوني معاصر ومهم في أنّ الجريمة التي ارتكبها الإنسان هل تحتاج إلى تربية أم تحتاج إلى عقوبة؟

إذا كانت حالة مرضية فعلينا إذن أن نعالجها.

يفهم الغرب أنّ جميع الجرائم هي تعبير عن حالة مرض، لذا يجب أن يكون السجن بمثابة معهد تربوي، ولذا ألغى الغرب عقوبة الإعدام.

والعالم اليوم بدأ يتراجع عن ذلك، وعرف أنّ الجريمة أحياناً تحتاج إلى عملية استئصال، كالمرض المُعدي حيث يجب الحجر عليه وقطع استمراره، وهكذا حال السفاكين والقتلة، فهم مثل مرض القنقري يجب فيه قطع الرجل أو اليد ، وسرطان الثدي كذلك فيجب فيه قطع الثدي وإلاّ فإنه يصل إلى القلب ويقتل صاحبه.

النظرية الإسلامية في العقوبة هي التربية والموعظة في الخطوة الأولى، ثم القصاص في الخطوة الثانية، فقبل ١٤٠٠ عام قال الإسلام: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً إِنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا...﴾[2] **والغرب انتبه اليوم وقال بمكافحة الإرهاب ووجوب معالجته بالاستئصال.**

---

(1) البقرة: ٢٨٤.

(2) المائدة: ٣٣.

طول الأمل مرض قلبي:

أحد الأمراض القلبية هو طول الأمل.

إن عدم يأس الإنسان من المستقبل والأمل به هو أمر جيد إلى مستوى معين، ولكنه يكون مرضا في مستوى آخر.

هناك أمل ممدوح، وهناك أمل مذموم.

فالإمام زين العابدين عليه السلام يقول: «عظم يا سيدي أملي، وساء عملي».

والامام عليّ عليه السلام يقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم إثنان: اتّباع الهوى وطول الأمل»[1] فطول الأمل حالة مرضية كما يراها أمير المؤمنين عليه السلام.

الأمل الممدوح والأمل المذموم:

الأمل المذموم هو كل أمل بغير الله.

والأمل الممدوح هو كل أمل بالله.

إذا كان الأمل بهذا الاستاذ وهذا المحامي والدينار والدرهم والدنيا والعشيرة مقطوعاً عن الله فهو أمل مذموم، ولكن إذا كان الأمل بأنّ الله هو المدبر والناصر والرازق فإنه يكون أملاً ممدوحاً.

وليس معنى ذلك هو قطع علاقاتنا مع الناس، ولكن يجب أن نعرف أنّ الفاعل الحقيقي هو الله، وهذه الأمور عبارة عن وسائل.

حينما تذهب إلى الطبيب عليك أن تؤمن بأنّ الشفاء من الله وليس من قرص الأمبيسيلين.

من الأمل المذموم هو الأمل الذي يضيع فرص العمر كأن لا تسافر للحج هذا العام بأمل السفر في العام المقبل، وأن يأتي الشيطان ويقول لك أجّل الصلاة بعض الوقت حتى يفوت وقتها.

---

(1) نهج البلاغة: ١ / ٧٢ / خ ٢٨.

شيطان الليل:

يـروي الشـيخ عبـاس القمـي روايـة صـحيحة عـن الإمـام البـاقر عليه السلام جـاء فيهـا: «إنّ للّيـل شـيطاناً يقـال لـه الرهـا، فـإذا اسـتيقظ العبـد وأراد القيـام إلـى الصـلاة قال لـه: ليسـت هـذه سـاعتك، وهكـذا يطلع الفجـر، فإذا طلع الفجر بـال فـي اذنـه ثـم انصرف يمصع بذنبه فخراً ويصيح».[١]

هذا أمل يفوّت الفرصة فهو أمل مذموم.

عـن النبـي صلى الله عليه وآله قـال: يعقـد الشـيطان علـى رأس أحـدكم إذا هـو نـام ثـلاث عقـد، يضـرب مكـان كـل عقـدة عليـك ليـل طويـل فارقـد فـإن اسـتيقظ فـذكر الله انحلـت عقـدة. فـإن توضـأ انحلّـت عقـدة، فـإن صـلى انحلـت العقـد كلهـا فأصـبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان.[٢]

ما يحضر المرء عند الموت:

عـن الإمـام علـيّ عليه السلام: «إنّ ابـن آدم إذا حضـره المـوت حضـر عنـده ولـده وأموالـه وعملـه، فيلتفـت إلـى أموالـه فتقـول: لـه خـذ منّـا كفنـك، ويلتفـت إلـى أولاده فيقولـون سنوصـلك إلـى القبـر، ويلتفـت إلـى عملـه فيقـول: أنـا خليلـك فـي حفرتـك فـإن عمـل صـالحاً أتـاه أطيـب ريحـاً، وإن كـان سـيئاً أتـاه كريـه الرائحـة ونتن المنظر ويقول: أنا عملك معك».[٣]

رجلان يدخلان المسجد:

فــي روايــة جميلــة عــن الإمــام الصــادق عليه السلام قــال: «يــدخل رجــلان المسـجد، أحـدهما عابـد والآخـر فاسـق، فيخرجـان مـن المسـجد والفاسـق صـدّيق

(1) بحار الأنوار: ٨٤ / ١٧٠.
(2) كنز العمال للمتقي الهندي: ٧ / ٢٧٠ / ح ٢١٣٧٨.
(3) انظر الكافي: ٣ / ٢٣١.

والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد المسجد وهو مدلٍ بعبادته وفكرته في ذلك، ويكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه فيستغفر الله من ذنوبه».[1] ومعنى هذا الحديث أن العابد مغرور بعبادته، أما الفاسق فهو معترف بذنبه خائف من ربه، فيخرج الفاسق من المسجد وقد تحول إلى رجل صدّيق، ويخرج العابد من المسجد وقد أصبح فاسقاً نتيجة غروره بعبادته.

حالات الشيخ الشوشتري:

رحم الله معلم الأخلاق الشيخ الشوشتري صاحب كتاب «الخصائص الحسينية» يقول: مررت باثنتي عشرة حالة نفسية.

في المرحلة الأولى: نظرت إلى عملي، فوجدت نفسي يائساً منه ولا ينفعني في الميزان.

وفي المرحلة الثانية: تأملت فإذا أنا من أمة رسول الله ﷺ فعاد لي الأمل.

وفي المرحلة الثالثة: عرفت أن الدخوف في أمة محمّد ﷺ وعليّ عليه السلام يحتاج إلى شروط وهي غير موجودة لديَّ فعاد لي اليأس.

وفي المرحلة الرابعة: فكّرت أنّ لي علاقة خاصة بالحسين عليه السلام وهو سفينة النجاة فعاد لي الأمل بالنجاة.

وفي المرحلة الخامسة: احتملت أن تكون هذه العلاقة غير مستقرة وقد تزول فعاد لي الخوف والقلق.

وفي المرحلة السادسة: قلت ليس لي عمل ولكن لي ثواب زيارة الحسين عليه السلام فعاد لي الأمل.

وفي المرحلة السابعة: ناقشت نفسي في أن السيئات تحبط الحسنات فعاد لي اليأس.

---

(1) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ٢ / ٣٥٤ / ب ٦٦.

وفي المرحلة الثامنة: قلت إنّي أزور الحسين عليه السلام ولي علاقة معه، وثواب الزيارة لا يمكن أن تُحبَط مهما كانت السيئات، لأن ثواب الزيارة هو حجة الأنبياء وعمرتهم وهي مقبولة بلا شك فعاد لي الأمل.

وفي المرحلة التاسعة قلت: ما إذا أفعل بحقوق الناس فعاد لي اليأس.

وفي المرحلة العاشرة: فكرت بأنّ لي خصوصية البكاء على الحسين عليه السلام وثواب الدمعة لا حدّ لها فعاد لي الأمل.

وفي المرحلة الحادية عشرة قلت: أليس ذلك مرتبط بالصلاة؟ فعاد لي اليأس.

وفي المرحلة الثانية عشرة قلت: إنّي أُحب الحسين عليه السلام، ووصلت إلى هذه النتيجة، وهي: لا يوجد ما أؤمل به نفسي إلاّ حب الحسين عليه السلام، إذ من الثابت أنّ البكاء على الحسين عليه السلام هو حالة قلبية، وإنّ القلب يكون رقيقا عند البكاء وهذا مقبول عند الله، فاطمأننت.

الثقة إذن ليست بالعمل، بل بالله والحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

ومن صور الأمل الممدوح الرجاء بالله تعالى.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم شاباً هذا الدعاء: «يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير إقبل مني اليسير واعفُ عني الكثير».[١]

قصر في الجنة:

وقوله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً من ياقوت، يُرى باطنه من ظاهره، فيه قبّتان من درّ وزبرجد».

قلت: يا جبرئيل لمن هذا القصر؟

قال: لمن أطاب الكلام، وأدام الصيام، وأطعم الطعام، وتهجد بالليل والناس نيام.

---

(1) منتهى المطلب / العلاّمة الحلي: ١ / ٤٢٦؛ الأمالي للشيخ المفيد: ٢٨٨.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: وفي أمتك من يطبق ذلك يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله: نعم، أتدري من أطاب الكلام؟ قال: من؟ قال: من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر.

أتدري يا عليّ من أدام الصيام؟ قال: من؟ قال: من صام شهر رمضان لم يفطر يوماً.

أتدري يا عليّ ما إطعام الطعام؟ قال: من؟ قال: من طلب لعياله ما يكف به وجوههم.

أتدري يا علي معنى تهجد بالليل والناس نيام؟ قال: من؟

قال: من لم ينم حتى يصلي العشاء الآخرة والناس نيام بينهما.[١]

ملائكتي أين كنتم:

إنّ ذنوبنا كثيرة، ولكن ثقتنا بالله أنّه يعفو.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الملائكة يمرون على حلق الذكر، فيقومون على رؤوسهم ويبكون لبكائهم ويؤمّنون على دعائهم، فإذا صعدوا إلى السماء يقول الله: ملائكتي أين كنتم؟ وهو أعلم، فيقولون ربنا إنّا حضرنا مجلسا من مجالس الذكر، فرأينا أقواماً يسبحونك ويمجدونك ويقدسونك يخافون نارك. فيقول الله سبحانه: يا ملائكتي أذودها عنهم وأشهدكم أني قد غفرت لهم وآمنتهم مما يخافون، فيقولون: ربنا إنّ فيهم فلاناً، وإنه لم يذكرك، فيقول الله سبحانه: قد غفرت له بمجالسته لهم، فإنّ الذاكرين من لا يشقى بهم جليسهم».[٢]

قصة عبد الله بن مسعود:

كان عبد الله بن مسعود من قرّاء القرآن الكريم، وشهد الصلاة على الزهراء

(1) انظر الامالي للشيخ الطوسي: ٤٥٩.

(2) مستدرك الوسائل للميرزا النوري: ٥: ٢٨٩.

عليه‌السلام، ومن الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر غصب الخلافة، وهو من الستة الذين خُلقت الأرض من أجلهم (عمار، سلمان، أبو ذر، المقداد، حذيفة، وابن مسعود) كما جاء في الحديث الشريف. وقد أنكر على عثمان أعماله وإعطائه الأموال لأقاربه، فضربه عثمان وكسّر عظامه حتى قضى عليه، بينما نجد انّ عقيلا يأتي إلى أخيه الإمام عليّ عليه‌السلام ليزيد عطاءه فلا يعطيه.

مخالفات عثمان:

ابن أبي الحديد _ وهو شارح نهج البلاغة _ يعدد مخالفات عثمان، منها:

أعطى ٤٠٠ ألف درهم إلى عبد الله بن أبي العاص.

وأعطى ٢٠٠ ألف درهم إلى أبي سفيان.

وأعطى ١٠٠ ألف درهم إلى مروان بن الحكم، وأقطعه أرض فدك كلها.

واقطع الحارث بن الحكم سوق تصدق بها الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله وقفاً إلى المسلمين.

وأعطى خمس أفريقيا إلى مروان بن الحكم.

وكانت مراعي المدينة وحواليها ممنوعة إلاّ لمواشي بني أمية.

ومع ذلك يقول ابن أبي الحديد: كان على المسلمين أن لا يقتلوا عثمان، وإنما كان عليهم أن يخلعوه.

مرض ابن مسعود فجاء عثمان لزيارته، فقال: مم تشكو يا بن مسعود؟

قال: أشكو ذنوبي.

قال: أدعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألك حاجة؟ قال: حاجتي إلى رحمة ربي، قال: هذه هدية لك، قال: منعتنيها يوم حاجتي وتعطيني حيث لا حاجة. قال عثمان: هي لأولادك، قال: لقد أوصيت أولادي بقراءة سورة الواقعة، فقد سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم يحتج أبداً.[1]

الاعتماد على سورة الواقعة هو الاعتماد على الله سبحانه.

---

(1) انظر تفسير مجمع البيان للشيخ الطوسي: ٩: ٣٥٤.

ثلاثة بحوث في عمل الإنسان:

في الحديث عن عمل الإنسان لدينا ثلاثة بحوث: بحث فلسفي، وبحث حقوقي، وبحث تربوي نمر عليها مرور الكرام ونكتفي بالاشارات العريضة.

البحث الحقوقي:

هل تنشأ أعمال الإنسان وأخلاقياته لأسباب وراثية، أو لأسباب بيئية أو تربوية؟

في كل الأحوال يكون الإنسان مسؤولاً عن عمله ويتحمل مسؤوليته، سواء ورث الصفات من أجداده، أو خضع لعوامل بيئية، أو عوامل تربوية في المدرسة مثلاً، إنه لا ذنب له ولكن الفلاسفة والقضاة والأنظمة والمذاهب المادية والإلهية كلها يتفقون على أنّه مسؤول عن أعماله، لأنّ لديه مستوى من الإرادة النسبية، أي إنّه صاحب قدرة وإرادة، فالسارق لايبرأ لأن أباه أورثه هذه الأخلاقية، أو لأنّ المجتمع سيء.

وقد أكد الإسلام نظرية المسؤولية، قال تعالى: ﴿وقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾.(1)

الذي يحسن هل تقول له لم تحسنْ لأنّ الله خلقك هكذا؟ كلا، فمن أحسن فلنفسه، والإسلام يؤكد ذلك، فلا يمكن أن نسلب الناس حسناتهم على اعتبار أنّها وراثة.

من عظمة الإسلام إنّه يقرر قانون المسؤولية، ويقرر مبدء الاستثناء أيضاً.

عن النبي ﷺ: «رُفع عن أمتي أربع خصال: خطاؤها، ونسيانها، وما أكرهوا عليه، وما لم يطيقوا»(2) كقول عمار تحت سياط قريش ما يتنافى مع التوحيد، فجاء إلى رسول الله ﷺ وهو مرتبك واعترف أنّه قال لهم ما يريدون، قال ﷺ: وقلبك مطمئن؟ قال: نعم، قال ﷺ: إذن لا شيء عليك، وإنّ عادوا فعُد.(3)

---

(1) الصافات: ٢٤.

(2) الكافي للكليني: ٢: ٤٦٣.

(3) انظر شرح أصول الكافي: ٩ / ١٢٢ / ح ١٠.

البحث الفلسفي:

هل يخضع عمل الإنسان إلى إرادة إنسانية، أم إرادة إلهية، أم تجتمع كلا الارادتين؟

يقول الفلاسفة: هناك ثلاث مذاهب: المذهب الجبري، والمذهب التفويضي، ومذهب الوسط. يقول: المذهب الجبري أن الإنسان لا إرادة له، ويقول المذهب التفويضي أن إرادة الإنسان مطلقة والله قد فوّض إليه الأمر كله، وأما مذهب أهل البيت عليهم السلام فهو أن الإرادة الإنسانية نسبية، لا هي مطلقة فوق إرادة الله، ولا هي صفر ولا شيء، أي إن للإنسان جزء من الإرادة.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».[1]

الإنسان له إرادة وتفكير ومحبة ومقاومة إلى جانب إرادة الله تعالى ومشيئته، ولو قال قائل أنّك صاحب إرادة مطلقة، وأنّ الله لم يكن قد شاء ذلك فإنّه غير صحيح وهو ما لا نعتقد به.

فلولا التقدير الإلهي ما استطعت التصرف الفلاني، فهي ليست إرادة مطلقة بل هناك إرادة نسبية، يعني نحن نتصرف بإرادتنا ولكن بتوفيق الله ووفق مشيئته وليس بالضد منها.

الرؤية الإسلامية تجاه عمل الإنسان:

نستطيع أن نصطلح على هذه النظرية تجاه عمل الإنسان بـ«نظرية الإرادة النسبية» التي تعني أن الإنسان يملك شيئاً نسبياً من الإرادة والاختيار، بحيث تصبح معه عملية التكليف والحساب والعقاب. وإلى جانب ذلك هناك نظرية توحيدية عميقة اسمها (نظرية التوحيد الافعالي) وهي لا تتنافى طبعاً مع نظرية الإرادة النسبية.

---

(1) الهداية للشيخ الصدوق: ١٨.

نظرية التوحيد الإفعالي:

وهو بحث فلسفي، ويمثل عمق التوحيد، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك بقوله: «لا قوة إلاّ بالله».

وقوله تعالى: ﴿هُوأَضْحَكَ وأَبْكى * وأَنَّهُ هُوأَماتَ وأَحْيا﴾.[1]

و﴿إذا مَرِضْتُ فَهُو يَشْفين﴾[2] فكل الأفعال في الوجود هي أفعال الله. يقول الفلاسفة الإسلاميون: إنّ عمق التوحيد هو التوحيد الذاتي والأسمائي والافعالي.

التوحيد الذاتي والتوحيد الاسمائي:

التوحيد الذاتي يعني لا شيء في الوجود غير الله، فهو الأوّل والآخر، وهو الظاهر والباطن، وهو الموجود ولا مودجود سواه.

والتوحيد الاسمائي يعني أنّه هو السميع والبصير والحي والقيوم، وكل الصفات الحسنى ترجع إليه وحده ولاحظّ لغيره منها.

والتوحيد الأفعالي يعني أن كل ما يحدث في الخارج من قيام وقعود وركوع وسجود وحرب وسلم وأكل وشرب ونوم ويقظة إنما هو بالله، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

نقول في صلاتنا: بحول الله وقوته أقوم وأقعد وأركع وأسجد.

القرآن الكريم مليء بهذه الفكرة، كقوله تعالى: ﴿قل كلٌّ مِنْ عِنْد اللّه﴾.[3]

و﴿قل لنْ يُصيبَنا إلا ما كَتَبَ اللّهُ لنا﴾.[4]

و﴿فلَمْ تقتُلوهُمْ ولكنَّ اللهَ قتَلَهُمْ﴾.[5]

---

(1) النجم: ٤٣ و٤٤.

(2) الشعراء: ٨٠.

(3) النساء: ٧٨.

(4) التوبة: ٥١.

(5) الأنفال: ١٧.

و﴿ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللَّهَ رَمى﴾.[١]

جاء ذلك في معركة بدر في ١٧ رمضان، فقد كان عدد المسلمين قليلاً وعدد المشركين ثلاثة أضعاف ذلك، نظر رسول الله ﷺ إلى العدة والعدد، فقال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تُعبد» ودعا لهم بالنصر، فهبط جبرئيل وقال له: خذ من حصى الوادي وارم في وجوههم، وطلب ﷺ من عليّ عليه السلام أن يناوله من الحصى، فناوله فرمى به وجوه القوم فأصبحوا لا يرون، ولم يبقَ أحد من المشركين إلاّ وعمي، وأمر الله ملائكته أن ﴿اضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ﴾.[٢]

إنّ الله سبحانه هو صاحب الفعل الحقيقي، فمظهر القضية هو أخذ الحصى ورميه ولكن الرامي الحقيقي هو الله، فقتل من قريش يومئذ سبعون شخصا، وهنا قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾.[٣]

وهذه النظرية لا تتنافى مع مسؤولية الإنسان وأرادته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * ولِساناً وشَفَتَيْنِ﴾[٤] أي للإنسان قدرة، فهو الذي يرى ويتكلم ويمشي، فهو مسؤول عن أفعاله.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ إِن لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾[٥] فالإنسان له إرادة وهو مراقب في أعماله.

وقال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمامَهُ * يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ﴾.[٦]

ويحاول الظالم أن يتخلص فيقول خدعني الشيطان أو المستكبرون،

---

(1) الأنفال: ١٧.

(2) الأنفال: ١٢.

(3) الأنفال: ١٧.

(4) بلد: ٨ و٩.

(5) بلد: ٧.

(6) القيامة: ٥ و٦.

قال تعالى: ﴿ولَوتَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَولا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[1] **يبرأ بعضهم من بعض. لكن القرآن الكريم يرفض منهم ذلك ويقول عن لسان المستكبرين:** ﴿أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾.

ويحاول الشيطان يوم القيامة أن يتخلص من مسؤوليته ويلقي باللائمة على الإنسان نفسه.

قال تعالى: ﴿وقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ووَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي ولُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾.[2]

البحث التربوي الأخلاقي:

كيف يتعامل الإنسان مع أعماله وفق الرؤية الإسلامية؟

قرأت في بعض الصحف _ أخيراً _ أنّ قائد شرطة أمريكي غير مسلم صام مع المسلمين ليعرف كيف هي طبيعة المسلمين؟ ويتعرف على المجتمع المسلم وليس قربة إلى الله، وهذه هي قوة الإسلام حيث امتد في العمق الأمريكي.

قال الغرب لرئيس وزراء تركيا (اردوغان) افعلوا ما تشاؤون في تركيا إلاّ الحجاب فهو ممنوع، فأرسل بناته إلى دولة أخرى لأن الحجاب في الجامعات التركية ممنوع، وهذه هي الديمقراطية!!

نبين هنا رؤية اجمالية عن كيفية التعامل مع عمل الإنسان حسب رؤية أهل البيت عليهم السلام**:**

في دعاء مكارم الأخلاق يقول الإمام زين العابدين عليه السلام**: «واستقلال الخير وإنْ**

---

(1) سبأ: ٣١.

(2) إبراهيم: ٢٢.

كثر من قولي وفعلي، واستكثار الشر وإنْ قلّ من قولي وفعلي»[١] يجب أن تستغفر إذا أخطأت، وذلك لأن معصية واحدة قد تدفع ثمنها باهضاً، مثال ذلك أن يفقأ طفل عين طفل آخر أثناء اللعب فيبقى طيلة عمره بلا عين وذلك لخطأ بسيط.

استحقار الذات:

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزّهتك عن ذكري إياك، وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أكون محلاً لتقديسك»[٢] إلهي إنّي لا استحق شرف ذكرك ولكنك أمرتني، وما عسى أن يكون قدري حتى أكون محلا لتقديسك وتسبيحك.

ويقول عليه السلام: «نزلت منزلة الآيسين من خيري» ويبين عجزه عن أداء الشكر بقوله عليه السلام: «وكلما قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد».

ينبغي الاعتقاد بأنّنا لا نستحق على الله العفو ولكنه يعفو من كرمه «وليس لنا ما نستحق به رضوانك أو نستوجب به عفوك».

حب أهل لبيت عليهم السلام:

إنّ العمل الصالح العظيم الذي نرجو له الثواب هو حب أهل البيت عليهم السلام، إنّ الولاية من أعظم النعم علينا ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها﴾.[٣]

النعمة الظاهرة هي ولايتنا أهل البيت، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسلام دِيناً﴾.[٤]

(1) الصحيفة السجادية: ١٠٤.
(2) بحار الأنوار: ٩١ / ١٥١.
(3) إبراهيم: ٣٤.
(4) المائدة: ٣.

يقول أبو حمزة الثمالي: دخلت على محمد بن علي الباقر عليه السلام وقلت: حدثني بحديث ينفعني، قال عليه السلام: يا أبا حمزة، كلٌّ يدخل الجنة إلاّ من أبى.

قلت: يا بن رسول الله أحد يأبى أن يدخل الجنة؟

قال: نعم.

قلت: من؟

قال: من لم يقل لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله.

قلت: يا بن رسول الله لا أروي هذا الحديث عنك.

قال: ولم؟

قلت: إني تركت المرجئة والقدرية والحرورية وبني أمية كلٌّ يقولون لا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

قال عليه السلام: هيهات هيهات، إذا كان يوم القيامة سلبهم الله تعالى إياها، لا يقولها إلاّ نحن وشيعتنا، والباقون براء، أما سمعت الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وقالَ صَواباً﴾.(١)

رصيدنا هو حب أمير المؤمنين عليه السلام.

يروي الصدوق رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وآله: «ألا ومن أحب عليا فقد أحبني، ومن أحبني فقد رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه كافأه الجنة» «ألا ومن أحب علياً لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من طوبى ويرى مكانه في الجنة.

«ألا ومن أحب عليا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلها من أي باب شاء بغير حساب».

«ألا ومن أحب علياً أعطاه الله كتابه بيمينه وحاسبه حساب الأنبياء».

«ألا ومن أحب علياً جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر».

«ألا ومن أحب علياً جاز على الصراط كالبرق الخاطف».(٢)

(1) بحار الأنوار: ٧ / ٢٠٧ / ح ٩٤.
(2) بحار الأنوار: ٧ / ٢٢٢ / ح ١٣٣.

المحاضرة العاشرة:

وجه الله ونظرية التجسيم

«وَمَا أَنَا يَا رَبِّ وَمَا خَطَرِي، هَبْنِي بِفَضْلِكَ وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ، أَيْ رَبِّ جَلِّلْنِي بِسَتْرِكَ وَاعْفُ عَنْ تَوْبِيخِي بِكَرَمِ وَجْهِكَ، فَلَوِ اطَّلَعَ الْيَوْمَ عَلَى ذَنْبِي غَيْرُكَ مَا فَعَلْتُهُ».

«رَبِّ جَلِّلْنـي بِسَـتْرِكَ وَاعْـفُ عَـنْ تَـوْبِيخي بِكَـرَمِ وَجْهِـكَ فَلَـو اطَّلَـعَ الْيَـوْمَ عَلَـى ذَنْبِـي غَيْرُكَ مَا فَعَلْتُهُ وَلَوْ خِفْتُ تَعْجيل الْعُقُوبَةِ لاجْتَنَبْتُهُ».

وجه الله:

يقول الدعاء: «وأعف عن توبيخي بكرم وجهك»

هل لله وجه؟

يقف العلماء عند هذا السؤال كثيراً، إنّه مذكور في الأدعية والروايات والقرآن الكريم، كما نقرأ في دعاء الكميل: «وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء».[١]

وجاء في دعاء السمات:

«وبجلال وجهك الكريم».

«وبنور وجهك الذي تجليت به للجبل فجعلته دكاً وخرّ موسى صعقاً».[٢] ما هذا الوجه الذي أشرف بنوره على الجبل.

وورد «وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء».[٣]

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِن * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.[٤]

و ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.[٥]

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾.[٦]

---

(1) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٥٧٢.

(2) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٢٩٥.

(3) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٥٧٢.

(4) الرحمن: ٢٧.

(5) البقرة: ١١٥.

(6) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق: ٢ / ١٠٦.

كـان بعـض النـاس يعتقـدون _ نتيجـة للبسـاطة فـي التفكيـر _ أنّ لله وجهـاً، وهـم المجسـمة الـذين يعتقـدون أنّ لله جسـما، ولكـن القـرآن الكـريم ومـذهب أهل البيت عليهم السلام لا يقبل هذا التفسير، لقوله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.(١)

الاشكال على التجسيم:

ما هو الاشكال العلمي في مسألة التجسيم؟

الاشكال هو:

أوّلاً: إذا كـان الله تعـالى لـه جسـم فهـو إذن محـدود بحـدود ذلـك الجسـم، بينما يقول القرآن: ﴿وهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾.(٢)

ثانيـاً: إذا كـان لله سـبحانه جسـما فإنـه يعنـي أنـه مكـوّن مـن مجموعـة مركبـات، وعناصـر التركيـب يعنـي الـنقص وحاجـة بعـض المركبـات إلـى الـبعض الآخر، وهذا أمر منفي عن الله تعالى الذي له الكمال المطلق.

وإذا ذهبت إلى أن الله تعالى ليس جسماً فما معنى وجه الله؟

هل هذه أدبيات عربية وجماليات في اللغة؟

الوجـه فـي اللغـة العربيـة واجهـة الشـيء، والظـاهر مـن الشـيء ومايسـتقبل بـه، فالإنسان الذي تريد أن تحييه تأتيه في وجهه، وكذلك الله تعالى تجلّى لنا فنعرفه من خلال وجهه الذين ظهر به في كل الوجود، فكل الموجودات هي وجه الله تعالى.

إن لله مائة اسم أظهر منها ٩٩ إسماً وأخفى واحداً هو الحقيقة الكبرى، وهو ما يعبّر عنه العرفاء بمقام الأحديّة، ولما كان الإنسان هو أكمل موجود، وكان الإمام المعصوم هو الإنسان الكامل، لذا كان الإنسان الكامل هو وجه الله.

ولهـذا نجـد فـي الروايـات أنّ الأئمّـة يقولـون: نحـن وجـه الله لأنّ أعظـم مـا

(1) الشورى: ١١.

(2) الزخرف: ٨٤.

ظهر به الله تعالى للخلق ليس هو جدار الصين ولا اهرامات مصر، بل هو الإنسان الكامل، وهو رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام.

ونحن نخاطب الله سبحانه من خلال أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم الواجهة التي ندخل بها على الله تعالى، اللهم إنّي أتوجه إليك بنبيك محمد».[1]

لله المشرق والمغرب:

قال تعالى: ﴿وحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2] **وقد نزلت هذه الآية حينما كان رسول الله ﷺ والمسلمون يتوجهون إلى بيت المقدس طيلة ١٣ سنة، فقال اليهود إنّ الرجل يتجه لقبلتنا ويصلي لغير ربنا، ولما رأى الله تعالى ألم النبي ﷺ وحيرته أنزل قوله:** ﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها﴾[3] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾[4] **وهنا نزل جبرئيل عليه السلام وأدار النبي ﷺ إلى جهة الكعبة، كانت الركعتان الأولتان إلى بيت المقدس والآخرتان إلى الكعبة.**

قال اليهود: صليتم ١٣ سنة نحو المقدس، فهل كنتم على باطل فتحولتم إلى الكعبة؟

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ والْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[5]

﴿وكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى

---

(1) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٧٩٨.
(2) البقرة: ١٤٤.
(3) البقرة: ١٤٤.
(4) البقرة: ١٤٤.
(5) انظر الاحتجاج للطبرسي: ٤٣.

عَقِبَيْهِ وإنْ كانَتْ لَكَبيرَةً إلاَّ عَلَى الَّذينَ هَدَى اللَّهُ وما كانَ اللَّهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ إنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ﴾.(١)

وحديث الوجه هذا نستفيد منه عملياً، فإنّ شرط قبول أعمالكم هو أن تبتغوا وجه الله تعالى في أعمالكم، فإذا لم تكن خالصة لوجه الله فهي غير مقبولة. ﴿يُريدُونَ وَجْهَهُ﴾.(٢)

الإطعام لوجه الله:

في الرواية أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا، فقيل لعليّ عليه السلام انذر لهما ليعافيهما الله تعالى، فنذر صيام ثلاثة أيام إن شُفيا، فشفيا فذهب إلى يهودي يغزل الصوف فاقترض ثلاثة أصوع _ الصاع هو عبارة عن ثلاث كيلو _ من الشعير مقابل صوف تغزله الزهراء عليها السلام، فأتى به إليها فعملت منه خمسة أقراص من الخبز وأصبحوا صائمين، وعند الافطار كان على المائدة خمسة أقراص من خبز الشعير وماء، وبينما هم كذلك طرق الباب مسكين وقال أطعموني، فأعطوا أقراص الخبز إليه وأفطروا على الماء القراح. وهكذا في اليوم الثاني حيث طرق الباب يتيم، وفي اليوم الثالث طرق الباب أسير. أصبح الحسن والحسين عليهما السلام يرتعشان من الجوع، فأخذهم علي عليه السلام إلى رسول الله(٣) صلى الله عليه وآله، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً * إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً * مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾.(٤)

---

(1) البقرة: ١٤٢ و١٤٣.

(2) الأنعام: ٥٢.

(3) انظر الطرائف للسيد ابن طاووس الحسيني: ١١٠.

(4) الإنسان: ٧ - ١٣.

فضيلة الإنفاق في سبيل الله:

طلب بعض الشباب أن نجمع تبرعات لهذه الحسينية، فهل هي محتاجة إلى المال؟

هناك عدة مفاهيم يوضحها القرآن الكريم في الإنفاق حيث يؤكد:

١ _ ما تنفقون فهو لكم، قال تعالى: ﴿وما تُنفقوا منْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسكُمْ﴾.(١)

٢ _ ﴿وما أَنفَقْتُمْ منْ شَيْءٍ فَهُوَيُخْلفُهُ وهُوَخَيْرُ الرَّازقينَ﴾.(٢)

٣ _ يضاعفه الله، قال تعالى: ﴿وما آتَيْتُمْ منْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئكَ هُمُ الْمُضْعفُونَ﴾.(٣)

إنّنا حينما نتبرع للشؤون الدينية نتبرع في الحقيقة لأنفسنا وفيه تربية لنا.

سبعة يظلّهم الله:

في الرواية عن رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله ﷻ يوم لا ظل إلاّ ظله:

١ _ إمام عادل.

٢ _ وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ.

٣ _ ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه.

٤ _ ورجلان كانا في طاعة الله ﷻ فاجتمعا على ذلك وتفرقا.

٥ _ ورجل ذكر الله ﷻ خالياً ففاضت عيناه.

٦ _ ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله ﷻ.

٧ _ ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما يتصدق بيمينه».(٤)

---

(1) البقرة: ٢٧٢.

(2) البقرة: ٢٧٠.

(3) الروم: ٣٩.

(4) الخصال للشيخ الصدوق: ٣٤٣.

إنّ مجلسكم هذا روضة من رياض الجنة وله فضل عظيم، من هنا نحن بحاجة إلى أن نعطي للدين وأهل البيت عليهم السلام ونتعلم كيف نتصدق ونساهم في المشاريع الدينية.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[١]

وقد نزلت هذه الآية في الإمام عليّ عليه السلام حيث كان له أربعة دراهم، فتصدق بدرهم في الليل وبدرهم في النهار وبدرهم سراً وبدرهم علانية.[٢]

وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إنه إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد، ونادى منادٍ: أين أهل الصبر؟

فيقوم عنق من الناس.

فيقول الملائكة: ما كان صبركم؟

يقولون: صبرنا على طاعة الله وعن معصيته، فيقال لهم: ادخلوا الجنة بغير حساب.

ثم ينادى منادٍ نداء ويسمعه أهل المحشر: أين أهل الفضل؟ فيقوم عنق من الناس، فيقول الملائكة: ما كان فضلكم؟

قالو: كنا نعفو عن المسيئين، فيقال خلوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب.

ثم يناد منادٍ: أين المتحابون، أين جيران الله؟

فيقوم عنق من الناس، فيقول الملائكة: بِمَ صرتم جيران الله؟ قالوا: كنا نتحابّ في الله، ونتباذل في الله، ونتآزر في الله، ثم قال عليه السلام: هؤلاء جيران الله، يخاف الناس ولا يخافون، ويحاسب الناس ولا يحاسبون.[٣]

---

(1) البقرة: ٢٧٤.

(2) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ٢ / ٢٨٨.

(3) انظر الأمالي للشيخ الطوسي: ١٠٣.

المحاضرة الحادية عشرة:

العلم بالغيب

«سَتَّارُ الْعُيُوبِ، غَفَّارُ الذُّنوبِ، عَلامُ الْغُيُوبِ، تَسْتُرُ الذَّنْبَ بِكَرَمِكَ وَتُؤَخِّرُ الْعُقُوبَةَ بِحِلْمِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وَعَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ».

علم الغيب:

ما معنى أنّ الله تعالى ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً﴾.

هناك عالمان في نظر الإسلام والأديان، هما: عالم الغيب وعالم الشهادة، والله تعالى يعلم بكلا العالمين.

قال تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾.[1]

نحن نعيش الآن في عالم الشهادة، وأنّ عالم الغيب غير مكشوف لنا.

عالم الشهادة هو العالم المشهود لنا بالعين والمعايشة والادراك، وليس المنطقة التي نعيش فيها فقط، بل النجوم والكواكب والمجرات والأفلاك كلها هي من عالم الشهادة.

وهناك عالم غير مشهود بالنسبة للإنسان وخارج عن أدوات الادراك المادية، وهو من جنس آخر، ذلك هو عالم الغيب.

العالم المادي والعالم اللاّمادي:

إذن هما عالمان فيزيقي وميتافيزيقي، أي مادي وغير مادي.

هناك علم بالغيب، وهناك إيمان بالغيب.

أما علم الغيب فإنّه يختص بالله تعالى، وأمّا الإيمان بالغيب فإنه يختص بالمؤمنين، فلا يكون الإنسان مؤمنا حتى يؤمن بالغيب.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.[2]

---

(1) الأنعام: ٧٣.

(2) البقرة: ٣.

ولذا قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾.[1]

أما المقصود بعالم الشهادة فهو العالم المشهود لنا، لكن الشهادة تكون على أحد مستويين:

١ _ المشاهدة بالفعل.

٢ _ المشاهدة بالبرهان.

إذا شاهدنا دخاناً نقول هناك نار رغم إنا لم نشاهد النار، ونستطيع أن نقول أنها شاهدة بالبرهان. فالشهادة إمّا تكون بالمباشرة أو تكون بالبرهان العلمي.

يحدد علماء الفلك زمان الكسوف والخسوف بالساعة والدقيقة وفق أدلة مادية علمية وهذا ليس من عالم الغيب، وهكذا علماء الآثار فقد اكتشفوا في الصين مثلا قرآناً مكتوباً على جلد غزال كتب منذ ٨٠٠ عام ودعوا إلى تبرع بالأموال للحفاظ عليه. السؤال أنّهم كيف توصلوا إلى تحديد عمر الكتابة؟ إن هذا ليس من عالم الغيب، بل يخضع لقوانين مادية في المعرفة.

لقد اكتشف قبل ٨ سنوات كتلة حجرية كبرى في الفضاء تسير بسرعة ٦٠ كم / في الثانية، وهي بطول ١٦٠ كم متجهة نحو كوكب المشتري، وقد حدد العلماء لحظة ارتطامها وشاهدنا ذلك عبر شاشات التلفزيون.

هل ذلك من عالم الغيب؟ كلا... إنه من عالم الشهادة.

عالم الشهادة من اختصاص الإنسان، وعالم الغيب من اختصاص الله سبحانه، والإسلام ينبّه الإنسان بأنّك لا قدرة لك على الارتباط بالغيب إلاّ عن طريق الوحي.

قال تعالى: ﴿لا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾.[2]

---

(1) البقرة: ٢٨٥.

(2) الجن: ٢٧.

كان رسول الله ﷺ يتعبد في غار حراء، فانفتح له باب من الغيب والسماء وهبط عليه الوحي قائلاً: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.[1]

أقسام العلم بالغيب:

والعلم بالغيب إمّا يكون ذاتياً أو تعليمياً، فالأنبياء لا يعلمون الغيب علماً ذاتياً بل بمقدار ما يوحيه الله إليهم. قال تعالى حكاية عن رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾[2] ومعنى ذلك أن النبي لا يعلم الغيب ذاتياً وإنما هو تعليم من الله تعالى.

بحث فلسفي:

يقول علماء الفلسفة المؤمنون أنّ الله يعلم الغيب إلى قيام الساعة.

ولكن هناك سؤال عن كيفية علم الله لما يحدث إلى أبد الدهر؟

هذه من أخطر المسائل التي وقف عندها الفلاسفة الإسلاميون، هناك ثلاث نظريات في الجواب على هذا السؤال:

الأولى: أنّ الله يعلم بالأمور كلها حتى ما لم يحدث فعلاً، وذلك من خلالها بواسطة العلم بالأسباب، ومن خلالها يعلم بالنتائج، وعلى ذلك فهو يعلم بما سيحدث بعد ملايين السنين من خلال علمه بالأسباب.

الثانية: نظرية الحضور الكوني، يعني نظرية تلاشي الزمان.

الثالثة: نظرية الوجود الماهوي، بمعنى أن هويات الأشياء حاضرة عند الله قبل أن توجد في الخارج، فهو يعلمها اذن قبل وجودها، فصحيح مثلاً أنّنا مولودون في هذا الزمان، لكن قبل أن نولد في هذه الدنيا فإنّ هوياتنا موجودة عند الله تعالى، فهو يعلم بها من قبل الدنيا.

---

(1) العلق: ١.
(2) الأنعام: ٥٠.

بحث تاريخي:

بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام في طريقه إلى منطقة الحرورية الواقعة على بعد ميلين من الكوفة.

قال أحد المنجمين له: يا أبا الحسن، لا تخرج في هذه الساعة فإني أخشى عليك واخرج في وقت آخر، رجماً بالغيب أي بدون دليل.

فقال له عليه السلام: من صدّقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله، ثم دخل الإمام علي عليه السلام في تلك المنطقة وقاتل وانتصر.

الرجم بالغيب عبارة عن تنبّؤات وتصوّرات غير علمية ليس لها أصل علمي.

لقد خاض أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث معارك هي:

معركة صفين مع القاسطين.

ومعركة الجمل مع الناكثين.

ومعركة النهروان مع الخوارج المارقين كما سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم الخارجون على حكم الله.

يقول ابن أبي الحديد: في الصحاح المتفق عليها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسّم قسماً جاء رجل من بني تميم يدعى ذا الخويصرة فقال: إعدل يا محمد.

فقال صلى الله عليه وآله: قد عدلت.

فقال له ثانية: إعدل يا محمد فإنّك لم تعدل.

فقال صلى الله عليه وآله: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟

فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، ائذن لي أضرب عنقه.

فقال: دعه، فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، آيتهم رجل أسود إحدى يديه كأنها ثدي امرأة.[1]

---

(1) بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٣٩ / ح ٥٨٤.

قصة الخوارج:

وفي مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال:

قالت لي عائشة: إنّك من ولدي ومن أحبهم إليّ فهل عندك علم من المُخدَج؟

فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامر ولأسفله النهروان بين لنحاقيق وطرفاء.

قالت: أبغني على ذلك بينة، فأقمت رجالا شهدوا عندها بذلك.

قال: فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت من رسول الله ﷺ فيهم؟

فقالت: نعم سمعته يقول: إنّهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة.[١]

وبعد أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام ٤٠٠٠ شخصاً من الخوارج في معركة النهروان.

قال: التمسوا المُخدَج، فطلبوه في القتلى فقالوا: ليس نجده.

فقال: ارجعوا فالتمسوه فو الله ما كذبت ولا كُذبت يقول ذلك مراراً، وفي كل ذلك يحلف بالله ما كذبت ولا كذب، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فجيء به.[٢]

هؤلاء هم الخوارج، مشكلتهم أنّهم معقّدون وضد الجميع، لاحظوا ماذا كان يصنع الخوارج الإرهابيون:

أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم.[٣]

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٢٦٧.

(2) بحار الأنوار ٣٣ / ٣٣٤.

(3) بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٥٤.

كان واصل بن عطاء إمام المعتزلة السُنَّة في طريق، فعرف بوجود قطاع طرق من الخوارج، فقال لجماعته ابتعدوا واتركوني أتحدث معهم، فنزل فاختطفوه، فقال لهم أريد أن تعلّموني الإسلام لأنّي مشرك، فعلموه الإسلام وأفرجوا عنه، هكذا أفرج عنه وعن جماعته.

وقال لهم: أريد أن توصلوني فلربما يعترضني آخرون غيركم، وهكذا تم له ما أراد ونجى وجماعته حين تظاهر بالشرك، فهؤلاء الخوارج يقتلون المسلم ويتركون المشرك.

قصة عبد الله بن الخباب:

أمسكوا بأحد أصحاب رسول الله ﷺ هو عبد الله بن الخبّاب وسألوه عن علي عليه السلام، فقال: لا يخرج عن دين الله فقربوه إلى النهر وذبحوه! أثناء ذلك أكل أحدهم تمرة في الأرض فقالوا له: حرام، وضرب أحدهم خنزيراً فقالوا له: ذلك حرام![١] لاحظوا هؤلاء يقتلون صحابياً مسلماً ويتورعون في أكل تمرة على الأرض، وقتل خنزير نجس.

لقد قاتل الإمام عليّ عليه السلام في ثلاثة حروب خلال حكمه الذي دام حوالي خمس سنوات، وكانت الثالثة هي النهروان ضد الخوارج، وكانت تهمته هي أنّه كفر بالله تعالى! لأنه قَبِل بالتحكيم، ووقف أمامه اثنا عشر ألف مقاتل بشعار (لا الحكم إلا لله)[٢] هذه كانت فتنة الخوارج.

كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت.[٣]

---

(1) انظر بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٥٥.

(2) انظر بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٥٧.

(3) نهج البلاغة: ٢ / ٢١٨.

وقال عليه السلام: والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من برّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً وكرر عليّ القول مردداً، فاصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني واتبع قياده مفارقاً طريقي.

فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها.

فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه. أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟[١]

والحمد لله رب العالمين

* * *

(1) نهج البلاغة: ٢ / ٢١٧ و٢١٨.

المحاضرة الثانية عشرة:

الأمل واليأس وسعة الرحمة الإلهيّة

«وَيَحْمِلُنِي وَيُجَرِّئُنِي عَلَى مَعْصِيَتِكَ حِلْمُكَ عَنِّي، وَيَدْعُونِي إلى قِلَّةِ الْحَيَاءِ سَتْرُكَ عَلَيَّ، وَيُسْرِعُنِي إلى التَّوَثُّبِ عَلَى مَحَارِمِكَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ».

الأمل واليأس وسعة الرحمة الإلهية:

«... وَيَحْمِلُنِي وَيُجَرِّئُنِي عَلَى مَعْصِيَتِكَ حِلْمُكَ عَنِّي وَيَدْعُونِي إلى قِلَّةِ الْحَيَاءِ سَتْرُكَ عَلَيَّ وَيُسْرِعُنِي إلى التَّوَثُّبِ عَلَى مَحَارِمِكَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ...».

إلهي ما يجعلني أجرأ على معصيتك هو حلمك بي، إنّك حليم، لا تعجّل العقوبة، وإنّما تعفو وتستر.

هذه مبررات اندفاعي نحو المعصية يا إلهي، الحلم الإلهي، والستر الإلهي، والعفو الإلهي «ولو اطّلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته». «ولو خفتُ تعجيل العقوبة لاجتنبته».

إننا نحاول أن نبحث هذه الليلة موضوعاً علمياً يرتبط بالإرادة والاختيار لدى الإنسان، والجبر أو التفويض من قبل الله.

سعة رحمة الله:

ولكن لأذكر لكم هذه القصة قبل أن ننتقل إلى الموضوع العلمي الذي نجعله في بداية الحديث عن موضوعنا الليلة.

قبل حوالي ثمانية عشر عاماً في مكة المكرمة، قلت لأحد الأصدقاء وكان من المشايخ الطيبين، ولم يكن _ في ظاهر الحال _ من أهل العرفان ولا من أهل المناجاة والبكاء ولكن ذو فطرة سليمة.

قلت له: شيخنا أريد منك أن تعظني.

قال: لا أعرف شيئا ولا هم يحزنون.

قلت له: على أية حال أريد منك موعظة، فإني محتاج إلى ذلك خاصة ونحن في مكة المكرمة وإلى جوار بيت الله وفي موسم الحج.

قال: أقول لك على الطريقة البدوية العربية البسيطة: افترض أنّ بيدك برتقالة وأنت كريم الطبع وعظيم الشأن وغني وتملك جاهاً في المجتمع والبرتقالة ليس لها قيمة بالنسبة إليك، وجاء واحد من أهل الجهالة والحقارة ودنت نفسه على البرتقالة وأخذها منك وهرب بها، هل يناسبك أن تركض وراءه أم تتركه؟ أنت تتركه حتماً، والآن افترض أنّ نفوسنا دنت على معصية هل يتابعنا الله ويلاحقنا لماذا فعلتم هذه المعصية؟ هل تتصور ذلك من الرب الكريم العظيم الغني؟

كانت هذه هي موعظة الشيخ، ولكنها ذات معنىً عظيم أثار فيّ البكاء وكان له وقع خاص على قلبي.

ولهذا يقول الدعاء: «فإنّ كرمك يجلّ عن مجازاة المذنبين، وحلمك يكبر عن مكافأة المقصرين، وأنا يا سيدي عائذ بفضلك، هارب منك إليك».

نظرية الجبر والتفويض:

بحث اليوم حول الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين.

هل الإنسان مجبور على عمله من طاعة أو معصية أو أي عمل مباح آخر، أم هو مختار اختياراً مطلقاً ويملك ارادته وقدرته وحريته الكاملة، أم هناك نظرية ثالثة؟

طرح أهل البيت عليهم السلام لنا نظرية ثالثة، حيث جاء في الحديث الشريف: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»[1] لا جبر، أي لا لنظرية المجبرة الذين يقولون أنّ الإنسان إذا صلى فإنّه مجبَر على ذلك، وإذا سرق فهو مجبَر أيضاً، وعلى هذا الأساس لا تبقى للإنسان ذرة من خشية الله تعالى لأنّه مجبر على كل حال.

يحاول أصحاب هذه النظرية أن يستفيدوا من بعض الآيات والروايات ويفسرونها بهذا التفسير خطأً، كالحديث القائل: «السعيد من سعد في بطن أمه،

(١) الكافي / الكليني: ١ / ١٦٠ ح ١٣، التوحيد / الصدوق: ٣٦٢ ح ٨.

والشقي في شقي في بطن أمه»[1] يعني إنّ الإنسان منذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى مكتوب على جبينه أنه سعيد أو شقي، فهو إذا أراد الصلاة فهو مجبر، وإذا أراد السرقة فهو مجبر، هذه هي نظرية الجبر، وأول من طرحها لخداع الناس هم بنو أمية سيما معاوية بن أبي سفيان، ليقول للناس أنّ تسلط آل أمية عليكم إنّما هو حتمية تأريخية، ثم تطورت هذه النظرية عبر مجموعة مدارس مذهبيّة وفلسفية حتى وصلنا إلى الفلسفة الماركسية الشيوعية وما يسمونه بالحتمية التأريخية، يعني إنّ التأريخ هو الذي يحتم القرارات والمواقف، ولا يوجد شيء خارج حتمية التاريخ.

كان معاوية يحاول أن يستفيد من هذه النظرية للقول: أيها الناس أنتم مجبورون على الخضوع والتسليم لقيادتي، وهكذا تجدون أنّ الطاغية صدام طَرَح مفهوم القائد الضرورة بعد أنّ وجد انّ الشعب العراقي يعيش في بؤس وشقاء وخشي أن تحدث ضجة ضده، فأخذ يروّج ضرورة وجوده، وأنتم أيّها الناس مبتلون وقد قدَّره الله عليكم فلا كهرباء ولا ماء وهناك أمراض كثيرة، مئات الآلاف من الأطفال يموتون، والعالم يحاصرنا، والشعب العراقي جرى ما جرى عليه، حاول تخدير الناس بنظرية الضرورة كالحكم الأموي الذي حاول تخدير الناس بنظرية الجبر، وأنّه لا خلاص على كل حال، وهذا هو ما كتبه الله علينا، أما السياسة الخاطئة للجبار الدكتاتور والظلم والحماقة التي يرتكبها الحزب الحاكم فإنّ الناس لا يسمح لهم التفكير بذلك.

طبعاً وفق هذه النظرية فإنه لا ثواب ولا عقاب، فلماذا يعاقب الله

(١) «عن محمد بن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه» فقال: الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء،...» راجع كتاب التوحيد للصدوق: ٣٥٦ باب ٥٨ ح ٣.

المـذنبين إذا كـانوا مجبـرين؟ ولمـاذا يثيـب الصـالحين إذا كـانوا مجبـرين أيضـاً؟ وهؤلاء الاثنان سواء يوم القيامة.

ولكن القرآن الكريم لا يقبل هذه النظرية.

قـال تعـالى: ﴿فَمَـنْ شـاءَ فَلْيُـؤْمِنْ وَمَـنْ شـاءَ فَلْيَكْفُـرْ﴾[1] توجـد إذن إرادة لـدى الإنسان، ولا توجد جبرية تاريخية.

أما النظرية الثانية فهي نظرية (التفويض) المضادة للنظرية الأولى مائة وثمانين درجة، وتقول: إنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وفوّض إليه الأمر ليفعل ما يشاء بنحو مطلق، ولا دور لليد الإلهية الغيبية، ولا يوجد اتصال بين الله والإنسان.

النظرية الوسط:

فـي المقابـل قـال الإمـام الصـادق عليه السلام: «لا جبـر ولا تفـويض ولكـن أمـر بـين أمـرين»[2] أي أنّ الإنسـان لـيس مجبـوراً دون ارادة، ولا أنّـه ذو إرادة مطلقـة، بـل هنـاك تـأثير للتربيـة والأب والأم والعائلـة، أو الصـديق، أو التوفيـق الإلهـي، أو العالم الـديني أو النبـي أو الأمـة عليـه، فـإن هـذه الأمـور تـؤثر فـي سـلوكية الانسـان، إذن هـو غيـر مجبـور بشـكل مطلـق بـل لديـه إرادة. وإلـى جانبهـا عوامـل أخـرى تتحكم في هذا الموضوع وتؤثر على الإرادة.

«ولكـن أمـر بـين أمـرين» هـذه نظريـة أهـل البيـت عليهم السلام، ولهـذا نحـن نعتقـد أننـا بمقـدار مـا عنـدنا مـن حريـة ننتظـر مـن الله التوفيـق والتسـديد والمعونـة والهدايـة، لأننـا نضـيع لـو بقينـا مـع ادراكاتنـا وارادتنـا المطلقـة مـن غيـر تسـديد مـن الله تبارك وتعالى.

وعلـى هـذا الأسـاس يقـول دعـاء أبـي حمـزة الثمـالي: «مـن أيـن لـي الخيـر يـا

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) الكافي / الكليني: ١ / ١٦٠ ح ١٣.

رب ولا يوجد إلا من عندك، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك» ويقول في الإشارة إلى مسؤولية الإنسان عن عمله، وإرادته الكاملة فيه: «أنا الذي عصيت جبار السماء، أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرُشا، أنا الذي حين بُشرت بها خرجت إليها أسعى...».

يأس ابن قحطبة:

كان حميد بن قحطبة أحد الوزراء والأمراء زمن هارون الرشيد، فدخل عليه عبد الله البزاز في أحد أيام شهر رمضان في بيت يجري فيه نهر، ولما حان وقت الظهر وضعت بين يدي حميد بن قحطبة مائدة طعام وبدأ يأكل ودعا عبد الله البزاز للأكل.

يقول البزاز: مددت يدي لآكل أيضاً فتذكرت أنّنا في شهر رمضان فسحبت يدي فانتبه وسألني لماذا لا تأكل؟

قلت له: يا أمير ليس بي علّة ولا أنا مسافر، ولعلّ الأمير معذور في الافطار، وسألته ما الخبر يا أمير؟

قال: إعلم أني لست مريضاً ولا في سفر، ولكن سأحكي لك لماذا آكل في شهر رمضان:

طُرقت عليّ الباب في منتصف إحدى الليالي وقال الطارق: إنّ أمير المؤمنين هارون الرشيد يدعوك.

قلت: يا ساتر، يا الله، ماذا يريد مني في منتصف الليل؟ هؤلاء السلاطين لا يأمن شرهم حتى الصديق، ذهبت إليه ووجدته جالساً، فقال: يا حميد بِمَ تفدي الأمير؟

قلت: أفديه بالنفس والمال، ابتَسَم وقال: إرجع، فرجعت إلى البيت.

وبعد ساعة طُرقت الباب مرة أخرى وقال الطارق: يدعوك أمير المؤمنين، قلت: يا ساتر يا الله ماذا يريد هذه المرة؟

دخلت عليه فوجدته كما كان، فقال: بِمَ تفدي الأمير؟ قلت: أفديه بالنفس والمال والأهل والولد.

وهكذا في المرة الثالثة، قال: بِمَ تفدي الأمير؟

قلت: أفدي الأمير بالنفس والمال والأهل والولد والدين، يعني أعطيه حتى ديني.

إبتسم هارون الرشيد وكان إلى جانبه غلام أسود، وقال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الغلام، وأشار له أنّه إذا عصاك اضرب عنقه!!

هكذا يتعامل السلاطين، وهذا هو العصر الذهبي وحكومة هارون الرشيد المثالية!! التي يتحدث عنها التاريخ العربي!

أخذت السيف وهذا الغلام الأسود يمشي معي، وأدخلني غرفة وإذا فيها عشرون رجلاً شيخاً وكهلاً وشاباً، هي سجون وزنزانات يمضي السجناء فيها سنة أو سنتين ولا يرون فيها شمساً.

قال الغلام: الأمير يأمرك بأن تذبح هؤلاء، أخذت السيف وقطعت رؤوسهم واحداً واحداً والغلام يلقي الرأس والجثة في البئر، وهكذا قتلت العشرين شخصاً، ثم نقلني إلى غرفة أخرى كالأولى، فذبحت من فيها وكانوا عشرين سجينا أيضاً.

وهكذا الغرفة الثالثة حيث قطعت رؤوس ١٩ شخصاً وبقي رجل كبير العمر، فقال: يا مشؤوم بِمَ تواجه رسول الله يوم القيامة وقد قتلت ستين واحداً من ذرية علي وفاطمة في ليلة واحدة، يا شقي يا تعيس الحظ؟

اهتززت قليلاً، فنظر إليّ الغلام شزراً وزجرني، فعرفت أنّه يهددني بقطع رأسي، فقطعت رأس الشيخ ورماه الغلام في البئر.

قال حميد بن قحطبة لضيفه عبد الله البزاز وهو يحكي له هذه الحكاية:

أتراني وقد قتلت في ليلة واحدة ستين واحداً من أبناء علي وفاطمة ينفعني صوم أو صلاة؟[(١)]

لقد كان حميد يائساً من رحمة الله، ولكن الإمام الرضا عليه السلام وهو يشير إلى هذه القصة يقول: إن يأسه من رحمة الله أكبر جرماً من قتله لأولئك الستين علوياً.

هذه القصة ليست من نسج الخيال وليس فيها مبالغة، بل هي واحدة من ألف جريمة من جرائم الطغاة، ومثل هذه القصة تعتبر نزهة بالنسبة إلى جرائم صدام التي ارتكبها، التأريخ حفظ لنا شيئاً يسيراً من هذه القصص فإنّها لا يمكن جمعها وإحصاؤها.

لحد الآن اكتشفت ٢٦٣ مقبرة جماعية في العراق، في كل مقبرة ألف أو ألفين وخمسمائة أو ثلاثة آلاف قتيل أحياناً، الله وحده يعلم كيف قُتل هؤلاء وبأية صورة مرعبة لا يتصورها الذهن البشري، هذه جرائم صدام وَمَنْ معه ومن صفّق له، إضافة إلى الآبار التي امتلأت بالجثث وعشرات المقابر الأخرى التي لم تكتشف بعد.

أهداف حركة الأئمّة عليهم السلام:

الامام عليّ عليه السلام يقول: «اللهم إنّك تعلم انّه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماساً لشيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عباد»[(٢)] فأمان الناس هدف الحكومة الاسلامية، وهو هدف حركتنا اليوم، نسأل الله تعالى أن نُخلِص ونصحح نياتنا، وأن نضع أقدامنا على صراط مستقيم، هدفنا هو أمان

(١) عيون أخبار الرضا / الصدوق: ٢ / ١٠٠، باب ٩ ح ١.
(٢) نهج البلاغة: ٢ / ١٣ / ١٣١.

المظلومين من عبادك، وردّ المعالم من دينك، نريد أن نحيي معالم الإسلام أولاً والأمان للعباد ثانياً وهما البعد الديني والبعد الانساني (وتقام المعطلة من حدودك) أي تطبق الاحكام الاسلامية. وفي سبيل هذه الأهداف، يقول الإمام علي عليه السلام لأبي ذر: «لا يؤنسنّك إلاّ الحق، ولا يوحشنّك إلاّ الباطل».[1]

القرآن يؤكد إرادة الإنسان:

قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ إلى أن يقول ﴿بَلْ يُرِيدُ الإنسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ﴾ يعني ان الإنسان يريد ان يفجر بإرادته وليس مجبورا، ويشك في يوم القيامة ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ * فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلاَّ لا وَزَرَ * إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[2] يؤكد القرآن الكريم إرادة الإنسان في عشرات الآيات، وعلى أساسها يعطيه الله تبارك وتعالى ثوابه أو عقابه في الدنيا، وإذا لم يعطه في الدنيا فإنه يعطيه في الآخرة.

النصراني والإمام الصادق عليه السلام:

يُروى انّ نصرانياً كان ذا موهبة خاصة في زمن الإمام الصادق عليه السلام بحيث يتصور الناس انّها موهبة إلهية نتيجة صدقه وكرامته على الله رغم أنه نصراني. كانت تلك الموهبة عبارة عن أن هذا النصراني يعرف ما تضع في يدك دون ان تفتحها، فهو بمجرد أن يشاهد يدك وهي مقبوضة يخبرك ما حملته فيها. ففُتن المسلمون به وظنوا أنّ دينه صحيح حتماً، هذه هي النظرة العامية، أي بما أنّه يمتلك مثل هذه الموهبة فإنّ الله يحبه ودينه صحيح، وإنّ الإسلام باطل والنصرانية صحيحة، هذه الاستنتاجات تحصل نتيجة لضعف الايمان والمعرفة.

---

(١) نهج البلاغة: ٢ / ١٣ / ١٣٠.

(٢) القيامة: ١ - ١٢.

خُـدِعَ بـه النـاس فجـاؤوا إلـى الإمـام الصـادق عليه السلام وقـالوا: يـا ابـن رسـول الله، أدرك أمة جدك فإن النصراني قد فتن الناس وخدعهم.

قال لهم: عليّ به، فأتوا به.

سأله: ما هي معجزتك؟

قال: أعرف ما بيدك مهما كان.

قـال لـه الإمـام الصـادق: لنـرى، فمـدَّ الإمـام يـده إلـى جيبـه وأخـذ شـيئاً وقـال للنصـراني: مـا بيـدي؟ حـدّق النصـراني جيـداً فـي يـد الإمـام الصـادق فـرأى شـيئاً، ولكن لا يستطيع ان يقول ما هو، أصبح يتلجلج، قال له الإمام: قل ماذا ترى؟

قال: أرى شيئاً لا يمكن أن أصدقه، إذا صدّقته يجب أن أعترف بأنك على حق وديني على باطل، ولا أستطيع أن أكذّب نفسي لأني أؤمن بموهبتي، فماذا أفعل؟

قال له: ماذا ترى؟

قـال: أرى أن قطعـة مـن تـراب الجنـة بيـدك، مـا الـذي أتـى بهـا إلـى يـدك؟ إذا قلـت إنّهـا قطعـة مـن الجنـة إذن أنـت ولـي مـن أوليـاء الله، وأنـت علـى حـق، وأنـا علـى باطـل فترجـع المعادلـة بـالعكس، ولا أسـتطيع تكـذيب نفسـي لأنّـي أرى ذلك بنفسي أنّ بيدك قطعة من الجنة، إذن ماذا أقول؟

فقال له الإمام: صدقت في يَدي تربة الحسين عليه السلام، وهي من تراب الجنة.

ثم سأله الإمام الصادق عليه السلام: كيف بلغت هذه المرتبة؟

قـال: بلغتهـا بمخـالفتي الهـوى، كلمـا أرادت نفسـي شـيئاً عصـيتها، لقـد ربيّتهـا تربيـة خشـنة علـى خـلاف الهـوى، بالتـالي تكـون عنـدي قـدرة تخـرق الحـواجز البدنيـة، فهـي لا تـرى بـالعين ولا تسـمع بـالأذن، انّمـا تسـمع مـا وراء السمع وترى ما وراء البصر.

قـال لـه الإمـام الصـادق عليه السلام: إذا كنـت ربّيـت نفسـك علـى مخالفـة الهـوى

فأنك تعلم أنّي على حق لكن هواك لا يجعلك تتنازل وتسلّم، إنّ شيطان هواك يمنعك أن تعترف فخالف هواك الآن أيضاً.

قال: بلى يا بن رسول الله، أخالف هواي وأشهد ان لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، ومدّ يده فصافحه وصار مسلماً وشيعياً.

وعندما خرج من الإمام الصادق عليه السلام كان كلما سأله أحد عمّا في يده عجز أن يعرف ذلك، وفَقَد تلك الموهبة والكرامة من الله، ولما فقدها رجعت الحيرة إليه، فقال في نفسه: النصرانية إذن على حق والاسلام على باطل، فرجع الناس إلى الإمام الصادق عليه السلام وقالوا يا ابن رسول الله نحن احترنا بهذه القضية، هذا هو علم أهل البيت، بكم علّمنا الله معالم ديننا؟ لاحظوا عظمة الدين الاسلامي، وحل أهل البيت الألغاز، هذا الرجل حينما كان نصرانياً كانت لديه مثل هذه الكرامة، والآن بعد أن صار مسلماً فقد هذه الكرامة كيف تفسّر ذلك؟

فقال له: إعلم يا هذا أنّ لكل عمل جزاءاً، مؤمنا كان العامل أم كافرا، إنّ الله تبارك وتعالى عادل وكريم، فالطالب الذي يدرس بجد ينجح، مسلماً كان أم كافراً، وهكذا التاجر الذي يتاجر بشكل جيد، والمعمل الذي يقدم بضاعة جيدة كالانتاج الأجنبي، فإنه ينتشر وتكون له سمعة في العالم، كل عمل له نتيجة هذه عدالة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ﴾[1] العطاء الإلهي لكل واحد حسب عمله وحسب عطائه مؤمناً كان أو كافراً.

أنت حينما كنت نصرانياً وتعمل وتخالف هواك وتربي نفسك جعل الله نتيجة عملك واستحقاقك في الدنيا فأعطاك هذه الموهبة، إذ ليس لك شيء في الدار الآخرة، ولما صرت مسلماً ادَّخر الله لك الدار الآخرة، فما قيمة الدنيا حتى يعطيك هذه الكرامة ثم ليس لك شيء يوم القيامة؟ فأخذ الله هذه العطية الدنيوية حتى يدخر لك ما عنده.

---

(١) الإسراء: ٢٠.

ولهذا قد يقول المسلم لماذا أنا مظلوم وفقير ومبتلى؟ ولماذا يكون الكافر مرزوقا كما يقول المثل؟

الجواب: أنّ الله سبحانه وتعالى ادّخر للمؤمن الدار الآخرة، بينما أعطى الدنيا للكافر جزاء عمله وجهده. وإلاّ ما معنى قول أئمتنا عليهم السلام: «ما منا إلاّ مقتول أو مسموم»[1] هل إنّ الله لا يحبهم؟ هؤلاء آل الله، ولكن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «يا آل جعفر ليست لكم الدنيا وإنّما لكم الآخرة» إنّ لكل عمل جزاءاً في الدنيا أو في الآخرة.

خادم الإمام الصادق عليه السلام والتاجر الخراساني:

كان للإمام الصادق عليه السلام خادم يمسك له الفرس إذا أراد أن يركب أو يمشي، وفي يوم من الأيام جاء زائرون عاشقون من ايران وفيهم تاجر خراساني، فقال للخادم: أنا تاجر في خراسان عندي بساتين وجوار وأموال، أعطيك إياها على أن تمنحني مهنتك هذه وأنا أصبح الخادم للامام الصادق عليه السلام بدلاً عنك، وأنت تأخذ أملاكي وأموالي في خراسان.

فابتهج الخادم فرحاً وقال له: قبلت.

ثم دخل على الإمام الصادق عليه السلام وقال له سنتبادل أنا و التاجر الخراساني، إنّه سيخدمك أحسن مني، يا ابن رسول الله إن جاءني خير من غيرك هل تمنعني؟ قال له الإمام: أنا أريد لك الخير من نفسي، فإذا جاءك الخير من غيري كيف أمنعك؟ هل يكون هذا؟ مبارك لك، ولكن ما هي القضية؟

أخبره الخادم بما حصل فقال عليه السلام: إذا رغبت عنا إذهبْ، وإذا رغب فينا غيرك فليأتِ.

تهللّ وجههُ فرحاً واقبلتْ عليه الدنيا، وعندما همَّ بالخروج دعاه الإمام

---

(١) كفاية الأثر: ١٦١.

الصادق عليه السلام قائلاً: لك علينا حق لطول الصحبة والمدة التي خدمتني ولابد أن اؤدي حقك وهو النصيحة.

فقال له: قل يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: إعلم إذا كان يوم القيامة أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بحجزة الله، وأخذ علي بحجزة رسول الله صلى الله عليه وآله (الحجزة تعني طرف الثوب) ونحن متمسكون بحجزة رسول الله، وشيعتنا متمسكون بحجزتنا فيؤمر بنا إلى الجنة، وإن شئت الآن أن تذهب فاذهب.

قال: يا ابن رسول الله والله لا اؤثر الدنيا على الآخرة، ولا أؤثر الدنيا على خدمتكم، وخرج لذلك التاجر الخراساني متململاً خجولاً، فقال له: أراك الآن متململاً وقد كنتَ دخلتَ فرحاناً، قال: أنا لا أفضّل الدنيا على الآخرة، ولا أقبل المبادلة ودعني في خدمة الإمام الصادق عليه السلام.(١)

نعمة الولاية:

أعطى الله تبارك وتعالى لشيعة أهل البيت عليهم السلام شيئاً يعدل الدنيا وما فيها وهو الولاية، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّه وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيانَ مُرْساها فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها﴾(٢) **منّ الله تبارك وتعالى عليكم بمنّة وفضل لا يمكن مقايضته بكل الدنيا.**

في سنة ١٩٧٩م دعاني مدير الأمن العامة في بغداد من زنزانتي وقال: هل توافق أن تظهر على شاشة التلفزيون وتقدم اعترافات وندم وشكر للقيادة!؟ قلت له: لا.

قال: نطلق سراحك.

---

(١) انظر نص الرواية في الخرائج والجرائح /الراوندي: ١ / ٣٨٨ ح ١٧.

(٢) النازعات: ٤٠ - ٤٤.

قلت: لا.

قال: لماذا؟

قلت: أنا غير مستعد أن أخسر الجنة، فهزأ بي وأمر باعادتي إلى الزنزانة.

إنّ هؤلاء أناس لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة، هزأ من الجنة والنار والآخرة.

على كل حال، ما أعطانا الله تعالى في الدنيا من محبتهم ومن الولاية لهم لا يمكن مقارنته بشيء، فهنيئاً لكم ما أُعطيتم بشرط الثبات والاستقامة.

قصة رميلة:

أقرأ لكم قصة وأهنئكم عليها.

يقول رميلة _ وكان من خواص أمير المؤمنين عليه السلام: وعكت وعكاً شديداً ثم وجدت خفاً (تحسناً) يوم الجمعة، فقلت لا أعمل شيئا أفضل من أن أفيض عليّ الماء وآتي المسجد وأصلّي خلف أمير المؤمنين عليه السلام يعني صلاة الجمعة، فلما صعد عليه السلام المنبر وخطب الجمعة في جامع الكوفة عاودني الوعك، فلما خرج من المسجد تبعته، فألتفت إليّ وقال: ما أراك إلاّ مرتبكاً بعضك في بعض متأذياً قد علمت ما بك من الوعك، والذي قلته في قلبك أنّك لا تعمل شيئاً أفضل من غسلك يوم الجمعة والصلاة خلفي، ووجدت خفاً، فلما صليت وعلوت المنبر عاد إليك الوعك ثانية، أنا أعرف ذلك كله.

قال رميلة: قلت: والله يا أمير المؤمنين ما زدت في قصتي ولا نقصت حرفاً، وهو الذي قلته، أنت تدري ما قلته، وما كان مني.

فقال لي: «يا رميلة، ما من مؤمن ولا مؤمنة يمرض مرضاً إلاّ مرضنا لمرضه، ولا يحزن حزناً إلاّ حزنّا لحزنه، ولا دعا إلاّ أمّنا على دعائه، ولا يسكتْ إلاّ دعونا له».

هذه هي البشارة الكبرى والعطية الكبيرة.

فقلت هذا لمن معك في هذا المصر يا أمير المؤمنين، فمن كان في أطراف الأرض أيضاً تذكرهم؟

فقال عليه السلام: «يا رميلة، ليس يغيب عنا مؤمن ولا مؤمنة في مشارق الأرض ومغاربها إلاّ وهو معنا ونحن معه».(١)

إن الدليل الموجز على هذه المسألة هو وحدة الخلق، أي أننا من شجرة واحدة، فاذا أصاب جذر الشجرة أذىً فالورق يصفرّ.

إنّ هذه المحبة هي توفيق من الله تعالى، لكن الله بفضله يعتبرنا قد اهتدينا ويعطينا الاحسان.

سبع أمور لا بدّ منها:

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلاّ بسبع: بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن».(٢)

ولا بدّ أن تعرفوا ان هناك فرقاً بين إرادة الله ومحبة الله، فمثلاً هل أراد الله تعالى قتل الحسين عليه السلام؟ نقول: نعم، لكن فرق بين من أراد قتل الحسين وبين من أحبّ قتل الحسين، فالله لم يحب قتل الحسين لكنه شاءه وأراده وأذن به. نعم، شاء الله أن يراهن سبايا، فلو لم يرد الله لا يمكن لأحد من الخلق أن يقتل الحسين عليه السلام، اذن لابد أن تكون هناك إرادة ومشيئة وقضاء وقدر وإذن ولذلك قال الحسين عليه السلام: «أشهد أن الله قد أذن في قتلكم»(٣) أي مكتوب في اللوح المحفوظ والكتاب.

---

(١) بصائر الدرجات / الصفار: ٢٧٩ / باب ١٦ / ح ١.

(٢) الكافي / الكليني: ١ / ١٥٠ / ح ١.

(٣) كامل الزيارات / ابن قولويه : ١٥٣ / ح ١٨٩ / ١٤.

مصيبة القاسم عليه السلام:

هذه الليلة أحببت أن أقرا على مسامعكم مصيبة القاسم بن الحسن عليه السلام.

لما عاد الإمام الحسين عليه السلام وحيداً أقبل عليه القاسم بن الحسن عليه السلام وقال: يا عم ائذن لي بالقتال.

لما رآه الحسين اغر ورقت عيناه بالدموع، إنّ هذا الفتى يريد أن يذهب للقتال وإذا ذهب فلا رجعة له.

قال يا ابن أخي: كيف تجد طعم الموت؟

قال: يا عم، أحلى من العسل.

هذه هي بطولات شيعة أهل البيت عليهم السلام.

قال الحسين عليه السلام: أذنت لك، خرج هذا الغلام يقاتل وكأنّ وجهه شقة قمر، بينما هو يقاتل انقطع شسع نعله فأبى أن يقاتل بشسع مقطوع، انحنى ليصلح نعله، فقال عبد الله بن نوفل الأسدي: والله لأثكلنّ به أباه وأمه.

يقول حميد بن مسلم: قلت له: يكفيك هؤلاء القوم، طفل عمره ١٢ سنة لماذا تقتله وأنت بطل الأبطال؟

قال: والله لأقتلنه، أقبل إليه، بينما الغلام مشغول بشسع نعله ضربه على رأسه فخرَّ صريعاً وهو ينادي: يا عم، السلام عليك يا أبا عبد الله، أقبل عليه الحسين عليه السلام وهو يفحص برجليه، جلس عنده وقال: يعزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك، ثم حمله الحسين عليه السلام إلى المخيم.(١)

وكان له أخ أصغر منه اسمه عبد الله بن الحسن، لما جلس الحسين عليه السلام يستريح على رمضاء كربلاء وقد كثر منه نزف الدم وعلته السيوف والرماح والشمر واقف عنده، انهزم هذا الغلام من الخيام، وكلما أرادت

(١) انظر مقاتل الطالبيين / الأصفهاني: ٥٨، ومقتل الحسين / أبي مخنف: ١٦٨.

العقيلـة أن تمسـكه لـم تفلـح، أقبـل إلـى الحسـين فنظـر إلـى الشـمر وقـال لـه: ويلـك يـا ابـن الخبيثـة، هـل تريـد أن تقتـل عمـي فضـربه الشـمر بسـيفه فاتقاهـا بيـده فقطعهـا واصـبحت معلّقـة بجلـدة، فصـاح الطفـل يـا عـم قطعـوا يمينـي فاحتضـنه الحسـين عليه السلام وهو على تلك الحال.[1]

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

---

(١) انظر مقتل الحسين / أبي مخنف: ١٩١.

المحاضرة الثالثة عشرة:

الإسراء والمعراج

«أَيْنَ سَتْرُكَ الْجَمِيلُ، أَيْنَ عَفْوُكَ الْجَلِيلُ... أَيْنَ كَرَمُكَ يَا كَرِيمُ، بِهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد ﷺ فَاسْتَنْقِذْنِي».

«أَيْنَ كَرَمُكَ يَا كَرِيمُ بِهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاسْتَنْقِذْنِي».

حديثنا هذه الليلة تاريخي وبمناسبة ذكرى معراج النبي ﷺ الذي حدث في السابع عشر من شهر رمضان وفق بعض الروايات.

هجرتان ورحلتان:

هناك هجرتان قام بهما رسول الله ﷺ:

الأولى من مكة إلى الطائف وقد رمي فيها بالحجارة ورجع إلى المدينة، ولما توفي أبو طالب وخديجة أمره الله سبحانه بأن يهاجر إلى المدينة، فكانت الهجرة الثانية من مكة إلى المدينة حيث آمن أهلها وأصبحت عاصمة المسلمين ولم يتركها رسول الله ﷺ.

وهناك رحلتان: الأولى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهي الإسراء، والثانية: هي المعراج التي طاف خلالها في السماء الأولى والثانية والثالثة حتى السابعة وسدرة المنتهى والجنة والكون كله.

لقد نصَّ القرآن ا لكريم على رحلة الإسراء وأشار إلى المعراج.

قال عن الأولى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.[1] الفعل أسرى يعني السير ليلاً.

يقول المؤرخون: إنه ﷺ كان في بيت ام هاني ولكن القرآن يقول أن الإسراء تم من المسجد الحرام، ويمكن القول أن مكّة المكرمة وبيوتها هي بمثابة المسجد الحرام فعبر القرآن عن بيت أم هاني، بالمسجد الحرام.

---

(1) الإسراء: ١.

ثم عُرج به ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماوات، والعروج هو الصعود، فكان قاب قوسين أو أدنى، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في سورة النجم.

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.[1]

شديد القوى: هو جبرئيل، وهو ذو قوة وسيطرة، وهو في الأفق الأعلى.

لقد رأى من آيات ربه الكبرى: رأى النبي ﷺ الله سبحانه ليس بعينه، بل رأى من آيات ربه الكبرى عند سدرة المنتهى.

يقول علماؤنا: إن الإسراء ثابت بالنص القرآني، والمعراج ثابت أيضاً ولكن بالإشارة القرآنية ونص الروايات الشريفة.

لقد كان المعراج رحلة كونية كبرى بغض النظر عن تاريخها في ١٧ رمضان أو ٢٧ رجب كما هو لدى أبناء العامة، والرحلة التمهيدية الأولى (الإسراء) لم تكن قليلة الشأن فقد عقد في المسجد الأقصى مؤتمر قمة للأنبياء قد رأسه رسول الله ﷺ ولا ندري ماذا بحثوا، ولكنها حقيقة ثابتة كما يقول رسول الله ﷺ: رأيت الأنبياء نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ثم يقول: وما ظننت إلا أن جبرئيل سيتقدمنا في الصلاة، ولكنه قال: تقدم وتقدمت فصلى رسول الله ﷺ بالأنبياء عليهم السلام،[2] إنه منظر جميل جداً.

فلسفة الرحلتين:

لا يمكننا كعقول بشرية متواضعة أن ندرك فلسفة الرحلتين، ويمكن القول أن الهدف منهما هو إثبات كمال النبي ﷺ على مستوى الهيمنة على كل النبوّات والكون ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

---

(1) النجم: ١ - ٩.

(2) بحار الأنوار: ١٨ / ٣١٧ / ح ٣٢.

في زيارة الإمام عليّ عليه السلام نقول: «السلام على رسول الله، أمين الله على وحيه وحجته على عباده، الخاتم لما سبق، والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كله»[1] وهذه الأوصاف هي كرامات ومنازل وكمالات بشرية.

أمّا الرحلة الثانية (المعراج) إلى السموات فتثبت عظمة النبي صلى الله عليه وآله وسيطرته على ملكوت السموات، حيث زار الجنان والنيران وشاهد مَلَك الجنة ومَلَك النار وقد سلّما عليه ورحّبا به وخضعا له.

الواقع العلمي:

هناك مناقشات في مدى امكانية الإسراء والمعراج علميا، حيث تم الإسراء إلى المسجد الأقصى على مسافة تزيد على ١٠٠٠ كم من مكة المكرمة، ثم المعراج إلى الكون كله في أقل من ثُلث الليلة. والجسم المادي كلما اشتدت سرعته ازدادت حرارته حتى يحترق، فكيف عرج رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يحترق؟

الجواب: إن ذلك لم يحدث وفق القوانين الطبيعية، بل وفق قوانين اعجازية، كما تم نقل عرش بلقيس من اليمن إلى الشام في لمحة بصر، وعليه فإنه لا معنى لتطبيق قانون الطبيعة على قدرة الله؟

وهناك اشكال آخر وهو كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الله سبحانه؟

الجواب: إنه صلى الله عليه وآله رأى آيات الله، فقد سئل صلى الله عليه وآله هل رأيت ربك ليلة المعراج؟ قال صلى الله عليه وآله: رأيت نهراً، ورأيت وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غير ذلك.[2]

ما زال الإنسان يعيش بداية النهضة العلمية. ومن المقرر أن تطلق الولايات

(1) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٧٤١.
(2) بحار الأنوار: ١٨ / ٢٨٨.

المتحدة في مطلع ٢٠٠٥م مسباراً إلى الفضاء بهدف الارتطام بمذنب يتحرك على بُعد أكثر من مليون كم بسرعة ١٠ كم في الثانية لمعرفة ما في داخل المذنب.

لا زالت البشرية تعيش محيط الكرة الأرضية، وعالم السموات تتلاشى فيها السرعة والزمن.

إن عروج النبي ﷺ لم يكن وفق القوانين الطبيعية حيث قطع السموات التي وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1] **في أقل من ثلث ليلة.**

لا يمثل ما ذكر مشكلة حقيقية فانتم تعتقدون بنزول الملائكة إلى الأرض، قال تعالى ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[2] **فإذا كان ذلك ممكنا للملائكة فكيف بالنسبة للنبي ﷺ وهو سيدهم.**

مشاهدات النبي ﷺ:

يقول النبي ﷺ: بينا أنا في مسيري إذ نادى منادٍ عن يميني: يا محمد فلم أجبه ولم ألتفت إليه، ثم نادى منادٍ عن يساري: يا محمد فلم أجبه ولم ألتفت إليه، ثم استقبلني أمرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت: يا محمد انظرني حتى أكلمك فلم ألتفت إليها...

فسألني جبرئيل: ماذا رأيت في مسيرك؟

قلت: ناداني منادٍ عني يميني، فقال لي: أوأجبته؟ فقلت: لا ولم ألتفت إليه، فقال: ذلك داعي اليهود، لو أجبته لتهوّدت أمتك من بعدك.

ثم قال: ماذا رأيت؟

فقلت: ناداني منادٍ عن يساري، فقال لي: أو أجبته؟ فقلت: لا ولم ألتفت إليه فقال: ذلك داعي النصارى ولو أجبته لتنصّرت أمتك من بعدك.

---

(1) المعارج: ٤.

(2) القدر: ٤.

ثم قال: ماذا استقبلك؟

فقلت: لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها، عليها من كل زينة الدنيا، فقالت: يا محمد انظرني حتى أكلّمك.

فقال لي: أفكلّمتها؟ فقلت: لا لم كلّمتها ولم ألتفت إليها.

قال: تلك الدينا، ولو كلّمتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة...

فنزل بي جبرئيل عليه السلام فقال: صلّ فصليت، فقال: تدري أين صليت؟

قلت: لا، فقال: صليت بطيبة، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله، ثم قال لي: انزل وصلّ فنزلت وصليت.

فقال لي: تدري أين صليت؟

قلت: لا.

قال: صليت بطور سيناء حيث كلّم الله موسى تكليما.

ثم ركبت فمضينا ما شاء الله.

ثم قال لي: انزل فصلّ، فنزلت وصليت.

فقال لي: تدري أين صليت؟

فقلت لا.

قال: صليت في بيت لحم، وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام.

ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا إلى بيت المقدس، فربطت البراق بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها.

فدخلت المسجد ومعي جبرئيل إلى جنبي فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى فيمن شاء الله من أنبياء الله عليهم السلام قد جمعوا إلي، واقيمت الصلاة ولا أشك إلا وجبرئيل سيتقدمنا فلما استووا أخذ جبرئيل بعضدي فقدّمني وأممتهم ولا فخر.(١)

---

(1) بحار الأنوار: ١٨ / ٣١٩.

وفـي روايـة اخـرى قـال ﷺ: لمـا أسـري بـي إلـى السـماء دخلـت الجنـة فرأيـت فيهـا ملائكـة يبنـون لبنـة مـن ذهـب ولبنـة مـن فضـة وربمـا أمسـكوا، فقلـت لهم: ما لكم ربما بنيتم، وربما أمسكتم؟

فقالوا: حتى تجيئنا النفقة.

فقلت لهم: وما نفقتكم؟

فقـالوا: قـول المـؤمن فـي الـدنيا: سـبحان الله والحمـد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر، فإذا قال: بنينا وإذا أمسك أمسكنا.[١]

وقـال ﷺ: مـا لقينـي مَلَـك إلا وهـو ضـاحك مستبشـر، حتـى لقينـي مَلَـك مـن الملائكـة لـم أر اعظـم خَلقاً منه، كريـه المنظـر، ظاهر الغضـب، فقـال لـي مثـل مـا قـالوا مـن الـدعاء إلا أنـه لـم يضـحك ولـم أر فيـه مـن الاستبشـار مـا رأيـت ممـن ضحك من الملائكة.

فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فإني قد فزعت منه.

فقـال: يجـوز أن تفـزع منـه فكلنـا يفـزع منـه. إن هـذا مالـك خـازن النـار لـم يضـحك قـط، ولـم يـزل منـذ ولاه الله جهـنم يـزداد كـل يـوم غضـبا وغيظـا علـى أعـداء الله، وأهـل معصيته فينـتقم الله بـه مـنهم، ولـو ضـحك إلـى أحـد كـان قبلـك أو كـان ضـاحكاً إلـى أحـد بعـدك لضـحك إليـك ولكنـه لا يضـحك، فسـلمت عليـه فردّ السلام علي وبشرني بالجنة.

فقلـت لجبرئيـل ــ وجبرئيـل بالمكـان الـذي وصـفه الله: مطـاع ثـم أمـين ــ ألا تأمره أن يريني النار؟

فقـال لـه جبرئيـل: يـا مالـك أر محمـداً النـار، فكشـف عنهـا غطاءهـا وفـتح بابـا منهـا، فخـرج منهـا لهـب سـاطع فـي السـماء وفـارت وارتفعـت حتـى ظننـت ستتناولني مما رأيت.

---

(1) بحار الأنوار: ٨ / ١٢٢ / ح ١٩.

فقلت: يا جبرئيل قل له: فليرد عليها غطاءها.[١]

ثم مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه، وإذا بيده لوح من نور، مكتوب فيه كتاب، ينظر فيه لا يلتفت يمينا ولا شمالا مقبلا عليه كهيئة الحزين.

فقلت: من هذا يا جبرئيل؟

قال: هذا ملك الموت دائب في قبض الأرواح.

فقلت: يا جبرئيل أدنني منه حتى أكلمه، فأدناني منه فسلّمت عليه، وقال له جبرئيل: هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله الله إلى العباد، فرحب بي وحياني بالسلام وقال: أبشر يا محمّد فإني أرى الخير كله في أمتك.[٢]

ثم مضيت فإذا أنا بأقوام تُرضخ رؤوسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام تقذف النار في أفواههم وتخرج من أدبارهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

ثم مضيت فإذا أناء بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه.

فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل.

قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً يقولون ربنا متى تقوم الساعة.

ثم مضيت فإذا أنا بنسوان معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

---

(1) بحار الأنوار: ٨ / ٢٩١ / ح ٣٠.

(2) بحار الأنوار: ١٨ / ٣٢٢.

فقال: هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم.(١)

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته يبكي بكاء شديداً، فقلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله، ما الذي أبكاك؟

قال: يا علي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت أمرأة معلّقة بثديها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها، ورأيت امرأة قد شد رجلاها إلى يديها وقد سلط عليها الحيات والعقارب، ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها متقطع من الجذام والبرص. ورأيت امرأة معلقة برجليها في تنور من نار، ورأيت امرأة تقطع لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقاريض من نار ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل امعاءها، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار... فقالت فاطمة عليها السلام: حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن؟

قال صلى الله عليه وآله: يا بنتي أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تمتنع من فراش زوجها. وأما المعلقة برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير اذن زوجها، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين بدنها للناس، وأما التي شدت يداها إلى رجليها وسلط عليها الحيات والعقارب فانها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظّف وكانت تستهين بالصلاة، وأما العمياء الصماء الخرساء فإنها كانت

---

(1) بحار الأنوار ١٨ / ٣٢٤.

تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها، وأما التي تقرض لحمها بالمقاريض فإنها تعرض نفسها على الرجال، وأما التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فإنها كانت قوادة، وأما التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار فإنها كانت نمامة كذابة.[١]

هذا مشهد من مشاهد جهنم كشفه لنا رسول الله ﷺ، نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة. أذكروا الله «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فإنها من أدوات الخلاص.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(1) بحار الأنوار ٨ / ٣١٠ / ح ٧٥.

المحاضرة الرابعة عشرة:

بحوث حول الإنسان

«لَسْتُ أَتَّكِلُ فِي النَّجَاةِ مِنْ عِقَابِكَ عَلَى أَعْمَالِنَا، أنت الْمُحْسِنُ وَنَحْنُ الْمُسِيئُونَ، فَتَجَاوَزْ يَا رَبِّ عَنْ قَبِيحِ مَا عِنْدَنَا بِجَمِيلِ مَا عِنْدَكَ».

«أَنْتَ الْمُحْسِنُ وَنَحْنُ الْمُسيئُونَ».

يقرر الإمام زين العابدين عليه السلام حقيقة على نفسه بقوله: «أنت المحسن ونحن المسيؤن» ومثل ذلك حين يقول: «أنا الصغير الذي ربيته، وأنا القليل الذي كثرته، وأنا الضال الذي هديته» وههنا سؤال مهم: كيف ينسب الإمام إلى نفسه الضلال والاساءة؟

الجواب: هناك نوعان من الفهم: فمرة يتحدث الإمام عليه السلام عن أنا الشخصي، ومرة عن أنا الإنسان.

هل الإمام عليّ عليه السلام في قوله: «إلهي قلبي محجوب، ونفسي معيوب، وعقلي مغلوب»[1] يتحدث عن علي عليه السلام أم يتحدث عن أنا الإنسان؟

الجواب: إنّ الحديث هو عن أنا الإنسان، وبهذا نحل لغزاً ومشكلة موجودة في الأدعية وهي: هل الإمام السجاد عليه السلام مذنب، وهل الإمام علي عليه السلام كما يقول: «إلهي قلبي محجوب وعقلي مغلوب».

الجواب: أن الأئمّة عليهم السلام يتحدثون عن أنا الإنسان وليس أنا الشخص، وعن الإنسان الذي هو بالأصل عقله مغلوب وقلبه محجوب.

إن لدى كل شخص بُعدان، بُعد إنساني وبُعد شخصي، وهو في البعد الأول يشترك مع باقي الناس من حيث الفقر والجهل والضعف أمام الله تعالى، أمّا البُعد الشخصي فهو عبارة عن كونه فلان ابن فلان.

إن حديث الأئمّة عليهم السلام واعترافهم بالذنوب يمكن أن نفهمه على أساس كونه حديثاً عن البعد الإنساني لهم، والذي هو دائماً في نقص وغفلة وجهل وفقر وخطأ ومعصية.

---

(1) بحار الأنوار: ٨٤ / ٣٤١.

بحوث حول آدم عليه السلام:

يبين القرآن الكريم أنّ الله خلق آدم في الجنة، وقد تواترت على ذلك الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.(١)

هناك عدة بحوث في هذا المجال:

البحث الأوّل: الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام.

البحث الثاني: كيف أغوى ابليس آدم؟

البحث الثالث: كيف خلق الله حواء؟

البحث الرابع: هل الملائكة أفضل أم الإنسان؟

البحث الخامس: ما هي الأسماء التي توسل بها آدم فتاب الله عنه؟

جنّة آدم عليه السلام:

تقول الروايات أنّ الجنة التي كان فيها آدم لم تكن الجنة الأخروية بل هي جنة دنيوية، ربما كانت في غابة من الغابات، والجنة في اللغة تعني البستان، ويقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله: إنّ الجنة التي خلق فيها آدم كانت بمثابة دار حضانة كانت فيها ولادته ورضاعته وطفولته.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «هي جنة من جنان الدنيا تطلع عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً».(٢)

أوصى الله تعالى آدم أن لا يأكل من الشجرة، وتقول الروايات أنها شجرة الحنطة أو التين أو شجرة الحسد، فأغواه إبليس وكان من الجن، وقال بأنّك إن أكلت منها تكون ملكا من الخالدين، وأقسم عليه، ولذا قال آدم: ما ظننت أنّ مخلوقاً يقسم بالله كاذباً، وقد حلف ابليس بأنّه ناصح لي.

---

(1) البقرة: ٣٥.

(2) بحار الأنوار: ١١ / ١٤٣ / ح ١٢.

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«قال ابليس: يا ربي اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فقال الله: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: أخرج منها فإنّك رجيم وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين.

قال ابليس: يا رب فكيف وأنت العدل الذي لا تجور، فثواب عملي بطل؟

قال: لا، ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك أعطك، فأول ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال الله: قد أعطيتك.

قال: سلّطني على وُلد آدم.

قال: سلطتك.

قال: أجرني فيهم مجرى الدم في العروق.

قال: قد أجريتك.

قال: لا يولد لهم واحد إلاّ ولد لي اثنان، وأراهم ولا يروني، وأتصور لهم في كل صورة شئت.

فقال: قد أعطيتك.

قال: يا رب زدني: قال: قد جعلت لك ولذريتك صدورهم أوطاناً، قال: رب حسبي».(1)

صدر الإنسان إذن حديقة إبليس، والمفروض أن نغلق الأبواب ونضع نقاط تفتيش إذا أردنا أن نسيطر على أمننا. وفي مقابل ذلك أعطى الله التوبة لآدم وذرية آدم، بل وأكثر منها حيث قال أغفر ولا أبالي.

(1) بحار الأنوار: ج ١١ / ص ١٤١ / ح ٧.

كيف خلق الله حواء؟

المعروف أن الله خلق حواء من ضلع آدم، ولكن القرآن الكريم يطرح نظرية متكاملة أخرى ليس فيها أشارة إلى مسألة الضلع، بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(١) وأئمتنا عليهم السلام ينفون صحة الروايات القائلة بأنّ الله خلق حواء من ضلع آدم.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: أكان الله يعجز أن يخلقها من غير ضلعه؟

وقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين فخلق منها آدم، وفضلت فضلة من الطين فخلق منها حواء.(٢)

سوف ننتهي من ذلك إلى أن آدم وحواء خلقا من طينة واحدة متجانسة، ولكن الأنثى بطبيعتها تابعة للرجل، وربما كان ذلك هو المشار إليه بالقول أنها خلقت من فضلة من الطين الذي خلق منه آدم.

كانت الجنة دار التكوين، والدنيا دار التكليف أي دار الاختبار والتكامل والرقي.

هل يستطيع أحد أن يحصل على شهادة الدكتوراه بدون امتحان؟

إنّ النجاح الأعظم يحتاج إلى امتحان أعظم والدنيا هي الامتحان، ولو بقي آدم في الجنة لما حصل الامتحان والتكامل، وهكذا انتقل من دار التكوين إلى دار التكليف والتكامل.

ما هو طريق التكامل في الدنيا؟

جاء في الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الباقر عليه السلام:

قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى آدم عليه السلام: يا آدم، إني أجمع لك

---

(1) النساء: ١.

(2) بحار الأنوار: ١١ / ١١٦ / ح ٤٦.

الخير كله في أربع كلمات، واحدة منهن لي وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين الناس.

فأما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئا.

وأما التي لك فأجازيك بعملك أحوج ما تكون إليه.

وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة.

وأما التي فيما بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك.(١)

ومعنى هذا الحديث أن طريق التكامل والسعادة الأبدية هو العبادة والعمل الصالح والدعاء والتعايش الصحيح مع الناس.

الأسماء التي توسل بها آدم عليه السلام:

لم تكن معصية آدم عليه السلام كمعصيتنا، بل كانت مخالفة تكوينية، وقد تاب الله عليه من خلال أسماء توسل بها.

في الرواية عن ابن عباس: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال: الحمد لله.

فقال له ربه: يرحمك ربك.

فلما أسجد له الملائكة فقال: يا رب خلقت خلقاً هو أحب إليك مني؟ قال: نعم، ولولاهم ما خلقتك.

قال: يا رب فأرينهم، فأوحى الله إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب. فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش.

قال: يا رب من هؤلاء؟

قال: يا آدم هذا محمد نبيّي، وهذا علي أمير المؤمنين ابن عم نبيّي ووصيه، وهذه فاطمة بنت نبيّي، وهذان الحسن والحسين إبنا علي وولدا نبيّي.

---

(1) أمالي الصدوق: ص ٦ و٧؛ المجلس ٩٦٩.

ثم قال: يا آدم هم ولدك، ففرح بذلك، فلما اقترف الخطيئة قال: يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لمّا غفرت لي، فغفر الله له.(١)

الإمام الحسن عليه السلام كريم أهل البيت عليهم السلام:

لماذا يطلق على الإمام الحسن عليه السلام كريم أهل البيت عليهم السلام؟

هل يعني ذلك أن الحسين مثلاً ليس كريم أهل البيت، وهكذا الإمام الكاظم عليه السلام و...؟ كلا، فكلهم أهل الكرم، «سجيتكم الكرم»، وأما سبب اطلاق ذلك على الإمام الحسن عليه السلام فلأنه عاش محاصرة سياسية وثقافية من قِبل معاوية، حيث منع تفسير القرآن ونشر الحديث فاضطر الإمام الحسن عليه السلام للعمل الاجتماعي الإنساني، فسماه الناس كريم أهل البيت عليهم السلام وهكذا بقي خط أهل البيت عليهم السلام فتألق نجمه.

شخصية الإمام الحسن عليه السلام:

أرسل معاوية مروان بن الحكم إلى عبد الله بن جعفر يخطب إليه ابنته، فقال عبد الله: إنّ أمر نسائنا إلى الحسن بن عليّ عليه السلام فاخطب إليه، فأتى مروان الحسن خاطباً، فقال الحسن: إجمع من أردت، فأرسل مروان فجمع الحيين من بني هاشم وبني أمية، فتكلم مروان وقال: إنّ معاوية أمرني أن أخطب زينب بنت عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية على حكم أبيها في الصداق، وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيين بني هاشم وامية، ويزيد بن معاوية كفو من لا كفو له، ولعمري لمن يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبط يزيد بكم، ويزيد ممن يستسقى الغمام بوجهه، ثم سكت.

فتكلم الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما ما ذكرت من

---

(1) الغدير للشيخ الأميني: ج ٧ / ص ٣٠١.

حكم أبيها في الصداق فإنّا لم نكن لنرغب عن سنة رسول الله ﷺ في أهله وبناته، وأما قضاء دين أبيها فمتى قضت نساؤنا ديون آبائهن؟ وأما صلح الحيّين فإنّا عادينا كم لله وفي الله فلا نصالحكم للدنيا، وأما قولك من يغبطنا بيزيد أكثر ممن يغبطه بنا فإن كانت الخلافة فاقت النبوة فنحن المغبوطون به، وإن كانت النبوة فاقت الخلافة فهو المغبوط بنا، وأما قولك أنّ الغمام يستسقى بوجه يزيد فإن ذلك لم يكن إلاّ لآل رسول الله ﷺ.[1]

زار معاوية المدنية مرة واحدة وصعد المنبر وأخذ ينتقد الإمام علي عليه السلام، فقام الإمام الحسن عليه السلام وقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن رسول الله سيد المرسلين... فقال معاوية: تريد الخلافة؟

قال الحسن عليه السلام: الخلافة ليست لمن خالف كتاب الله وعطّل السنة.[2]

وهكذا قام عليه السلام بتعرية معاوية.

اشتهر الإمام الحسن عليه السلام بعلاقاته الاجتماعية.

قطع ذات مرة طوافه لقضاء حاجة رجل عملاً بما روي عن رسول الله ﷺ: من ذهب في قضاء حاجة أخيه كتبت له حجة وعمرة، وإن لم تقضَ كتبت له عمرة.[3]

وقد كسر الإمام الحسن عليه السلام الطوق الأموي بعلاقاته الاجتماعية.

ومن حلمه عليه السلام أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك.

فقال: أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتباك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً

---

(1) بحار الأنوار ٤٤: ص ١١٩ / ح ١٣.
(2) انظر الإحتجاج للطبرسي: ١ / ٤١٩.
(3) انظر ترجمة الإمام الحسن لابن عساكر: ١٥١ / ح ٢٥٣.

أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً.

فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقدا لمحبتهم.[١]

طريق النجاة:

ما هو طريق النجاة في الدنيا وهي دار التكليف والامتحان بعدما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟[٢] إنّ قارب النجاة هو اتباع الهدى.

الدين والحرية:

هناك اتهام للدين بأنّه يقيّد الحريات، لأنّه عبارة عن اتباع لاحكام الشريعة والالتزام بها.

لاحظت بحثاً في صحيفة المدى حول الحرية والإسلام وفيه يطرح نظرية أنّ الدين يقيد الحريات، وأنّ الشعب العربي لا يعرف الحرية، وأنّه مجموعة مستعبدين، وإن الإسلام لا يعرف ثقافة الحرية.

إنه كلام ناشئ عن جهل، الحقيقة أنّ الدين مؤسس ثقافة الحرية، والأديان هي داعية الحريات وإنقاذ الشعوب من الدكتاتوريات، ولا يعرف التأريخ نضالاً كتأريخ الأنبياء من أجل الحرية، وكل التأريخ الرسالي للأنبياء يتلخص في الكفاح من أجل

(1) بحار الأنوار: ج ٤٣ / ص ٣٤٤ / ح ١٦.
(2) البقرة: ٣٨.

حرية الشعوب، ولكن الاشتباه لدى بعض المحللين المعاصرين هو أنّهم لا يفرقون بين الإسلام وبين الواقع الاجتماعي لدى المسلمين.

إن الواقع الإجتماعي للمسلمين حَكمه أمثال يزيد بن معاوية وهو لا يمثل الإسلام، وهكذا السفاح والمنصور وصدام وأمثالهم، فعلينا أن نأخذ التجربة الإسلامية الصحيحة من رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

الإسلام برئ من الدكتاتوريات التي تحكم بالحديد.

إن الحرية لم يعرفها الناس إلاّ في عهد الرسول ﷺ والإمام عليّ عليه السلام.

لقد قتل بنو أمية الحسين عليه السلام فيما كان يقول «هيهات منا الذلة»، هذا هو الإسلام وليس إسلام يزيد الذي كان يقول: لا خبرٌ جاء ولا وحي نزل!

المعاصرون لا يفرقون بين الإسلام الصحيح والإسلام المشوه، فهل صدام مثلا يمثل الإسلام؟

جعل الإسلام طريق النجاة في اتباع الهدى.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.[1]

هناك فرق بين اتباع القانون والحق، وبين التمرد على منهج الحق.

الإسلام يريد الحرية في إطار الحق وليس في إطار التمرد على الحق والقانون والانسانية.

الإسلام يريد الحرية المتقدمة الراقية التي تجمع بين الحرية والمسؤولية، فعالم التمرد على القانون في الغرب لا حدّ له.

كان رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس أنتم أحرار فلماذا يستعبدكم جبابرة قريش؟ لذلك قالوا لأبي طالب إنّ ابن أخيك سبّ آلهتنا وأفسد شبابنا.[2]

(1) غافر: ٢٩.

(2) انظر البحار: ١٨ / ١٨٢.

لقد كانت أول وصية إلهيّة لآدم يوم أهبطه إلى الأرض هي اتباع الهدى كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(١)

الإنسان أفضل أم الملائكة:

أيهما أفضل الإنسان الذي أهبطه الله إلى الدنيا ليعيش مرحلة التكامل، أم الملائكة؟

هذا بحث قرآني لأنّنا لم نرَ الملائكة ولا نستطيع باجتهادنا أن نحكم عليهم.

هناك نظريتان في فهم الرؤية القرآنية:

الأولى: الإنسان أفضل من الملائكة، لكنه قد يتراجع بالمعاصي فيكون أحقر من الحيوان.

الثانية: الملائكة هم الأفضل، ولكن إذا سعى الإنسان سعيا حسناً فربما يكون هو الأفضل.

الدليل القرآني على النظرية الأولى هو:

١ _ السجود لآدم عليه السلام، حيث أمر الله تعالى الملائكة بأن يسجدوا له ﴿فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ (٢) **وهذا دليل على أفضلية الإنسان على الملائكة.**

٢ _ تسخير الوجود للإنسان، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾(٣) **والخطاب للإنسان والمخدوم أفضل من الخادم، ولكن هذا الدليل يمكن مناقشته بأن الآية قالت** ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي...﴾.

وهناك فرق بين من وما، فمن للعاقل وما لغير العاقل، فهي بمعنى سخرنا لكم الجبال والأمطار وسائر الموجودات غير العاقلة، فهي جميعاً في خدمة الإنسان، ولكن ذلك لا يشمل الملائكة لأنها لا تدخل تحت قوله ﴿ما فِي السَّماواتِ﴾.

---

(1) البقرة: ٣٨.
(2) الحجر: ٢٩.
(3) الجاثية: ١٣.

٣ _ الاصطفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] **فهذا الاصطفاء يشهد على أفضلية الإنسان، ولكن هذا الدليل يمكن المناقشة فيه بأن الاصطفاء لم يكن لعموم البشر، بل هو اصطفاء للأنبياء (أدم، ونوح، وآل إبراهيم، وآل عمران)، فهؤلاء هم أفضل الخلق ولا دليل على أن باقي البشر كذلك.**

٤ _ الاستخلاف، فقد جعل الله الإنسان خليفة في الأرض وهو قد يعني أنّه أفضل من الملائكة، وجوابه: إنّ الإنسان خليفة في الأرض للعمل والإعمار ولا دلالة في ذلك على أنه هو الأفضل.

٥ _ الإستغفار، حيث أنّ الملائة يستغفرون للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.[2]

والجواب: إنّ الإستغفار لا يدل بالضرورة على الأفضلية، فالله تعالى يصلي على الذين آمنوا، فهل هم أفضل منه؟

ومن هنا فقد نكون أقرب إلى القول أنّ الملائكة هم الأفضل، ولكن إذا سعى الإنسان سعياً صالحاً فإنّه يكون أفضل منها، وإذا سعى سعياً سيئاً فإنه يكون أدنى من البهائم والأنعام.

بحث تربوي:

حينما أهبط الله تعالى ابليس وآدم وحواء إلى الأرض طلب ابليس ثمن عبادته فأعطاه الله السكن في صدور المؤمنين، فطلب آدم أموراً مقابل تسليط إبليس، فجعل الله لآدم الحسنة بعشرة، وجعل له التوبة والغفران.

---

(1) آل عمران: ٣٣.

(2) غافر: ٧.

ما هي عطاءات الله للإنسان مقابل الشيطان؟ لقد أشارت النصوص الدينية إلى مجموعة أمور:

١ _ مضاعفة الحسنات، واحتساب السيئة واحدة.

٢ _ وضع مَلَك يحفظ الإنسان، ولعل ذلك هو الذي يفسر كل إنسان له دوافع في القلب نحو الخير والمعروف والإحسان وهو يدركها بفطرته.

٣ _ فتح باب التوبة لآدم وبني آدم، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] **وقال تعالى:** ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾.[2]

٤ _ الهدى بواسطة الأنبياء.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.[3]

٥ _ المغفرة المجانية.

قال النبي ﷺ لأبي ذر: «يا أباذر، إنّ الله تعالى يعطيك ما دمت جالساً في المسجد بكل نفس تتنفسه درجة في الجنة».

وتقول بعض الروايات: «بكل خطوة درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة، وتكتب لك بكل نفس تنفست عشر حسنات وتمحى عنك عشر سيئات».[4] هذه الأبواب يجب أن نسعى إليها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.[5]

---

(1) الأنعام: ٥٤.
(2) التوبة: ١٧.
(3) التوبة: ٣٣.
(4) انظر وسائل الشيعة للحر العاملي: ٤ / ١١٧ / ح ٤٦٦٩.
(5) التوبة: ١٨.

٦ _ الشفاعة.

قال رسول الله ﷺ: «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».[1]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «فلا أزال واقفا على الصراط أدعو وأقول رب سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشفّعتك في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه».[2] الشفاعة باب عظيم من أبواب الرحمة الإلهية.

لنلاحظ هذه الصورة من محبة الله لعباده «تتحبب إلينا بالنعم ونقابلك بالذنوب، خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد، وما يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح، فلم يمنعك ذلك من أن تحوطنا برحمتك».

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(1) بحار الأنوار: ٨ / ٣٠.

(2) الخصال للشيخ الصدوق: ٤٠٨ / ح ٦.

المحاضرة الخامسة عشرة:

الخلق والأمر الإلهي

«يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ... لا تُسْأَلُ عَنْ فِعْلِكَ، وَلا تُنَازَعُ فِي مُلْكِكَ، وَلا تُشَارَكُ فِي أَمْرِكَ، وَلا تُضَادُّ فِي حُكْمِكَ، وَلا يَعْتَرِضُ عَلَيْكَ أَحَدٌ فِي تَدْبِيرِكَ، لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

الخلق والأمر الإلهي:

جاء في الدعاء:

«لا تُسْأَلُ عَنْ فِعْلِكَ وَلا تُنازَعُ في مُلْكِكَ وَلا تُشارَكُ في أَمْرِكَ وَلا تُضادُّ في حُكْمِكَ وَلا يَعْتَرِضُ عَلَيْكَ أَحَدٌ في تَدْبيرِكَ لَكَ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمين».

الخلق والأمر:

ما هو أمر الله؟ وما هو خلق الله؟

يذكر العلماء المفسرون العارفون مفهومين هما: مفهوم الخلق ومفهوم الأمر، يقول القرآن الكريم: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمينَ﴾[1] **إذن هناك شيء اسمه خلق، وشيء اسمه أمر.**

أنواع الأمر:

نكتفي بفتح باب في هذا الموضوع العميق الفلسفي والمعرفي بإذن الله تعالى، هناك عدة معاني للأمر الإلهي:

١ ـ الأمر التشريعي: هناك أمر تشريعي، كأمر الله بالقسط والصلاة والصوم، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبّي بِالْقِسْطِ﴾[2] **وفي مقابله النهي، قال تعالى:** ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.[3] **وهنا يكون الإنسان في التعامل مع هذا الأمر إما مطيعاً أو عاصياً، كقوله تعالى:** ﴿ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ * قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلّينَ﴾[4] **هؤلاء تحدّوا الإرادة التشريعية فما صلّوا.**

---

(١) الأعراف: ٥٤.
(٢) الأعراف: ٢٩.
(٣) الحشر: ٧.
(٤) المدثر: ٤٢ و٤٣.

لا يستطيع البشر أن يتحدى الإرادة التكوينية لله تعالى، بل يستطيع أن يخالف الإرادة التشريعية، كمن يخاطب الله: أنت فرضت الصلاة وأنا لا أصلي، وهذه معصية في مقابل الأمر التشريعي.

الشريعة الاسلامية شريعة كاملة، فكل ما يقرّب إلى الجنة أمرنا به رسول الله ﷺ، وكل ما يقرّب إلى جهنم نهانا عنه.

٢ _ الأمر التكويني: هناك أمر ثانٍ هو الأمر التكويني، وهو عبارة عن إرادة إلهية في تكوين الشيء وايجاده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[1]

والأمر التشريعي قد يتخلف تطبيقه بعكس الأمر التكويني.

قال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[2] يعني نزل القرار الإلهي بإنزال العذاب على قوم لوط عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام يجادل الله تعالى في قوم لوط: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[3] فقال له الله تعالى: يا ابراهيم أعرض عن هذا فقد جاء أمر ربك.

وهكذا القرار الإلهي في قيام هذا الكون والوجود «يا من لا تقوم السماوات والأرض إلاّ بأمره» هذا الأمر ليس كالامر بالصلاة والصوم، أي ليس أمراً تشريعياً.

بهذا الاتجاه يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

ونقرأ في دعاء كميل للإمام علي عليه السلام: «خفي مكرك، وظهر أمرك».

كما نقرأ في دعاء الإفتتاح المروي عن صاحب العصر عليه السلام انّ أمر الله نافذ في كل شيء سواء أكان شجراً، أو حجراً، أو ماءاً، أو سماءاً، أو إنساناً، أو حيواناً.

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) هود: ٧٦.

(٣) هود: ٧٥.

قال عليه السلام: «الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه، ولا منازع له في أمره، الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه، ولا شبيه له في عظمته».

الخلق الإلهي:

والآن يجب أن نعرف أن في كل عمل أمر إلهي تشريعي، وفي كل موجود أمر إلهي تكويني. كما يوجد في كل شيء خلق، فالشجرة فيها خلق وأمر، الخلق هو كيانها البدني والمادي كالجذع والغصن والأوراق، وفي داخل هذا الخلق يوجد الأمر الإلهي الذي به تتكون الشجرة وتتماسك، وتقوم السماء والأرض ويجعلها تنمو وتكبر، الإنسان يتركب من بدن ومفاصل ويدين وعينين، هذه الأعضاء لا يمسكها إلاّ الله تبارك وتعالى ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾،(١) أمر الله هو الحياة والروح والإرادة الموجودة في كل الوجود.

هذه هي الرؤية الإسلامية، ولو انسحب أمر الله لتلاشت وماتت كل الأشياء، فلا يطير الطير في السماء رغم ما عنده من جناحين ورغم قانون ضغط الهواء من أسفل إلى أعلى، ولكن القرآن يعطي شيئاً آخر هو قوله ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾(٢) صحيح توجد قوانين لطيران الطيور، ولكن هذه القوانين قد سيّرها الله بارادته، القوانين التي تجعل الطير يرف بجناحيه ويهجم على فريسته هي إرادة فوق الخلق المادي وفوق الجناح والريش.

كل شيء فيه خلق وفي عمقه أمر إلهي، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(٣) فكل شيء فيه روح، النخلة والنحلة والنجمة والحصى.

لمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وآله من غار حراء وهو أول موضع هبط فيه

---

(١) الملك: ١٩.

(٢) الملك: ١٩.

(٣) الإسراء: ٨٥.

جبرائيل عليه وارتبطت الأرض بالسماء كان كل شيء يسلّم عليه بالقول: «السلام عليك يا رسول الله».(١)

غار حراء ومقام إبراهيم عليه السلام:

نلتقي في غار حراء الذي يعتاد كثير من الحجاج زيارته والصلاة عنده تذكراً لحادثة نزول الوحي وتأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله، وهو قد مكث طويلاً في هذا المكان. ونذكر قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(٢) كان صلى الله عليه وآله بين تلك الصخور يجلس ليل ونهار، وكانت خديجة تصعد وتناوله الطعام، ولكن الوهابيين _ مع الأسف _ يريدون أن يمحوا تلك الآثار بحجة أنها من الشرك، نسألهم لماذا لا يُعتبر تخليد مقام إبراهيم شركاً؟ وما مقام إبراهيم إلاّ صخرة كان يقف عليها إبراهيم لبناء الكعبة لما بلغ ارتفاع جدارها بمقدار قامة الإنسان واضطر ابراهيم لوضع صخرة للوقوف عليها والاشراف على البناء.

القرآن الكريم يعتز بهذا المقام، وتكون صلاة المصلين في صلاة الطواف باطلة إذا كانت أمامه، ولابد أن يصلّوا خلفه، قال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾،(٣) على المقاييس الوهابية كل هذا شرك، وهكذا الطواف بالكعبة فإنّها أحجار، وكذلك تقبيل الحجر الأسود والتمسح به، مشكلتهم هي أنّ قلوبهم عمياء.

إنّ الله تبارك وتعالى جعل لنا في كل شيء دليل.

---

(١) الثاقب في المناقب / ابن حمزة الطوسي: ٦٨، ح ٤٩ / ٤، ولفظ الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ... فلما أراد جبرئيل الإنصراف أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بثوبه فقال: ما اسمك؟ قال: جبرئيل. فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله، فلحق الغنم، فما مرّ بشجر، ولا مدر إلا سلم عليه.

(٢) العلق: ١.

(٣) البقرة: ١٢٥.

إنّ قلت أنّ التمسح بقبر رسول الله ﷺ شرك إذن ما معنى التمسح بالحجر الاسود؟ وكل فقهاء المسلمين ومعهم الوهابية ما استطاعوا أن يتخلصوا من هذا الرأي الشرعي، وهو أنّه يستحب للحاج أن يمسح الحجر الأسود ويقبّله، ولهذا كل المسلمين يقبّلون الحجر الأسود.

نسلم على أئمتنا عليهم السلام ونقف عند أضرحتهم فيعتبرون ذلك شركا، لأنها من حديد ونحاس وحجر، لكن الكعبة أيضاً حجر فلماذا نطوف حولها إذن؟

إنّه تعظيم لشعائر الله وبيوته ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، يقول الشاعر:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

حينما نقبّل القرآن هل نقبّل الجلد في الحقيقة، أم كلام الله تبارك وتعالى الموضوع على ورق احتراماً له؟

كل شيئ حي:

في الإسلام نظرية ليس للماديين حظ لأن يدركوها، هي أنّ كل شيء ذو حياة بمقدار ما فيه من انعكاس للوجود الإلهي كما فإن له إحساس وإدراك وبصر حتى التراب الذي تمشون عليه.

إنّ الأرض تشهد لصاحبها يوم القيامة وتقول إلهي هذا صلى عندي ركعتين، ويستحب للمسافر في كل وادٍ ونقطة توقف في الطريق أن يصلي ركعتين فإنّ تلك الأرض تشهد له، إذن الأرض عندها وعي وإدراك لأنّها تعبير عن انعكاس لوجود الله سبحانه وتعالى، لا يوجد شيء في الوجود ليس له ادراك وسمع وبصر بمستوى من المستويات، فلا تتصوروا أنّ الإنسان والحيوان فقط يملكان البصر، فإن ذلك الجذع الذي كان يتكئ عليه رسول الله ﷺ في المدينة المنورة ليخطب سُمع منه أنين حينما صنع لرسول الله

ﷺ منبر وصعد عليه ﷺ وترك ذلك الجذع، وكأنه يريد القول: لماذا تركتني يا رسول الله، فقد كنت آنساً بوجودك؟

فجاء رسول الله ﷺ ومسح عليه ووعده أن يحشر معه، ثم قُطع ذلك الجذع ودُفن،(١) إنّه جذع ولكن كانت له علاقة مع النبي، والنبوة تكون لكل الكائنات، كما نقرأ في الزيارة الجامعة: «ذلّ كل شيء لكم»، كل شيء يعرف مقام الأنبياء ومقام الأئمة عليه السلام في عالم الأمر وليس في عالم الخلق، يدركون عظمة الأنبياء «حتى لا يبقى ملك مقرب ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق بين ذلك شهيد إلاّ عرّفهم الله جلالة أمركم وعظم خطركم».(٢)

سر الوجود وظاهر الوجود:

لقد مكّن الله تبارك وتعالى عباده الصالحين من هذا الأمر الذي هو عبارة عن سر الوجود مقابل ظاهر الوجود.

ما تشاهده في المنام من أنّك تدور وتحلّق هنا وهناك وترى أحلاماً جميلة وأخرى ليست جميلة هو من عالم السر وعالم الأمر، فأنت في الظاهر نائم نوماً عميقاً لكن يتحرك السر في روحك في المكان الفلاني والمكان الفلاني.

لقد أُعطي تدبير هذا السر في الأشياء إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، لقد فوّض الله لهم الحاكمية على سر الوجود، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.(٣)

وتقرأ في الزيارة الجامعة أيضاً: «المستقرين في أمر الله، التامّين في محبة الله» كما تقرأ قوله: «وأمره إليكم».

---

(١) راجع ما ورد في إعلام الورى للطبرسي: ١ / ٧٥، وبحار الأنوار للمجلسي: ١٧ / ٣٢٦ و٦٥ / ٣٣، وكنز العمال للمتقي الهندي: ١٢ / ٤١٠، ح ٣٥٤٤٦.

(٢) عيون أخبار الرضا / الصدوق: ١ / ٣٠٥، ح ١، من زيارة جامعة للرضا عليه السلام ولجميع الأئمة عليهم السلام.

(٣) الأنعام: ٧٥.

وليس هو أمر الصلاة والصوم.

لا أريد الحديث عن نظرية الولاية التكوينية، لكن حينما نقرأ القرآن ونقرأ الزيارات والأدعية نجد أن الأئمة عليهم السلام وكذلك الأنبياء قد أعطاهم الله شيئاً من سر الوجود.

مثلاً نقرأ في الأدعية الرجبية: «وبكم يُجبر المهيض، ويشفى المريض، وما تزداد الأرحام وما تغيض».[١]

وفي زيارة أخرى «وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه».[٢]

ردُّ الشمس لسليمان:

والقرآن فيه دلالات كثيرة على هذه النظرية، من جملتها قصة رد الشمس إلى سليمان، وقد جاء في روايات الشيعة والسنّة أنّ الخيل توارت في الحجاب، يعني ابتعدت كثيراً حتى غابت الشمس في الأفق فقال: «ردّوها عليّ»، وتفسيره حسب تلك الروايات ردّوا الشمس عليّ ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾.[٣] لكي يتطهر للصلاة بالتراب المتجمع على أعناق تلك الخيل وسيقانها.[٤]

رد الشمس لعليّ عليه السلام:

ومن الثابت عندنا وعند أبناء العامة في رواياتهم وتفسيراتهم أنّ

---

(١) مصباح المتهجد / الطوسي: ٨٢١، وكذلك مفاتيح الجنان للقمي.

(٢) عيون أخبار الرضا / الصدوق: ١ / ٣٠٨، وكذلك مفاتيح الجنان للقمي.

(٣) ص: ٣٢ و٣٣.

(٤) لكن التفسير الأقرب إلى ظاهر النص القرآني هو أن الخيل هي التي توارت بالحجاب، وهي التي أمر سليمان بردّها إليه بعد نهاية الاستعراض العسكري، وعميلة المسح بالسوت والأعناق تعني إزالة الغبار عن الخيول والتعطف عليها كما هو المستحب ذلك والله أعلم./ المؤلف.

الشمس رُدَّت لعليّ عليه السلام في أكثر من موضع، من جملتها في زمن النبي صلى الله عليه وآله، وفي معركة النهروان.[١]

ثم إنّ «المستقرين في أمر الله» يعني أنّ الله فوّض أوامره إليهم، إذن يستطيع عيسى عليه السلام أن يحيي الموتى بإذن الله.

نحن قدرتنا هي أنّ مفتاح التيار الكهربائي الدنيوي بأيدينا، والأنبياء والأئمة بيدهم مفتاح التيار الكهربائي الأخروي والغيبي، يحرك المفتاح في الأبدان الميتة فتصبح الروح فيها، هذا ليس شركاً لأنّه بإذن الله تعالى، وإذا كان ذلك شركاً فأنت عندما تفتح نقطة الكهرباء ويجري التيار الكهربائي يكون شركاً أيضاً، لأنّ الله تعالى هو نور السماوات والارض فكيف تشعل النور والله نور السموات؟ الحقيقة أن هذا من عدم معرفة بالدين إذا اعتُبر ذلك شركاً، لأنّ هذا كله يكون بأمر الله تعالى.

قصة (أبو بصير):

كان أبو بصير من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وقد روى عنهم آلاف الروايات.

وقد عبّر عنه الإمام الصادق عليه السلام بأنّ أوتاد الأرض أربعة: أبو بصير (واسمه ليث البختري) ومحمد بن مسلم، وزرارة بن أعين، وبريد بن معاوية.[٢]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام عنهم: «أولئك هم المقربون»[٣] ولولا هؤلاء لما بقي من أحاديثهم عليهم السلام شيء، هذا هو دور أبي بصير ودور الفقهاء.

---

(١) مناقب أمير المؤمنين / الكوفي: ٢ / ٥١٥ (باب ذكر رد الشمس)، المناقب / الخوارزمي: ٣٢٩، ح ٣٤٩، ١٠٢٠ - ١٠٢٣، البداية والنهاية / ابن كثير: ٦ / ٨٥ و٣١٥.

(٢) اختيار معرفة الرجال / الطوسي: ٢ / ٥٠٧، تهذيب المقال / الأبطحي: ٤ / ١٩٦، لسان الميزان / ابن حجر: ٢ / ١٠.

(٣) اختيار معرفة الرجال / الطوسي: ١ / ٣٤٨، ح ٢١٨، والآية في سورة الواقعة: ١٠.

كـان أبـو بصـير ضـريراً، فجـاء إلـى الإمـام الصـادق عليه السلام وقـال لـه: يـا ابـن رسول الله أنا ضرير، أي لا أستطيع رؤية وجهك وجمالك.

قال له: ألا تريد أن أريك علامة الأئمة؟

قـال: ليتـك تجمعهـم لـي وأرى آبـاءك وأجـدادك، مسـح الإمـام عليه السلام علـى عينيـه واذا بجميـع الأئمـة جالسـين علـى البسـاط، قـال انظـر يسـارك فَنَظـر كلابـاً وخنـازير وحيوانـات، قـال لـه هـؤلاء مخـالفوكم، وأنـتم علـى اليمـين الشـيعة، ولـو كنـتم تنظـرون بعـين الأمـر والبصـيرة لعـرفتم مسـتوى مخـالفيكم، وهـذا مـا يقولـه القـرآن: ﴿إِنْ هُـمْ إِلاَّ كَالأَنْعـامِ بَـلْ هُـمْ أَضَـلُّ سَـبِيلاً﴾[1] والرؤيـة الحقيقيـة ترينـا الكفـرة وأعـداء الإسـلام وأعـداء أهـل البيـت عليهم السلام بـوجهم الحقيقـي الـذي يحشـرون عليـه يـوم القيامـة، عبـارة عـن كـلاب وخنـازير، فمـنهم مـن يُحشـر علـى شـكل كلـب، ومـنهم علـى شـكل خنـزير، ومـنهم علـى شـكل نملـة، وهكـذا باجمـاع الأئمـة واتفاق كل علماء الاسلام.

إسـتأنس أبـو بصـير بهـذا المشـهد كثيـراً، فسـأل الإمـام الصـادق عليه السلام قـائلاً: يـا بـن رسـول الله أريـد أن تضـمن لـي علـى الله الجنـة، قـال لـه: إذا أردت يـا أبـا بصـير أن أضـمن لـك الجنـة لابـد أن ترجـع مثـل السـابق ضـريراً، فهـل تريـد أن تبقى على نظرك هـذا ولكـن لا أضـمن لـك على الله الجنـة، قال لـه: أعـدني يـا ابـن رسـول الله مثلمـا كنـت، لا خيـر لـي أن أرى تلـك النمـاذج، إجعلنـي أعمـى أفضـل من أن أرى خنازير الزمان، فعاد كما كان.[2]

هـذا هـو أبـو بصـير أحـد أوتـاد الأرض الأربعـة الـذين بهـم حُفـظ مـذهب أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) الفرقان: ٤٤.

(٢) راجع نـص الحـديث فـي الخـرائج والجـرائح / الراونـدي: ٢ / ٨٢٢، وكـذلك معجـم رجـال الحديث للسيد الخوئي في ترجمة أبي بصير (ليث البختري).

العلماء حفظوا الإسلام:

لا تعرفون كيف بقي المذهب إلى الآن، تصلّون وتصومون والحمد لله على صراط مستقيم، لكن لا تعرفون كم تعب العلماء ليل نهار، لقد زرت قبل ثلاثين سنة تقريباً العلامة آغا بزرك الطهراني قدس سره صاحب كتاب (الذريعة) في منطقة الجديدة في النجف، وكان واحداً في شخصه، ولكنّه مؤسسة كاملة تتألف من عشرات العلماء والكتاب الذين لو اجتمعوا لا ينجزون مثلما أنجزه من مؤلفات وكتب.

رأيته آخر أيامه محدودب الظهر، جالسا على الأرض وأمامه كتب حجرية الطباعة وبدون امكانات ولا مكيفة هواء، وهو يخرج حديثاً حديثاً ويلاحق القضايا الفكرية ليبقى المذهب محفوظاً لنا إلى هذا اليوم.

الاشتراكية والإسلام:

كان الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم (رحمة الله عليه وعلى أخيه وسائر إخوانه وأعلى الله مقامهم في الجنة) أول من هاجر من العراق إلى باكستان نتيجة ملاحقة الظالمين في السنة الأولى لحكومة البعث حينما بدأت عمليات التصفيات والقتل لأولياء الله، وكانت يومئذ موجة الاشتراكية تكتسح الساحة، وكان الناس ببساطتهم يتصورون أنّ الاشتراكية هي جزء من الإسلام وهذه خدعة الاشتراكية والشيوعية، وإذا قلت أنّ الاشتراكية ليست من الإسلام فإنهم يكذّبونك ويعتبرونك لا تفهم الإسلام، هكذا كان الوضع في الباكستان، في تلك الايام عقد مؤتمر في باكستان شارك فيه كتّاب وصحفيون وعلماء، فطرحوا فيه هذا السؤال: ما الفرق بين الإسلام والاشتراكية؟ وكان جموع غفيره من الكتاب والادباء ينتظرون الجواب من السيد محمد مهدي الحكيم، كان سؤالا محرجا وقناعاتهم صعبة التبديل، الاشتراكية يومئذ لها سوق كالديمقراطية في زماننا، لا أحد يستطيع أن يقول الديمقراطية خطأ.

لكن السيد مهدي الحكيم ضرب لهم مثلاً بمن فقد إحدى عينيه، وقال لهم: هناك طريقان لكي يصبح هذا الشخص متساوي العينين: الطريق الأوّل هو أن تفقأ العين الأخرى فتصبح العينان عمياوتان فتتحقق السواسية، والطريق الثاني هو أن نصلح العين التالفة فتصبح جيدة وهكذا تتساوى العينان.

وهنا قال لهم السيد مهدي الحكيم: إن الفرق بين الإسلام والاشتراكية هو أنّ الاشتراكية تأتي إلى العين الصالحة وتفقؤها فتصبح عمياء تماماً، بينما الإسلام يأتي إلى العين التالفة ويحييها فتصبح مبصرة. في المجتمع يوجد فقير وغني فتجعل الاشتراكية الغني فقيراً فيصبح كل المجتمع فقيراً، أما الإسلام فيأتي إلى الفقير ويرفعه ليجعله غنياً.

يقول: في اليوم الثاني انتشر الخبر في الصحف تحت عنوان عريض الفرق بين الاشتراكية والإسلام، وبمثال بسيط عرفوا معنى الاشتراكية والإسلام على لسان عالم من علماء الله، هذا هو دور العلماء يا إخوتي، نحن عندما نتحدث عن العلماء والفقهاء ومراجع الدين فإنها ليست مسألة عواطف، فلولا هؤلاء ما بقي من الإسلام شيء. الإمام الصادق عليه السلام يقول ذلك في شأن أحد الفقهاء وهو أبو بصير، يقول: لولا هؤلاء الأربعة لضاعت أحاديث أبي الباقر».

شاهد على الولاية التكوينية:

إن ما ذكرناه من قصة أبي بصير هي شاهد على قدرة أهل البيت عليهم السلام في التصرف بالأمور التكوينيّة حسب الإذن الإلهي، والآن أريد أن أنقل لكم شاهداً آخر على ذلك.

كان المعلّى بن خنيس من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أيضاً ومن أهل الكوفة، فسافر إليه في المدينة المنورة ومكث عنده طويلاً، فقال عليه السلام: أراك حزيناً كأنك مشتاق لأهلك ولولدك قال: أي والله.

قال: هل تريد الذهاب إليهم؟ قال: نعم.

قال: إغلق عينيك، ثم قال: إفتح عينيك، وإذا هو عند بيته وأولاده وأهله بالكوفة، استتر الإمام عنه وجعله وحدهُ في البيت، ارتاح مدة مع اهله، ثم قال له: هل تريد الرجوع قال: نعم، قال: إغلق عينيك، فأغلق عينيه، ثم نظر فإذا هو في المدينة المنورة.

قال له: يا معلّى أنا كشفت لك شيئاً ولا تكشفه لأحد، يا معلى من أذاع لنا سراً فإنّ مصيره القتل _ يومئذ كانت الظروف صعبة _ وأنا أحذّرك يا معلّى أن تذيع أسرارنا، أنت صحابي جليل لكن أخشى عليك، وأخبره الإمام بأنه سيقتل، وفعلاً قتله داود الحاكم الأموي في المدينة المنورة، حيث استدعاه وقال له أعطني أسماء شيعة أهل البيت عليهم السلام وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، فقال: ليس لي علاقة بهم، كنت أختلف في حوائجهم واشتري للإمام عليه السلام ما يحتاجه من السوق، ولست من الفقهاء ولا أعرف جماعته، قال: أعطني الأسماء وإلاّ قتلتك، قال: أبالقتل تهددني؟ والله لو كانوا تحت قدمي لما رفعتها، إفعل ما شئت فقتله.[1]

ثلاثة يدخلون الجنة:

عن الإمام الصادق عليه السلام _ وأنا أنوّر هذا المجلس بأحاديث الأئمة الأطهار _ «ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب، وثلاثة لا يحاسب الله عليها، وثلاثة في ظل عرش الله:

أما الثلاثة الذين يدخلون الجنة بغير حساب: إمام عادل، وتاجر صدوق، وشيخ أفنى عمره في طاعة الله.[2]

(١) أنظر نص الرواية في دلائل الإمامة / الطبري: ٢٨٥ / ح ٢٣٣ / ٦٩.

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة يدخلهم الله الجنة بغير حساب: إمام عادل، وتاجر صدوق، وشيخ أفنى عمره في طاعة الله. ثواب الأعمال / الصدوق: ١٣٣.

أما الثلاثة التي لا يحاسب الله عليها: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه».[١]

ولهذا قال أبو حنيفة حينما سأله الإمام الصادق عليه السلام عن النعيم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٢] قال: القوت من الطعام والماء البارد! فقال الإمام عليه السلام: لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة حتى يسألك عن أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يدي الله،... النعيم نحن أهل البيت،[٣] قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[٤] هذا هو النعيم.

ثلاثة لا يحاسب الله عليها: طعام يأكله وثوب يلبسه، الإسلام يريد أن يظهر الشاب والأب والأم والزوجة بأناقة ونظافة، على أن لا يصل ذلك إلى الإسراف ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٥] وزوجة صالحة يأنس بها، إنّ الله لا يحاسب على ذلك.

وأما الثلاثة في ظل عرش الله:

«رجل أنصف الناس من نفسه» قليل من الناس عنده إنصاف، بحيث يقول عن نفسه إذا أخطأ: أخطأت «أقل ما قسّم على العباد الإنصاف من أنفسهم».

«ورجل لم يقدّم رجلاً ولم يؤخر أخرى حتى يعلم إنّ ذلك لله رضا أو سخط» يعني لا يتحرك في موقف إلاّ ويتساءل هل يرضى الله به أم لا ؟ يتأمل في المواقف ولا يسرع دون تأمل، وهذه عناية ليس معناها أنّه لا يمشي في الشارع، ليس هذا هو المقصود، بل هذه عناية، أي أنّه لا يقدّم قدماً ولا يؤخر

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة أشياء لا يحاسب الله عليها المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه وتحصن فرجه. الخصال / الصدوق: ٨٠ / باب الثلاثة / ح ٢.

(٢) التكاثر: ٨.

(٣) راجع مجمع البيان / الطبرسي: ١٠ / ٤٣٣.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) الأنعام: ١٤١.

أخرى، يعني لا يمضي في مواقفه السياسية والاجتماعية حتى يفكر أنّ هذا الموقف هل فيه رضا الله أم سخطه، ثم يتقدم في ذلك الموقف.

«ورجل لم يُعب أخاه حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه»[١] أولاً يرى هل عنده ذلك العيب، فإذا وجده ينبغي أن يطهّره أولاً عن نفسه ثم يسجل العتب على أخيه، إذا انشغل الإنسان بتطهير نفسه شغله ذلك عن عيوب الآخرين، فإنّه لا ينفي منها عيباً إلاّ بدا له عيب آخرٌ ويبقى مشغولاً بتطهير نفسه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾[٢] وهذا هو المطلوب.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاثة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله: رجل أنصف الناس من نفسه، ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر أخرى حتى يعلم أن ذلك لله عز وجل رضى أو سخط، ورجل لم يعب أخاه بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه...» الخصال /الصدوق: ٨١ /ح ٤.

(٢) الشمس: ٩.

المحاضرة السادسة عشرة:

الرحمة الإلهيّة

«يَـا رَبِّ هَـذَا مَقَـامُ مَـنْ لاذَ بِـكَ وَاسْـتَجَارَ بِكَرَمِـكَ وَأَلِـفَ إِحْسَـانَكَ وَنِعَمَـكَ، وَأَنْـتَ الْجَـوَادُ الَّـذِي لا يَضِـيقُ عَفْـوُكَ وَلا يَنْقُصُ فَضْلُكَ وَلا تَقِلُّ رَحْمَتُكَ».

«وَقَدْ تَوَثَّقْنَا مِنْكَ بِالصَّفْحِ الْقَدِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ».

لدينا عدة بحوث حول الرحمة الإلهية:

أنواع الرحمة:

الرحمة الإلهية على نوعين: رحمة عامة، ورحمة خاصة.

الرحمة العامة تشمل المؤمن والكافر، الإنسان والحيوان، الحجر والشجر، الشمس والقمر ﴿رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ **ولو لا رحمة الله لم يبق شيء في الوجود.**

يتساءل علماء الفلك عن مصدر طاقة الشمس الملتهبة منذ الأزل، حيث تستعر منذ اليوم الأوّل والإنسان غير قادر على الوصول إليها، ويحلل العلماء ذلك بأن الشمس تجذب غازات تحيط بها وتحرقها ولذا يقول العلماء يقترب العالم اليوم من نهايته، وهي نظرية البرود الكوني، فإذا انطفأت الشمس فإنّ الأرض تتحول إلى البرود وسوف تموت أيضاً وتتلاشى.

إن كل شيء قائم بالرحمة الإلهية فاذا انسحبت فكل شيء يفنى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرامِ﴾[1] **المؤمن والكافر والحيوان كلهم مشمولون بالرحمة الألهية وهي الرحمة العامة.**

وهناك رحمة خاصة، وهي الرحمة الاستحقاقية.

ويشير إليها القرآن الكريم: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ﴾.[2]

(1) الرحمن: ٢٧.

(2) الأعراف: ١٥٦.

نحن ننتظر الرحمة الخاصة بالدرجة الأولى، كما نطمع وننتظر استمرار الرحمة العامة فينا ونطلب منه تعالى: «اللهم برحمتك في الصالحين فأدخلنا».(١)

هذه الرحمة الخاصة الاستحقاقية لها مفاعلات جاذبة وطاردة.

فبدن الإنسان والحيوان والشجرة فيه قدرة جذب وقدرة طرد، إذا دخل جسم غريب في بدن الإنسان كالشوكة والجرثومة فإن البدن يعمل على طرد ذلك الجسم، فالكريات البيضاء في الدم تمثل الجنود في طرد هؤلاء الإرهابيين الغرباء. وبقوة الجذب يجذب البدن الطعام والشراب.

إن الرحمة الإلهية واسعة جداً، ولكن هناك مجموعة جواذب ودوافع لهذه الرحمة.

في الرواية أنّ الحسن البصري _ وكان من العلماء قال: ليس العجب ممن هلك كيف هلك، بل العجب ممن نجا كيف نجا؟ فقال الإمام زين العبدين عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممن نجا، كيف نجا وإنما العجب ممن هلك كيف هلك،(٢) وذلك لسعة الرحمة الإلهية وعفو الله ولطفه.

الفضاء مليء بالرحمة الإلهية فكيف يهلك الإنسان؟

عن الرسول صلى الله عليه وآله: إنّ الله يغفر كل ذنب يوم القيامة إلا مهر امرأة، ومن اغتصب أجيراً أجره، ومن باع حداً.(٣)

جواذب الرحمة:

هناك مجموعة جواذب للرحمة الإلهية، و مجموعة مضادات.

هذه الآية الكريمة أوجزت الجواذب: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. التقوى، والزكاة، والإيمان.

---

(1) إقبال الأعمال: ١ / ١٤٣.
(2) بحار الأنوار: ٧٥ / ١٥٣ / ح ١٧.
(3) الكافي للكليني: ٥ / ٣٨٢ / ح ١٧.

الإيمـان فـي لغـة القـرآن هـو الولايـة، والإسـلام الخـالص الـذي فيـه ولاء لأهـل البيـت عليهم السلام يعنـي التشـيع، قـال تعـالى: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِيـنَكُمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَـيْكُمْ نِعْمَتِـي وَرَضِـيتُ لَكُـمُ الإِسْـلام دِينـاً﴾[1] هـذا هـو الإيمـان الصـحيح، وهـذا هـو أحد العناصر المهمة في جذب الرحمة.

قصة واقعية:

كـان الشـيخ الـوائلي (أعلـى الله شـأنه) يقـول: مـات شخصـية عشـائرية مواليـة لأهـل البيـت عليهم السلام، وكـان ذا أمـوال فـدفنوه فـي الصـحن الشـريف بـين مسـتودع الأحذيـة والبـاب، لكنـي أعـرف هـذا الشـخص أنـه غيـر متـدين فكيـف يـدفن فـي صحن أمير المؤمنين عليه السلام؟

وتسـاءلت كيـف يـدفن هنـا لمجـرد أنـه كـان غنيـاً واشـترى لـه أولاده هـذا القبـر فـي الصـحن الشـريف، فمـا ذنـب الفقيـر الـذي لا يملـك مـالاً ليشـتري قطعـة تكون قبره في صحن أمير المؤمنين عليه السلام؟

ثـم تحـدثت مـع شـخص هـذا الحـديث ذاتـه وشـرحت لـه حيرتـي، ورجعت، فرأيت في عالم الرؤيا مشهداً عجيباً في الصحن الشريف:

كـأن هنـاك بئـر فيـه نـار وحولـه الملائكـة، فخـرج هـذا الميـت مـن البئـر وكـان كتلـة مـن نـار مشـتعلة، ولمـا وصـل إلـى حافـة البئـر اسـتغاث وصـاح يـا علـي دخيلـك، فـأتى سـيد وهـو الإمـام علـيّ عليه السلام والتفـت إلـى الملائكـة وقـال: أتركـوه، وبينمـا يشـير إليـه انطفـأت النـار وتـرك الملائكـة أدواتهـم، واسـتيقظت مـن النـوم وذهبـت إلـى مضـيف السـيد محمـد سـعيد الحكـيم (رحمـة الله عليـه) ومعنـا السـيد الرفيعـي الـذي كنـت قـد تحـدثت معـه أمـس حـول دفـن هـذا الميـت فـي الصـحن

---

(1) المائدة: ٣.

الشـريف، وسـألته عـن معنـى الرؤيـا، فقـال أنـا رأيـت الرؤيـا بنفسـها أيضـاً، وإذا بهـا رؤياي ذاتها عن ذلك الشخص الذي نجاه أمير المؤمنين عليه السلام.

إذن الولاية أمر حقيقي وليس ادعاءاً وكلاما.

يقول الشاعر:

فعار على حامي الحمى وهو في الحمى إذا ظل في البيداء عقال بعير[(١)]

موانع الرحمة:

أما الموانع للرحمة فقد بينها الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله:

«أو لعلك رأيتني مستخفا بحقك فأقصيتني.

أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني.

أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني.

أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني.

أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني.

أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني.

أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني.

أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني».

فالإمام هنا يستعرض مجموعة موانع مضادة للرحمة هي عبارة عن:

١ _ الاستخفاف بحق الله.

٢ _ الاعراض عن الله.

٣ _ الكذب على الله.

٤ _ كفران النعم الإلهية.

٥ _ الابتعاد عن مجالس العلماء.

---

(1) وفيات الأئمّة/ من علماء البحرين والقطيف: ٧٦.

٦ _ الغفلة عن الله.

٧ _ حضور مجالس البطالين.

٨ _ قلة الحياء من الله.

المؤاخاة بين المؤمنين:

وحيث كانت الليلة السابعة عشرة هي ذكرى معركة بدر، لذا فإننا سوف نتحدث عنها.

كان أوّل حدث سياسي مهم بعد دخول النبي ﷺ المدينة بخمسة أشهر هو المؤاخاة بين كل اثنين، بين الفقير والغني، بين واحد من الأنصار مع واحد من المهاجرين على أساس التشابه، بين أبي بكر وبين عمر، وبين جعفر بن أبي طالب وسعد بن معاذ، وبين طلحة والزبير، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، فبقي رسول الله ﷺ وحده، فقال: يا علي ليس لي أخ غيرك، فآخى بينه وبينه.[1]

معركة بدر الكبرى:

الحدث الثاني المهم الذي وقع في السنة الثانية من الهجرة هو معركة بدر دفاعاً عن قافلة كانت لقريش أراد المسلمون مصادرتها، فقد غيَّر أبو سفيان طريق قافلته وتجهَّز بالسلاح، وتجحفلت قريش في غدران الماء، وأرسلت عبيداً للاستطلاع على أوضاع المسلمين، فألقي القبض عليهم، فسألهم رسول الله ﷺ عن عددهم فعرف من عدد ذبائحهم أنهم تسعمائة إلى ألف شخص في مقابل ثلاثمائة مسلم مع رسول الله ﷺ، وكان مع المشركين أربعمائة فرس مقابل فرسين للمسلمين، ونزل ثلاثة آلاف ملك وسلّموا على أمير المؤمنين عليه السلام في قصة معروفة. فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه في طلب العير (القافلة) وحرب النفير.

---

(1) انظر بحار الأنوار للمجلسي: ٣٨ / ٣٣٤ / ح ٧.

فقال أبو بكر: إنّها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلت منذ عزّت، ولم نخرج على أهبة الحرب.

فقال ﷺ: اجلس.

ثم قام عمر فقال مثل ذلك، فقال ﷺ: اجلس، فجلس.

ثم قام المقداد، فقال: آمنا بك وصدقناك. وشهدنا أنّ ما جئت به حق. والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكنا نقول امض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون، فجزاه رسول الله ﷺ خيراً على قوله ذلك.

ثم قال: أشيروا علي أيها الناس _ ويريد الانصار _ فقام سعد بن معاذ، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟

فقال: نعم.

قال سعد: والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، فسر بنا على بركة الله، ففرح بذلك رسول الله ﷺ.

كانت أوّل معركة تاريخية حاسمة ومصيرية.

فدعا رسول الله: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض.

فانزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾[1] والمعركة قد حسمها عليّ عليه السلام من أولها إلى آخرها.

لقد برز من قريش ثلاثة أبطال هم عتبة وشيبة والوليد، وصاح عتبة: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش.

---

(1) الأنفال: ٩.

جاء رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن عبد المطلب وقال له: عليك بعتبة بن ربيعة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعليّ عليه السلام: عليك بالوليد.

انتهى الثلاثة إلى القوم وتعافوا بينهم حيث عرّف كل واحد نفسه، فقالوا: أكفاء كرام، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها فسقطا جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، ثم اعتنق حمزة وشيبة، فقال المسلمون: يا علي، أما ترى الكلب نهز عمك، فقال: يا عم، طأطئ رأسك _ وكان حمزة طويلاً _ فضربه علي فطرح نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه، فهبط جبرئيل وهو يقول: «لا فتى إلاّ عليّ، لا سيف إلاّ ذو الفقار».

انتهت المعركة وقد قتل من المشركين سبعون شخصاً، قتل عليّ عليه السلام سبع وعشرين منهم واشترك في الباقي، وقُتِل من أصحاب النبي ﷺ سبعة عشر شهيداً.(١)

مقام أمير المؤمنين عليه السلام:

كان لعليّ عليه السلام في كل معركة نصر ومعجزة.

كان وسام أمير المؤمنين عليه السلام في معركة بدر هي ما نودي فيه «لا فتى إلاّ علي لا سيف إلاّ ذو الفقار».

وقال عنه رسول الله ﷺ في معركة الأحزاب (الخندق): «برز الإيمان كله إلى الشرك كله».(٢)

وقال: «ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين».

وفي معركة خيبر قال رسول الله ﷺ: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله عليه»،

---

(1) انظر بحار الأنوار: ١٩ / ٢٢٦.
(2) بحار الأنوار: ٢٠ / ٢١٥.

وكـان علـي يومئـذ أرمـد شـديد الرمـد، فـدعاه رسـول الله ﷺ فأخـذ ﷺ مـن ريقه ومسح به عيني علي عليه السلام فشفي.[(١)]

وقبـل التوجـه إلـى معركـة تبـوك قـال ﷺ لعلـي عليه السلام: يـا علـي لا ينبغـي أن أتـرك المدينـة إلاّ وأنـت عليهـا، أمـا ترضـى أن تكـون منـي بمنزلـة هـارون مـن موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي.[(٢)]

لمحة من زهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

هنا نتكلم قليلا عن زهده وإعراضه عن الدنيا.

يقول أحد أصحابه وهو نوف البكالي:

رأيـت أميـر المـؤمنين عليه السلام ذات ليلـة وقـد خـرج مـن فراشـه، فنظـر إلـى النجوم، فقال: يا نوف، أراقد أنت أم رامق؟

فقلت: بل رامق يا أمير المؤمنين.

فقـال: يـا نـوف، طـوبى للزاهـدين فـي الـدنيا، الـراغبين فـي الآخـرة، أولئـك قـوم اتخـذوا الأرض بسـاطاً، وترابهـا فراشـاً، وماءهـا طيبـاً، والقـرآن شـعاراً، والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عليه السلام.

يـا نـوف، إنّ داود عليه السلام قـام فـي مثـل هـذه السـاعة مـن الليـل، فقـال: إنّهـا ساعة لا يدعو فيها عبد ربه إلاّ استجيب له.[(٣)]

وكان عليه السلام يقول: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيئ بنور علمه».

ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه.

ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد.[(٤)]

---

(1) انظر الأمالي للشيخ الصدوق: ٦٠٤.

(2) انظر الهداية للشيخ الصدوق: ١٦٢.

(3) بحار الانوار ٦٦ / ٢٧٦ / ح ٩.

(4) نهج البلاغة: من كتاب له إلى عثمان بن حنيف: ٣ / ١٧٠ / ح ٤٥.

المحاضرة السابعة عشرة:

الإنس والجن والملائكة

«يَا غَفَّارُ بِنُورِكَ اهْتَدَيْنَا وَبِفَضْلِكَ اسْتَغْنَيْنَا... وَلَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ يَأْتِيكَ [عَنَّا] بِعَمَلٍ قَبِيح»

«خَيْرُكَ إِلَيْنَا نَازِلٌ وَشَرُّنَا إِلَيْكَ صَاعِدٌ، وَلَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ يَأْتِيكَ بِعَمَلٍ قَبِيحٍ».

حديثنا عن الملائكة، وهو حديث غيبي روائي نعتمد فيه على النصوص، لأنّ الفلسفة _ وهكذا العقل _ لا تستطيع أن تعرج إلى السماء لتكتشف عوالم الغيب.

منذ اليوم الأوّل لتكليفنا وبلوغنا وإلى أن نموت هناك مَلَك موكل باحصاء أعمالنا يصعد يوميا إلى الله تعالى بأعمالنا السيئة، فيعرضها ويقول: إلهي فلان قد عمل اليوم كذا من السيئات.

الإنسان، الجن، الملائكة:

المخلوقات على نوعين: عاقلة وغير عاقلة، والعاقلة على ثلاثة أنواع، الإنسان والجن والملائكة، وأعظم هؤلاء خلقا وتعقيداً هو الإنسان.

وفي الاحصاء المادي لم يستطع الإنسان أن يكتشف مخلوقاً عاقلاً آخر، الإنسان موجود على الأرض، والعلم لم يستطع اكتشاف مخلوق آخر على كوكب آخر، ولكن الفكر الديني يحدثنا عن مخلوق آخر موجود في الأرض كما هو في السماء وهو الملائكة. والملائكة موجودون في الأرض وفي كل السماء، وساحة حركة الملائكة أكبر من ساحة حركة الإنسان.

عن الإمام الصادق عليه السلام: والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلاّ وفيها ملك يسبحه ويقدسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلاّ وفيها مَلَك موّكل بها.(1)

الإنسان له وجود مادي مرئي، والجن له وجود مادي غير مرئي، والملائكة لها وجود غير مادي مجرد.

---

(1) بحار الأنوار: ٢٦ / ٣٣٩.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ * وخَلَقَ الْجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾[١] **المارج هو ألسنة اللهب، وهو شيء مادي مرئي ينشأ منه وجود غير مرئي شفاف هو الذي يسمى بـ (الجن).**

الهوية الشخصية للملائكة:

هي وجودات غير مادية مؤمنة جميعاً بالله، قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ والْمَلائكَةُ﴾[٢] **بينما الإنسان إما شاكر أو كفور، وهكذا الجن، قال تعالى على لسانهم:** ﴿وأَنا مِنّا الْمُسْلِمُونَ ومِنّا الْقاسِطُونَ﴾.[٣]

الملائكة معصومون لا يقترفون ذنبا واحداً، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْليكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ والْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾[٤] و﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.[٥]

وليس الملائكة في مرتبة واحدة، ففيهم القوي والأقوى، وفيهم القريب والأقرب. والأعظم هو جبرئيل وهو أمير الملائكة المطاع الأمين.

مراتبهم متفاوتة، قال تعالى: ﴿وما مِنّا إلا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾.[٦]

و﴿الحَمْدُ لله فاطِرِ السَّماواتِ والأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائكَةِ رُسُلاً أُولي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ﴾[٧] **والأجنحة تعني الأداة والقوة، كما تقول مشيت على جناح السرعة.**

قسم من الملائكة له أداتان، وقسم آخر له أدوات أكثر. إنّ حركة واحدة من جناح جبرئيل يحرك بها الكرة الأرضية ويلقيها في وادٍ.

---

(1) الرحمن: ١٤ و١٥.
(2) آل عمران: ١٨.
(3) الجن: ١٤.
(4) التحريم: ٦.
(5) النحل: ٥٠.
(6) الصافات: ١٦٤.
(7) فاطر: ١.

إنّ مهمة الملائكة هي أنّهم وسائط لتدبير الكون، فالله سبحانه له علاقة مباشرة مع الكون، وله علاقة وتصرف غير مباشر بواسطة الملائكة، الله يخلقك لكن عن طريق الأم والأب فهما من الوسائط.

اليوم تطرح أسماء اخرى كالطاقة والجاذبية، فالأرض تجذب القمر، والشمس تجذب الأرض، ولا يخرج كلٌّ عن مساره، يقول العلم أنّها الجاذبية، ولكن لا ندري ما هي؟

الدين يعتقد بأن هناك قدرة واعية، وهناك قدرة غير واعية.

القدرة الواعية هي القدرة التي لا يتمتع بها الإنسان وكذلك الجن والملائكة، والقدرة غير الواعية هي كقدرة المغناطيس على جذب المسامير. والعلم حينما يتحدث عن الطاقة والجاذبية إنما يتحدث عن قدرة غير واعية، لكن الأديان تؤكد وجود قدرة واعية في الكون.

يقول القرآن إن هذا الكون يخضع لتدبير الملائكة، والله يدبر الكون بواسطتهم، ونحن لا نرى ذلك بأعيننا. والطاقة عند الإنسان تأتي من السعرات الحرارية، ولكن الإسلام يقول أنّ مع كل حركة في الكون توجد طاقة واعية أيضاً هي الملائكة التي تسبح بحمد الله وتخضع لإرادته.

مهمة الملائكة هي تدبير العالم:

يقول العلامة الطباطبائي في تعريفها: موجودات مكرمون وسائط بينه تعالى وبين العالم المشهود، وكل حادثة صغيرة وكبيرة إلاّ وللملائكة فيها شأن وعليها ملك موكل أو ملائكة موكلون، قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً * فَالْحَامِلاتِ وِقْراً * فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾[1] فالمقسمات هم الملائكة الذين يوزعون الأوامر ويديرون الكون بقدرة الله.

(1) الذاريات: ١- ٤.

وأيـام الجاهليـة كانـت المـرأة تحتقـر، فـاعتبروا الملائكـة نسـاء احتقـاراً لهـم، وقـد رفـض القـرآن ذلـك بقولـه تعـالى: ﴿وجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً﴾[1] إنهم عباد الرحمن، فلا تسألوا عن جنسهم وطريقة تكاثرهم.

خديجة أم المؤمنين:

لقـد كـان اليـوم العاشـر مـن رمضـان ذكـرى وفـاة أم المـؤمنين خديجـة وهـي زوجـة رسـول الله ﷺ وأم الزهـراء عليها السلام، وكانـت أشـرف نسـاء النبـي ﷺ، واحـدى النسـاء الأربعـة اللـواتي هـن سـيدات النسـاء. «خديجـة وفاطمـة ومـريم وآسـية بنـت مـزاحم». أرسـل الله سـبحانه إليهـا سـلاماً خاصـاً بواسـطة جبرئيـل: «يـا محمد إنّ الله يقرؤك السلام ويأمرك أن تبلغ خديجة منه السلام».

فقالـت: «الله هـو السـلام، ومنـه السـلام، وإليـه السـلام»[2] وقـد انفقـت أموالهـا حتـى تجـذرت شـجرة الإسـلام، فمـا قـام الإسـلام إلاّ بسـيف علـيّ عليه السلام وأمـوال خديجـة، ولمـا توفيـت اشـتد حـزن رسـول الله ﷺ عليهـا وعلـى أبـي طالـب فسـمى ذلك العام (عام الأحزان).[3]

إنّ مهمـة الملائكـة هـو تـدبير الوجـود، الإنسـان وغيـره، وعـرش الـرحمن يحمله ثمانية من الملائكة، وعليهم تدبير كل الدائرة الكونية.

علاقة الملائكة مع الإنسان:

تتمثل هذه العلاقة في ما يلي:

١ _ حفـظ الإنسـان، قـال تعـالى: ﴿ويُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إذا جاءَ

---

(1) الزخرف: ١٩.
(2) انظر بحار الأنوار: ١٦ / ٧ / ح ١١.
(3) بحار الأنوار للمجلسي: ١٩ / ١٥.

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾.(1) **لكل إنسان ملكان ولهما واجب صباحي وواجب مسائي ويتعاقبان، حتى إذا جاء القدر خلّيا بينه وبين قدره.**

٢ ـ قبض روح الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الذينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائكَةُ ظالمي أَنْفُسهمْ قالُوا فيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْض قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله واسعَةً فَتُهاجرُوا فيها﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿الَّذينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائكَةُ طَيِّبينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.(٣)

في معراج النبي ﷺ: مرَّ بملك جالس وكل الدنيا بين ركبتيه، وبيده لوح من نور ينظر فيه ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً وله هيئة الحزين.

يقول رسول الله ﷺ: «قلت: من هذا يا جبرئيل؟

قال: هذا ملك الموت.

قلت: أدنني منه حتى أكلمه، فأدناني منه وسلمت عليه.

قال جبرئيل: هذا محمّد، فرحّب بي وحيّاني.

وقال: أبشر يا محمّد فانّي أرى الخير كله في أمتك.

فقلت: الحمد لله الحنان المنان.

فقلت: أكل من يموت أنت تقبض روحه؟

قال: نعم.

قلت له: وتراهم حيث كانوا؟

قال: نعم، فالدنيا عندي كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء، وما من دار إلاّ وأنا أتصفحه كل يوم خمس مرّات وأقول إذا بكى أهل الميت: لا تبكوا فأنا لي عودة أخرى لكم».(٤)

---

(1) الأنعام: ٦١.
(2) النساء: ٩٧.
(3) النحل: ٣٢.
(4) انظر بحار الأنوار: ٦ / ١٤١.

٣ _ المهمة الثالثة للملائكة هي حمل الرسالات السماوية، والمشرف الأعلى على هذه المهمة هو جبرئيل الأمين.

٤ _ المهمة الرابعة هي الاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: ﴿تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ والْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾،(١) **إنّهم يستغفرون للمؤمنين.**

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢) **ويقرؤون لهم دعاءً خاصاً.**

٥ _ المهمة الخامسة: هي بشارة المؤمنين وتولي أمرهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا ولا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وفِي الْآخِرَةِ﴾.(٣)

٦ _ المهمة السادسة: نصرة المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٤) **ففي كل معركة ثقافية وسياسية وإعلامية وانتخابية هناك ملائكة مكلفون بنصرة المؤمنين.**

٧ _ المهمة السابعة: كتابة الأعمال.

قال تعالى: ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.(٥)

وقال: ﴿يا أَيُّهَا الإِنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ * كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ * كِراماً كاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ﴾.(٦)

---

(1) الشورى: ٥.
(2) غافر: ٧.
(3) فصلت: ٣٠ و٣١.
(4) الأنفال: ١٢.
(5) ق: ١٨.
(6) الانفطار: ٦- ١٢.

٨ _ مرافقة الزائر: يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من زار أمير المؤمنين عارفاً بحقه، غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبُعث من الآمنين، وهوّن عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيّعته إلى منزله، فإن مرض عادوه، وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره».(١)

٩ _ المهمة الأخيرة: السؤال في القبر بحضور منكر ونكير.

يقول الإمام العسكري عليه السلام: «إن المؤمن الموالي لمحمد وآله إذا حضره من أمره ما لا يُرد وجد عند رأسه محمداً وعلياً والحسن والحسين، وإذا جاء منكر ونكير قال أحدهما للآخر: هذا محمد وعلي والحسن والحسين جالسين بحضرة صاحبنا فيأتيان فيسلّمان، ثم يقولان: يا رسول الله إنّ زيارتك لهذا المؤمن هي كرامة له، ثم يسألانه، من ربك، ومن نبيك، وما دينك، ومن إمامك؟

فيقول: الله ربي، محمد نبيي، علي إمامي، الكعبة قبلتي.

فيقولان: على هذا أحييت، وعلى هذا مِتَّ، وعلى هذا تُبعث إن شاء الله، وتكون مع من تتولى».(٢)

إن سؤال منكر ونكير سنواجهه جميعاً، فاستعدوا له.

«يا فلان بن فلان اسمع وافهم، إذا اتاك الملكان رسولان من عند الله وسألاك من ربك؟ ومن نبيك؟ فقل بلسان فصيح: الله جلّ جلاله ربي، محمد نبيي، علي إمامي، الحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن عليّ، وعلي بن محمّد، والحسن بن عليّ، والحجة بن الحسن أئمتي».(٣)

---

(1) بحار الأنوار: ٩٧ / ٢٥٧ / ح ١.
(2) انظر البحار: ٦ / ١٧٥.
(3) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي: ٧١٣ في تلقين الميت.

المحاضرة الثامنة عشرة:

السعادة والشقاء

في النظرية القرآنيّة

«اللَّهُمَّ أشْغَلْنَا بِذِكْرِكَ، وَأَعِذْنَا مِنْ سَخَطِكَ... وَارْزُقْنَا عَمَلا بِطَاعَتِكَ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ».

حديثنا عن السعادة والشقاء في النظرية القرآنية.

الإنسان إمّا يكون سعيداً في الدنيا والآخرة، وإمّا يكون خاسراً فيهما. إنّه بحث كلامي فلسفي قرآني في إطار هذا المقطع من الدعاء:

«وَارْزُقْنَا عَمَلا بِطَاعَتِكَ، وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِكَ».

إن جذور الشقاء الذاتي موجودة في أعماقنا، ولكن علينا أن نقتلع تلك الجذور بعوامل السعادة الذاتية المفطورة فينا أيضاً. إننا ننتظر من الله تعالى أن يرزقنا الطاعة، ويجعلنا من أهل السعادة ويتوفانا على ملة الإسلام، حتى إذا كانت ذواتنا خبيثة وغير طاهرة، لكننا نرجوه أن يطهرها ويزكّيها حتى نكون من أهل السعادة.

السعادة و الشقاء:

هل السعادة والشقاء أمران ذاتيان، أم اكتسابيان؟

هل هما في اختيارنا وارادتنا، أم أنهما ذاتيان مكتوبان منذ أن خلقنا الله على جباهنا؟

يقول القرآن الكريم أنّهما أمران اكتسابيان، أي هما تابعان لإرادة الإنسان واختياره.

قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[1] **المقياس إذن هو العمل.**

وحينما يتحدث القرآن عن الفاسقين يقول: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[2] **أي أن طبيعة أعمالهم هي التي سوّدت قلوبهم.**

---

(1) الإنسان: ٣.

(2) المطففين: ١٤.

العالم اليوم يتحدث عن تلوث البيئة، ولا يتحدث عن تلوث القلب، وهو ما تريد الأديان والإسلام معالجته، وهذا الشهر وهو شهر رمضان معدّ لتطهير القلوب من التلوث البيئي المعنوي، معدّ لذلك. يتحدث القرآن عن الفاسقين ويقول: إن زيغ القلوب ناشئ عن سلوكهم وأعمالهم، فإنها هي سبب الشقاء وتلوث القلب، والقرآن واضح في ذلك.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها﴾[1] أي أماتها وطمرها ومنعها من النمو.

سعيد من بطن أمه:

على هذا الأساس كيف نفسر ما ورد عن النبي ﷺ: «السعيد سعيد في بطن أمه، والشقي شقي في بطن أمه».[2]

وما ورد في الرواية من أن الله: «قبض قبضة فقال إلى الجنة ولا أبالي، وقبض قبضة وقال إلى النار ولا أبالي»[3] ولو كان الأمر كذلك فإنه قد يقول قائل: لماذا نصلي ونصوم ونعمل صالحاً طالما كانت النتائج مكتوبة مسبقاً؟

نظرية حدوث الإرادة وأزلية العلم:

يقول علماء الإسلام من مدرسة أهل البيت عليهم السلام: إنّ العلم الإلهي أزلي بواقع البشر ولكن الإرادة الإلهية في حقّهم متغيرة، إنّ حقائقنا ثابتة ومصيرنا مكتوب في السجل الإلهي الثابت، ولكن الإرادة الإلهية متحركة بحركة الإنسان، أي إنّ إرادة الله سبحانه تتأثر بمجموعة عوامل منها إرادة الإنسان.

---

(1) الشمس: ٩ و١٠.
(2) شرح أصول الكافي للمازندراني: ج ١ / ص ٢٣٥.
(3) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي: ٢٢٤.

قال تعالى: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها﴾.[1]

وقال تعالى ﴿فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[2] في علم الله أنّ النبي ﷺ يُبعث ويهاجر ويؤسس الدولة وينتصر، وإن الإمام عليّ عليه السلام يستشهد، ولكن الإرادة الإلهيّة يمكن أن تتغير حسب جهد الإنسان، فالنبي ﷺ مثلا دعا في معركة بدر: «يا رب إن تهلك هذه العصابة لا تعبد»[3] وكان الدعاء مؤثراً، ولا ندري ربما كان لولاه لم تحدث تلك الإرادة الإلهية، فنصره الله تعالى واستجاب دعاء النبي ﷺ ونصر عصابته من المؤمنين.

لذا فإن من المستحب أن نقول في أدعية الصباح: «إلهي وإن كنت عندك في أم الكتاب شقيا فاجعلني سعيد، فإنك تمحو ما تشاء وعندك أم الكتاب».[4]

ومعنى ذلك أنه لا يوجد قرار ثابت في قضية السعادة والشقاء، لأن إرادة الله تابعة لإرادة الإنسان ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ ولذا يجب أن نعمل ولا نصاب باليأس، بل يكون لدينا أمل كبير بأن ينقلنا الله إلى واقع أحسن، وذلك بفضل رحمته وكرمه.

خلاصة النظرية الإسلامية:

وتتخلص النظرية الإسلامية بهذا الشأن في الأمور التالية:

١ _ السعادة والشقاء أمران اكتسابيان.

٢ _ إن القرارات الإلهية بشأن الإنسان متغيرة.

٣ _ يحتاج الإنسان دائماً إلى عناية الهية لتغيير واقعه نحو الأحسن، ولا يمكن أن يعتمد على عمله وقدرته الشخصيّة بعيداً عن لطف الله وعنايته.

---

(1) النمل: ٨٩.

(2) الصف: ٥.

(3) بحار الأنوار: ١٩ / ٢٢٥.

(4) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٨٣.

عوامل متضادة:

هناك عوامل تفتح أبواب الجنة، وعوامل تفتح أبواب النار.

إن مع كل إنسان مَلَكين وشيطانين، فقد طلب ابليس من الله أن يولد له مع كل انسان شيطانان، واستجاب الله له ذلك.

من العوامل السلبية التي تؤثر في تغيير الإرادة الإلهية هي ا لذنوب، ولذا يجب على الإنسان أن يراقب نفسه وسلوكه، ولذا ورد في الدعاء:

«اللهم اغفرلي الذنوب التي تهتك العصم... وتنزل النقم... وتغير النعم... وتحجب الدعاء... وتحبس عليّ الرزق... وتسيئ مني الخُلُق».

ومن العوامل الايجابية للإرادة الإلهية:

١ _ الدعاء.

قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١] وجاء في الدعاء «وقضائك المبرم الذي تحجبه بأيسر الدعاء».[٢]

٢ _ الاستغفار.

فقد ورد أن العبد إذا أذنب ذنباً أجل من غدوة إلى الليل، فإن استغفر لم يكتب عليه.[٣]

٣ _ الصدقة.

٤ _ البكاء من خشية الله.

وقد ورد في الحديث: «إن لربكم في دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لنفحات ربكم».[٤]

---

(1) غافر: ٦٠.

(2) بحار الأنوار: ٩٩ / ٥٥.

(3) الكافي للكليني: ٢ / ٤٣٧ / ح ١.

(4) الغدير للأميني: ٥ / ١٦٢.

تألّق الإمام عليّ عليه السلام سياسياً:

وحيث كنّا نعيش ذكرى شهادة الإمام عليّ عليه السلام فإنه لابد من الحديث عن حياته وشخصيته.

تألق نجم الإمام عليّ عليه السلام سياسياً وبطوليا، وكان سريع التألق، فقد ثبت لدى كل الناس أنّه لا يمكن لأي مقاتل أن يقابل الإمام عليّ عليه السلام، حتى قالت صفية أخت عمرو بن عبد ود العامري وهو البطل الذي قتله الإمام عليّ عليه السلام في معركة الخندق حينما سألت من قتل عمرواً؟

قالوا: إنه عليّ عليه السلام.

فقالت: إذن لا أبكي عليه طالما كان قاتله أشجع الناس.

لقد آمن برسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أصبح أخاه ووزيره، وكان منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام.

ولقد كان أول تألق له في المجال السياسي في القصة التي عُرفت في التاريخ بحديث الدار، وكان في الرابعة عشرة من عمره وذلك حينما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1] فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً أن يدعو بني هاشم للحضور في أول مؤتمر يعقده صلى الله عليه وآله، وأمره ان ينضج فخذ شاة مع مد من البر طعاماً ويعد صاعا من اللبن لأربعين رجلاً، وقد كان الرجل منهم يأكل الجَذعَة _ الشاة _ في مقام واحد، فأكلت الجماعة كلها من ذلك الطعام اليسير حتى صدروا منه فلم يبن ما أكلوه منه، وشربوا حتى رووا جميعاً.

ولما أراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يتكلم قال أبو لهب: سحركم صاحبكم، فتفرقوا وفشل المؤتمر.

وأعيد عقد المؤتمر في اليوم التالي، فقال لهم صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب،

(1) الشعراء: ٢١٤.

أدعوكم إلى كلمتين وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فلم يجب أحد منهم إلاّ عليّ عليه السلام، وقال: أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أجلس، وأعاد عليهم كلامه، فلم يجبه أحد إلا علي، وهكذا في الثانية، وفي الثالثة قال له: أنت أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: لقد جعل ابنك أميراً عليك.[١]

وكان التألق السياسي الثاني للإمام علي عليه السلام حينما بات في فراش النبي صلى الله عليه وآله لدى هجرته إلى المدينة، في الرواية التي يرويها الغزالي في إحياء علوم الدين كما يرويها علماؤنا:

«إنّ رسول الله أمر علياً بأن ينام في فراشه، ففعل ذلك، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل أنّي آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟

فاختار كلاهما الحياة.

فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ أخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عن رجليه، وجبرئيل ينادي: بخ بخ، من مثلك يا علي بن أبي طالب، باهى الله تبارك وتعالى بك الملائكة.

فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي عليه السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ﴾.[٢]

(1) انظر الأمالي للطوسي: ٥٨٣.

(2) المسترشد للطبري الشيعي: ص ٣٦١؛ مناقب آل أبي طالب: ١ / ٣٤٠.

تألق الإمام بطولياً:

أما تألق الإمام عليّ عليه السلام البطولي الأوّل فقد كان حينما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأتي بالفواطم من مكة إلى المدينة بعد أداء أماناته، وهن: (فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير) فخرج عليّ عليه السلام بهن وهو يرتجز:

وليس إلا الله فارفع ظنكا   يكفيك رب الناس ما أهمكا

فارسلت خلفه قريش ثمانية فوارس.

فأنزل النسوة واستقبلهم منتضياً سيفه.

فقالوا: أظننت يا غدار أنك ناج بالنسوة، إرجع لا أباً لك.

قال: فإن لم أفعل.

قالوا: لترجعن رغماً أو لنرجعن بأكثرك شعراً وأهون بك من هالك.

ودنوا من النسوة فحال بينهم وبينها، وقتل أحدهم وهو (مولى حرب بن أمية) وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد   آليت لا أعبد غير الواحد

فتفرق عنه القوم وانهزموا، وقالوا له: أغن عنا نفسك يا بن أبي طالب.

قال: إنّي منطلق إلى ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه وأريق دمه فليتعقبني أو فليدنُ مني.

ثم سار وظل ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلّون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه حتى قدموا المدينة وقد نزل الوحي فيهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[1]

---

(1) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٧١.

علي ينزل البئر:

التألق البطولي الثاني لعليّ عليه السلام كان في معركة بدر، وذلك حينما طلب رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة بدر من المسلمين أن يذهب أحدهم ويأتي بالماء من بئر عميق كان هناك، فقام عليّ عليه السلام فخرج، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة، فخرج بقربته، فلما كان عند البئر لم يجد دلواً فنزل بنفسه في البئر تلك الساعة فملأ قربته ثم خرج، وبينما هو في طريق العودة ومعه الماء وإذا بريح شديدة، فجلس حتى مضت، ثم قام يمشي فمرَّت به ريح أخرى عاتية، فجلس حتى مضت، ثم قام فمرَّت به عاصفة ثالثة فجلس حتى مضت، ثم نهض، فلما جاء وقد تأخر قال له النبي صلى الله عليه وآله: ما حبَسَك يا أبا الحسن؟

قال: لقيت ريحاً ثم ريحاً ثم ريحاً شديدة فاصابتني قشعريرة.

فقال: أتدري ما كان ذلك يا علي؟

قال: لا.

قال: ذاك جبرئيل في ألف من الملائكة وقد سلَّم عليك وسلّموا، ثم مرَّ ميكائيل في ألف من الملائكة فسلَّم عليك وسلَّموا، ثم مرَّ اسرافيل وألف من الملائكة فسلَّم عليك وسلَّموا.(١)

ليلة القدر:

ولنختم حديثنا عن ليلة القدر.

هذه الليلة هي من ليالي القدر، وفيها يتم رسم المقادير للإنسان من مرض وتوفيق وغنى وحج وخير... كما قالت تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

وقد ورد أنَّ من أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه وإنْ كانت عدد نجوم السماء.(٢)

---

(1) بحار الأنوار: ١٩ / ص ٣٠٦ / ح ٤٨.
(2) وسائل الشيعة: ٥ / ١٧٣ / ح ١٠.

شهادة الإمام عليّ عليه السلام:

كما أن هذه الليلة جرح الإمام عليّ عليه السلام، ولنذكر شيئاً من مصيبته.

كانت ليالي شهادة الإمام ليالي موحشة على أهل البيت عليهم السلام. جاؤوا بجسد الإمام عليّ عليه السلام، فأخذ الحسين عليه السلام يصب الماء والحسن عليه السلام يغسله، وكان يتقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، وتفوح منه رائحة أذكى من المسك والعنبر. ثم كفّنوه ووضعوه على السرير. فرفعت الملائكة مقدّمه والحسن والحسين مؤخّره، فما مرّوا على شجر ونخل إلاّ وانحنى له.

صلى عليه الحسن عليه السلام، وكان قبره محفوراً مكتوب عليها: هذا ما أعده جده نوح، وهتف الهاتف في السماء. اشتاق الحبيب إلى الحبيب.

* * *

المحاضرة التاسعة عشرة:

خطوات في بناء الشخصيّة

«اللَّهُــمَّ صَــلِّ عَلَــى مُحَمَّــدٍ وَآلِ مُحَمَّــدٍ وَاخْــتِمْ لِــي بِخَيْــرٍ وَاكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي مِنْ أَمْرِ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي وَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لا يَرْحَمُنِي وَاجْعَلْ عَلَيَّ مِنْكَ وَاقِيَةً بَاقِيَةً وَلا تَسْلُبْنِي صَالِحَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ».

خطوات بناء شخصية الإنسان:

ما هي الخطوات اللازمة في بناء شخصية الإنسان؟

كيف يبني الإسلام الإنسان الكامل المتكامل الصالح الناجح؟ هناك مواعظ قرآنية ونصائح إسلامية، وهناك تأريخ وعبر.

هناك ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: ذكر الله: وهو ما تذكره الآية الكريمة: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾.[1] **وهذا الطريق هو الذي نسمّيه طريق الذكر.**

الخطوة الثانية: مراقبة النفس ومحاسبتها كما جاء في الحديث الشريف: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا».[2]

الإنسان من أجل أن يتكامل يحتاج إلى ذكر الله تعالى من خلال التسبيح وقراءة القرآن والاستماع للمواعظ، هذا كله ذكر الله، هذه هي الخطوة الاولى، والخطوة الثانية هي أن يراقب الإنسان حركته، ولا يكفي أن يجهد في الذكر بدون مراقبة.

إنّ سائق السيارة مثلاً لكي يطوي الطريق يحتاج إلى أن ينظر أمامه، لكنه يحتاج بين مدة وأخرى أن ينظر خلفه وإلى سرعته والباقي من الوقود والمسافة الباقية حتى تتكامل عملية السير، السائق الصحيح ليس هو من يسير إلى الإمام فقط، فإنّ ذلك سهل ممكن وكل إنسان يعرف ذلك، وإنّما هو الذي يسير للأمام ويتقن المراقبة وعدم التعرض للخطر.

---

(١) الأحزاب: ٤١.

(٢) محاسبة النفس / ابن طاووس: ١٢٢، عنه بحار الأنوار: ٦٧ / ٧٣ / ح ٢٦.

في السير إلى الله تبارك وتعالى يحتاج الإنسان لكي يتكامل إلى ذكر الله، كما يحتاج إلى مواصلة المراقبة دائماً، أيّ خطأ قام به وأيّ حسنة قام بها، ما هي الأمراض التي يتعرض لها قلبه وبدنه، العرفاء يسمون ذلك خطوة المراقبة، وفيها يكون كل إنسان ذاكراً ومراقباً لنفسه وقلبه وسلوكه وأخلاقه، أيّ خطأ تورط به يجب تجنبه.

المعتزلة _ وهم فرقة إسلامية سياسية برزت أيام العصر العباسي _ ما كانوا يتحدثون عن بناء الفرد الاجتماعي، بل عن كيفية جلوس الإنسان وحده وتربية روحه، أي أنّه يحتاج إلى الصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر والمراقبة.

هؤلاء اقتصروا على الخطوة الأولى والخطوة الثانية.

الخطوة الثالثة: الحضور الاجتماعي:

لكن الإسلام في قراءته الصحيحة وبالطريقة التي أكّدها أهل البيت عليهم السلام يذكر خطوة ثالثة مهمة جداً وهي خطوة الحضور الاجتماعي، يعني إن كنت تقرأ القرآن يومياً وتصلي من الصباح إلى الليل وأنت جالس في البيت فإنّك لا تتكامل ولا تكون ذلك الإنسان المثالي الذي يريده الإسلام لأن الإسلام يقول مثلاً: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾(١) وأنت متى تكون من الكاظمين والعافين إذا كنت جالسا في البيت ولم تختلط مع من يؤذيك ويصرخ بوجهك؟

لاحظوا الإسلام وتأكيداته على التزاور: «تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم»(٢) هذه خطوة في التكامل وليست هي صلاة ولا قراءة قرآن ولا مراجعة نفسي، بل هي خطوة نسمّيها الحضور الاجتماعي.

بدون الحضور لا يتكامل الإنسان إطلاقاً، لأنه ما لم يصطدم بالمعاناة لا يتكامل.

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) الكافي / الكليني: ٢: ١٨٦ ح ٢.

يقول الطبيب للمريض عليك أن تتناول يومياً قدحاً من البرتقال والحليب وتأكل اللحم لنمو البدن الضعيف، لكن إلى جانب ذلك عليك أن تمشي ساعتين يومياً حتى يتحرك البدن، وبغير ذلك لا تمتلك قوة بدنية، ومعنى هذا أنه لابد من ممارسة ميدانية على أرض الواقع لكي يتعافى البدن.

هكذا روح الإنسان لا بدّ من ذكر ومراقبة وحضور ميداني مع المجتمع.

الإسلام يقول إستعمل المقويات وتحتاج إلى جانبها ممارسة وحضور اجتماعي لتتكامل من خلاله، إنه أوصانا مثلاً أن نشترك في تشييع الجنائز وهذا حضور اجتماعي، وأن نصلي صلاة الجماعة أيضاً، وهذا حضور اجتماعي.

بعضهم يقول انّ الصلاة فرادى تجعلني أتوجه إلى الله أكثر، لكن الإسلام يقول صلِّ جماعة فإنّه أزكى لك، ولهذا فهي تعدل ألف ركعة في مسجد النبي ﷺ، إذن هي خطوة سريعة جداً نحو التكامل أسرع من الصلاة فرادى، ولهذا جاءت التأكيدات: «لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد»[1] هذا لا يعني أنّ الصلاة في البيت باطلة، بل تعني عدم تحقق الخطوة التكاملية التي يريدها الاسلام، فلابد من مسجد وصلاة جماعة.

فضل الصلاة في المسجد:

الحديث الشريف يقول: «من مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة»[2] هذا هو المنهج التربوي في الاسلام: العمل الفردي مع الحضور الاجتماعي.

والحديث الآخر يقول: «يا أبا ذر ان الله يعطيك ما دمت جالساً في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة».[3]

(١) الوسائل / الحر العاملي: ٥ / ١٩٤، ح ٦٣١٠ / ١.
(٢) الأمالي / الصدوق: ٥١٧ / المجلس ٦٦ / ٧٠٧ / ١.
(٣) الحدائق الناضرة / المحقق البحراني: ج ٧ / ص ٢٦٦.

ولهذا كان الإمام الحسن عليه السلام يقول: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى، وترك الذنوب حياء أو خشية».(١)

أنتم تحضرون المجلس الحسيني الليلي هذا، فمن الممكن أن تحصلوا على أغلب هذه الثمانية.

إنّ منهج الحضور الاجتماعي يؤكده الاسلام، لكن هناك كتابات نشأت من العزلة التي فُرضت علينا، أصبحت تؤكد على الذكر والمراقبة والمشاركة والتفكر وهكذا، ولكن لم تذكر الجانب الآخر وهو الحضور الاجتماعي بحيث دونه لا يمكن التكامل أصلاً.

ولهذا كان الإمام السجاد عليه السلام يمارس الذكر والمراقبة من ناحية، ويوزع الصدقات على المساكين ليلاً من ناحية ثانية، وهذا حضور اجتماعي، يمكن أن تطرق الباب على مسكين فإنّ ذلك قد يحول قلبك بما يعادل عشر سنين من الدراسة والذكر الفردي نتيجة هذا التفاعل والحضور الاجتماعي.

قصة الثلاثة في الكهف:

هناك رواية يرويها الصدوق في كتابه الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قصة الثلاثة الذين دخلوا كهفاً ليلاً، ولما استيقظوا صباحاً وجدوا صخرة كبيرة قد سدت باب الكهف، وهذا معناه الموت الحقيقي حيث لا هاتف ولا مكبر صوت، قالوا فيما بينهم لا نملك إلاّ الدعاء فلندعُ ونتوسّل إلى الله تعالى بأفضل ما لدينا.

قال الأوّل: إلهي أنا أعترف بأني انسان سيء لكن عندي عمل صالح واحد أذكره، فإذا قبلته مني فخلّصنا من هذا المأزق لأجله، وهو أن والدي قال لي منتصف إحدى الليالي: هاتِ قدحاً من الماء فذهبت لجلب الماء

(١) تحف العقول / ابن شعبة: ٢٣٥.

مسافة ورجعت ووجدته نائماً بعد أن تأخرت عليه، فبقيت أمسك قدح الماء وأنتظر حتى يستيقظ، يا إلهي إذا كنت تحب هذا العمل ففرّج عنا، تقول الرواية: إنّ الصخرة تحركت بحيث دخل نور الشمس إلى الداخل، كان عملاً اجتماعياً وبراً للوالدين وصلة للرحم قد قبله الله سبحانه.

قال الثاني: إلهي أنا أعترف بأني عبد سيء وكلي أخطاء وذنوب ومعاصٍ لكن عندي عمل صالح واحد إذا قبلته مني ففرّج عنّا لأجله، اشتغل عندي عامل بناء وانتهى وقت العمل وأعطيته ديناراً أجرة، فردّه علي وقال هذا قليل وترك الأجرة، فاخذت الدينار إشتريت بالدينار رأس غنم وتركته يسرح مع غنمي وبعد مضي سنوات أصبح ذلك الرأس قطيعاً يتوالد ببركة ذلك الدينار، وفي يوم من الأيام جاء رجل كبير السن منحني الظهر وقال: يا فلان، أعطني فأنا محتاج، نظرت إليه واذا به صاحبي البنّاء وقد أوقعه الدهر، أخذته خارج البيت وقلت له أنظر قطيع الغنم هذا فإنّه لك، تعجب وقال: أنا أريد نصف دينار، قلت له هذا كله لك وهو حلالك وذكّرته بالقصة وكيف ردّ الدينار عليّ ولم يأخذه.

هذا حضور إجتماعي وعلاقات وليس تسبيح وصلاة وصوم، أيها المؤمنون يا طلبة العلوم الدينية: يجب أن نخرج من عزلتنا عن المجتمع ،فهي لا تربّي أنفسنا حتى لو بقينا ندرس مائة سنة، أئمتنا لم يعتزلوا العمل وكانوا مع المجتمع إلى جانب الصلاة والصوم والذكر والقرآن.

الحسن عليه السلام في الطواف:

عن ابن عباس قال: كنت مع الحسن بن علي عليهما السلام في المسجد الحرام وهو معتكف وهو يطوف حول الكعبة، فعرض له رجل من شيعته، فقال: إنّ عليّ ديناً لفلان، فإن رأيت ان تقضيه عليّ... قال ابن عباس: فقطع عليه السلام الطواف وسعى معه، فقلت: يا بن رسول الله أنسيت أنّك معتكف؟ فقال: لا،

ولكن سمعت أبي عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره قائماً ليله.(١)

نعود إلى قصة الثلاثة في الكهف، فبَعد أن عرض الشخص الثاني عمله مع هذا الرجل الفقير قال يا إلهي إذا كان هذا العمل مقبولا ففرّج عنا، تقول الرواية انفرجت الصخرة قليلاً أيضاً لكن لا يمكن الخروج بعد.

قال الثالث: إلهي أنا أعترف أنّني بئس العبد وأعمالي سيئة، لكن لدي عمل إذا قبلته مني ففرّجْ عنا: كنت في أحد الايام جالساً في محلي وجاءت امرأة محتاجة محرومة مستضعفة ولا يوجد من يتولى أمرها، مدتْ يدها إليّ، نظرت إليها فحضرني الشيطان وقلت لها: تعالي معي إلى البيت ودعوتها إلى الحرام فرجعت، وجاءت مرة أخرى فقالت: يا هذا أولادي في البيت يتضوورون من الجوع هل لك أن تتصدق عليّ؟ قلت لها: إنّ شرطي هو أن تأتي معي إلى البيت، رجعت هذه المرأة العفيفة المتديّنة وجاءت للمرة الثالثة، قالت: يا هذا قبلت بشرطك، فأخذتها للبيت، اقتربت منها واذا بها تبكي، قلت لها: لماذا تبكين؟ قالت: الله يرانا ماذا نفعل، لماذا لا أبكي؟ إنّ عملنا هذا معصية، أخذني الخشوع وقلت في نفسي إنّ هذه تبكي من خشية الله وأنا الرجل الذي امتلك قدرة وعافية ومالاً ورزقاً لا أخاف من الله؟ انسحبت منها ولم أرتكب المعصية، ثم رجعت إلى المحل وأعطيتها ما تريد، يا إلهي إذا كان هذا العمل مقبولا وهو الورع عن محارم الله ففرّجْ عنا، تقول الرواية: فانفرجتْ عنهم الصخرة بحيث خرجوا منها جميعاً.(٢)

إذن في عملية بناء وتكامل الإنسان نحتاج إلى ذكر، مراقبة، والصلاة تجمعهما.

---

(١) بحار الأنوار / المجلسي: ٩٤ / ١٢٩ ح ٥.

(٢) راجع نص الرواية بلفظ ومضمون آخر في كتاب الخصال / الصدوق: ١٨٤ / ح ٢٥٥.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾،[1] لكن هذا لا يكفي أيها المؤمنون، فإلى جانب هذه الخطوة تاتي خطوة الحضور الاجتماعي.

نصيحة للشباب:

أوصيكم بها وهذه تجربتنا تقول: لا يمكن أن نتكامل إذا لم نهتم بشؤون المجتمع، أنتم كذلك، لابد لكم من الحضور في المساجد والمحافل الدينية والسياسية، لابد من تسجيل موقف أيها الشباب، قد انتهى عهد القمع، يجب أن ترسموا مستقبل العراق، وكل واحد منكم يجب أن يكون لديه الحضور، ويسأل نفسه ما هو دوري في المدرسة والمنزل والمسيرة وصلاة الجمعة، ولا يمكن أن تكونوا متفرجين وتنتظروا من الآخرين أن يعملوا، كل واحد يجب أن يكون له دور، ثم لاحظوا أنفسكم هل لديكم مثل هذه الممارسة أم لا؟

قصة العجوز في طهران:

أيام المظاهرات الأولى لإسقاط الشاه حيث كان الإمام الخميني قدس سره لا يزال في النجف ويوجه الناس، وبدأ الشارع الإيراني يغلي وتخرج المظاهرات المليونية في طهران الكبرى، كانت امرأة عجوز تجلس عند كابينة الهاتف العمومي تضع أمامها مجموعة من السكك النقديّة التي يفتح بها خط الهاتف، ولما سُئلت: ما تفعلين هنا؟ أجابت: إنّ المسيرة تطول لساعات ربما حتى المساء فيقلق أهل هؤلاء المتظاهرين عليهم ويرغبون في الاتصال الهاتفي ولكنهم لا يملكون السكّة النقديّة التي تفتح الخط، فقررت أن أذهب إلى البنك وأجلب هذه النقود لأسهّل لهم عملية الاتصال، هذه هي مشاركتي في هذه المسيرة السياسية لاسقاط الشاه امبراطور الشرق حيث لا أستطيع ان أمشي لأني عجوز.

---

(١) العنكبوت: ٤٥.

أيها الشباب: عليكم أن تفكروا هل عندكم مثل هذه الروح؟

أقول: نعم هي موجودة الآن وبعدها ستكون أكثر إن شاء الله.

نحن دخلنا عهداً جديداً، فحتى المرأة العجوز يجب أن تشارك، لا نريد أن يجلس شخص في البيت، فالمشاركة والحضور أمر مطلوب، خاصة الرجل الشاب والذي لديه قدرة، لا يمكن أن تعقد المجالس وهو غائب عنها، أو عن صلاة الجمعة، أو مسيرة القدس، ومسيرة البراءة من البعث، ليس للغياب عن الساحة أيّ تفسير مقبول، فصدام ذهب، وجاء اليوم دوركم.

تضحية أمير المؤمنين عليه السلام ومقامه لدى رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حمّل أمير المؤمنين عليه السلام مسؤولية المبيت على الفراش وشرحت لكم قصتها، وكلّفه أن يرجع الودائع والأمانات ويأتي بالفاطميات، فاطمة الزهراء وفاطمة بنت أسد أم الإمام علي عليه السلام وفاطمة بنت حزام.

وفي قُبا ـ قبل المدينة المنوّرة ـ كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قرر أن يبقى هناك في انتظار علي عليه السلام.

أبوبكر الذي كان بصحبة النبي صلى الله عليه وآله ترك النبي ودخل المدينة.

في اليوم الثاني قال لرسول الله إنّ أهل المدينة مشتاقون إلى رؤيتك ـ وهذه الرواية متفق عليها يمكن مراجعتها في كتب التاريخ ـ فلماذا أنت جالس هنا؟

قال: لا أبرح مقامي هذا حتى يأتي علي بن ابي طالب عليه السلام.

قال أبو بكر: يا رسول الله ربما يبطيء علي، قال: لا، سرعان ما يأتي، أنت اذهب وأنا باقٍ، فكان أبوبكر في المدينة ورسول الله خارج المدينة خمسة عشر يوماً بانتظار علي عليه السلام فقط.

قدّروا إنّ الرسول صلى الله عليه وآله الذي هو قائد أمة كاملة والمدينة المنورة تنتظره، ولكنه لا يدخل إلاّ وعلي معه.

جاء علي عليه السلام واستقبله الرسول صلى الله عليه وآله ورأى قدميه قد تورمتا من المشي ليلاً، بكى رسول الله صلى الله عليه وآله لما أصاب علياً من التعب والعناء، وبعدها بيوم أو يومين دخل المدينة، يقول الإمام السجاد عليه السلام وكان هذا أول حسد بين أبي بكر والإمام عليّ عليه السلام.

وهذه حقائق تاريخية يرويها ابن هشام أيضاً وهو مؤرخ اسلامي من أبناء العامة.

ثم قال أهل قبا: يا رسول الله إبنِ لنا هنا مسجداً، فبنى الرسول صلى الله عليه وآله مسجداً، وكان المسلمون الأطياب الصالحون أمثال علي وعمار يبنون بالمسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي شعاراً وكان للإمام عليّ عليه السلام شعار، كان يقول:

لا يستوي من يعمل المساجدا ... يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يُرى عن الغبار حائدا

والمقصود بالذي كان يبتعد عن الغبار هو عثمان، وأخذ عمار يردد هذا الشعار، فمرَّ عليه عثمان فقال له: يا عمار، يا بن سمية، كأني أرى عصاي تطال أنفك، هذا هو العنف، هذه هي ثقافة العصا والسوط، بلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ هؤلاء يهددون عماراً، قال: ما لهم ولعمار؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إنّ عمار جلدة بين عيني وأنفي.[1]

هذا أيضاً حضور إجتماعي، لاحظوا طرق تربية النفس، ليس من خلال العزلة وإنّما من خلال الحضور، يجب أن تستوحشوا إذا لم يكن لكم حضور في صلاة أو محاضرة خلال ثلاثة أيام، وفكروا هل سلب الله البركة منكم؟

---

(١) أنظر الكافي / الكليني: ٨ / ٣٣٧ ح ٥٣٦ وراجع نحو هذا أو بعضه في سيرة ابن هشام: ٣ / ٢٢ - ٢٦، وتاريخ الطبري: ٢ / ١٠٧، والبداية والنهاية لابن كثير: ٣ / ٢٤٢، ومناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب: ١ / ١٥٩.

غلق الأبواب إلاّ باب عليّ:

تقول الرواية أنّ الرسول ﷺ لما دخل إلى المدينة المنورة وبنى مسجداً بنى حوله دوراً لأصحابه، وكان لكل دار باب يفتح على المسجد، دار لأبي بكر ولعمر ولعلي والآخرين ومنهم حمزة عم النبي، ثم أمر الله تبارك وتعالى نبيه أن يوصد كل الأبواب إلاّ بابه وباب علي عليه السلام،[(١)] وهذا ما نقرؤه في دعاء الندبة: «وسدَّ الأبواب إلاّ بابه، ثم أودعه علمه وحكمته، فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها... وقال أنت وصيّي ووارثي، لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وسلمك سلمي، وحربك حربي، والايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأنت غداً على الحوض خليفتي... وشيعتك على منابر من نور، مبيضة وجوههم حولي في الجنة وهم جيراني...».[(٢)] هذا هو علي عليه السلام، وهؤلاء هم شيعته وأحباؤه.

ميزان السلوك الصحيح:

جاء في من وصية الإمام عليّ عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ إن تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ إن يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ إن يُقَالَ لَكَ».[(٣)]

كان حديثنا بالأمس عن طرق كمال النفس وتكاملها، ومنهج الإسلام في بناء الفرد الصالح وذكر الله والمراقبة.

---

(١) البحار / المجلسي: ٣٩ / ١٩ (باب ٧٢: أن النبي ﷺ أمر بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا بابه صلوات الله عليه)، سنن الترمذي: ٥ / ٣٠٥، ح ٣٨١٥.

(٢) إقبال الأعمال / ابن طاووس: ١ / ٥٠٤.

(٣) نهج البلاغة: ٣ / ٣٧ / ٣١.

مراقبة الإمام السجاد عليه السلام:

وفي هذا المجال قدم الإمام السجاد عليه السلام أروع مراقبة للنفس يقول فيها: «ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالت قدمي»،(١) ويقول: «اللهم إنّي كلما قلت قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك ألقيت عليّ نعاساً إذا أنا صليت».(٢)

إنّه دعاء ومراقبة ومدرسة ومناجاة وعشق وسفر إلى الله، ويقول عليه السلام: «لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحّيتني... أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني...».

خطر الابتعاد عن مجالس العلماء:

أحد أسباب الخذلان الإلهي للعبد هو أن لا يلقاه في مجالس العلماء، بل يلقاه فقط في مجالس اللهو واللعب، فيقول عليه السلام: «أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني... أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خلّيتني».

عند الله قانون ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(٣) وعندنا بالعكس، حيث ننفي كل الحسنات مع أصغر مشكلة، ثم يقول الإمام السجاد عليه السلام: «أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني... أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني».

العياذ بالله من أن يعرض الله بوجهه عن عبد من العباد، أتعلمون ماذا يصيبنا إذا أدار الله بوجهه عنا وقال: لا أريدكم ولا أريد أن أراكم وأسمع صوتكم؟

ثم يقول عليه السلام: «فإن عفوت يا رب فطالما عفوت عن المذنبين قبلي» على الأقل أنا مسلم ومن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحب لأهل البيت عليهم السلام.

يجب أن يراقب كل منا نفسه بين وقت وآخر ويسأل ماذا فعلت؟

---

(١) مصباح المتهجد / الطوسي: ٥٨٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هود: ١١٤.

ومع ذلك كله يقول الإمام السجاد عليه السلام حينما يُسئل عن المقارنة بينه وبين الإمام علي عليه السلام: أين عبادتي من عبادة جدي أمير المؤمنين؟[(١)]

من أنت يا علي؟ ما أعظم بطولاتك، لا توصف في العبادة وفي الزهد وفي السياسة، إسمعوا علياً كيف يراقب نفسه حيث يقول: «إلهي قلبي محجوب، ونفسي معيوب، وعقلي مغلوب، وهوائي غالب، وطاعتي قليل ومعصيتي كثير، ولساني مقر بالذنوب، فكيف حيلتي يا ستار العيوب، ويا غفار الذنوب».[(٢)]

كل واحد من الأئمة يقدم لنا مشهداً رائعاً في المراقبة ومراجعة النفس ومحاسبتها.

مراقبة الإمام الحسين عليه السلام:

يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعائه: «إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟... إلهي من كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي؟ ومن كانت حقائقه دعاوي، فكيف لا تكون دعاويه دعاوي،...عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً».[(٣)]

أعطى الإمام عليّ عليه السلام ميزاناً للسلوك الصحيح بقوله: «أيْ بني إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك» إنّه مقياس عجيب يعجز عنه الحكماء والفلاسفة، إنّك لا تحتاج إلى كتاب إذا طبّقت هذه الحكمة «فأحب له ما تحب لنفسك» هل ترضى بأن يمسّك أحد بسوء الكلام؟ إذن لماذا تسيء

---

(١) قيل لعلي بن الحسين عليه السلام: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتي من عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال في حديث آخر: «من يطيق عبادته». أنظر: شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١ / ٢٧، ينابيع المودة / القندوزي: ١ / ٤٤٦.

(٢) بحار الأنوار / المجلسي: ٨٤ / ٣٣٩ / ح ١٩، من دعاء كان يدعو به أمير المؤمنين عليه السلام بعد ركعتي الفجر.

(٣) من دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة. أنظر البحار / المجلسي: ٩٥ / ٢١٥، ح ٣.

الكـلام لغيـرك؟ «ولا تقـل فـي غيـرك مـا لا تحـب أن يقـال فيـك» انّـه مقيـاس للمراقبـة ودرس لا ينتهـي حتـى يصـل الإنسـان إلـى الكمـال، كلمـا تقـدم خطـوة فإن الدرس لا يزال موجوداً.

عليّ عليه السلام في معركة الأحزاب:

هنـا أقـص علـيكم قصـة علـي عليه السلام فـي معركـة الأحـزاب، ونبقـى مـع محـور مراقبة النفس.

قـال تعـالى: ﴿وَلَمَّـا رَأَ الْمُؤْمِنُـونَ الأُحْـزابَ قـالُوا هـذا مـا وَعَـدَنَا اللَّـهُ وَرَسُـولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.(٢)

يقـول المؤرخـون: لمّـا اجتمـع الأحـزاب لحـرب رسـول الله صلى الله عليه وآله فـي معركـة الأحـزاب (الخنـدق) بلـغ عـدد قـريش ومعهـا أبنـاء الباديـة عشـرة آلاف مقاتـل، وكـان جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، إنّه ملتقى جميل ننتظره، واستشار رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه في الموقف أمام قريش، فأشار سلمان بحفر الخندق حول المدينة لكي لا يستطيع العدو عبوره، فكان على كل عشرة أن يحفروا عشرين ذراعا وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحفر معهم، وقد صادف المسلمون صخرة استعصت عليهم حتى تكسَّرت فؤوسهم، فاقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله واخبـروه بـأمر الصـخرة، فجاء رسـول الله صلى الله عليه وآله فضـربها وظهـر منهـا نـور فـي السماء، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبّر المسلمون، وضربها ثانية فانفلقت وخرج منها نور إلى عنان السماء، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبّر المسلمون، وضربها ثالثة فتحطمت وظهر

(١) الأحزاب: ٢٢.
(٢) الأحزاب: ٢٣.

منها نور كذلك فكبّر المسلمون، وتعجب المسلمون وسألوا رسول الله ﷺ، فبشرهم بانّها تعني فتح العالم كله، أي فتح جبهة الروم وفارس واليمن.

تترّس المسلمون وحاصرتهم قريش عشرين يوماً، وقالت عن الخندق إنّ هذه خطة لا نعرفها وقد فوجئوا بها وبقيت قريش منتظرة، والمسلمون حيارى لا يدرون ما يعملون، ولكن علي بن ابي طالب وشيعته كانوا يعلمون ما يفعلون.

أرسلت قريش عمرو بن عبد ود وكان شجاعاً يعادل ألف فارس ويدعى «فارس يليل» فبحث عن مكان ضيق في الخندق فعبره مع فرسه ودخل في وسط المسلمين، واصفرت الوجوه، وأخذ ينادي: هل من مبارز؟ وكان القتال يومئذ على صورة مبارزة بين اثنين، لم يبرز إليه أحد، وأخذ يقول لقد بححت من النداء بجمعكم، هل من مبارز؟

قام عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعاناً» وقال: يا رسول الله أنا له، قال ﷺ: أجلس يا علي فهذا عمرو بن عبد ود، فأخذ ينادي مرة ثانية، وقام له عليّ عليه السلام، وقال له ﷺ أجلس، وفي الثالثة عمّمه رسول الله ﷺ بعمامته السحاب _ كما يقول ابن هشام _ ولفّ على رأسه تسع أكوار، ثم دعا: اللهم احفظه عن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ومن أمامه ومن خلفه، وقال: إذهب سالماً يا علي.

جاء علي راجلاً وسيفه بيده، وكان عمرو مسلحاً مدرعاً، فسأله من أنت؟ قال: علي، قال: ألم يخف عليك ابن عمك؟ أختطفك برمحي هذا، وأجعلك شائلاً لا إلى السماء ولا إلى الأرض.

قال له عليه السلام: إذا قتلتك فأنت إلى النار وأنا إلى الجنة، وإذا قتلتني فأنا إلى الجنة وأنت إلى النار.

قال له عمرو: هذه قسمة ضيزى، يا علي ارجع وليرسل غيرك، قال له علي عليه السلام: دع هذا الكلام، أنا جئت لك وأنت لا ترجع سالماً، وهنا يكون

دور النصيحة واجباً، ويأتي دور البطولة إضافة إلى الحرب النفسية، فقال له علي عليه السلام: سمعت عنك أنّك تقول: ما عرض عليّ شخص ثلاثة أمور إلاّ وقبلت واحدة منها، وتزعم أنّك شجاع وكريم، قال عمرو: قل.

فقال عليه السلام الأولى أن تقول «أشهد أنّ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله».

قال عمرو: هذه ليس لك إليها سبيل، هات الثانية.

قال عليه السلام: ارجع أنت وجماعتك، قال عمرو: إذن ماذا تقول النساء؟ جبن عمرو بن عبدود، هذه ليس لك إليها سبيل أيضاً.

قل الثالثة:

قال عليّ عليه السلام أنا راجل وأنت راكب، إنزل عن فرسك حتى نلتقي سويا على الأرض، فانهار عمرو وغضب ونزل وقال: ما ظننت أحداً من العرب ينازلني بمثلها، وما كنت أظن أنّ أحداً من العرب يجرأ ويقول لي ذلك، ققفز إلى الأرض وضرب وجه الفرس ورجليه واستقبل الإمام عليه السلام بضربة على رأسه فثبت سيفه فيه، فضربه علي عليه السلام ضربة بتراء قطع بها قدميه، فوقع على الأرض وحدثت غُبرة، فقال المنافقون قُتِلَ عليّ عليه السلام قد استرحنا منه.

ولما انجلت الغبرة رأوا ذلك الفارس مطروحاً على الأرض والإمام علي عليه السلام قائم، ولما أراد أن يحتز رأسه قال له عمرو: جلست مجلساً عظيماً وبصق في وجهه، فتركه عليه السلام وأخذ يتمشى حتى يهدأ.

كان المنافقون ينظرون وشيعة علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله فرحين والملائكة فرحة بضربة علي عليه السلام التي كانت باجماع المسلمين كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ضربة علي يوم الخندق خير من عبادة الثقلين».[1]

وبعد فترة احتزّ رأسه وجاء به إلى الخائفين الجالسين متبختراً، وهذه بطولة لا مثيل لها، فقال عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ صاحبك يتبختر.

---

(١) الطرائف/ ابن طاووس: ص ٥١٩.

فقال ﷺ: «إنّها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام»[١] لابد أن يتبختر أمام الأعداء.

وروي عنه ﷺ أنه قال: لو وزنت أعمال الثقلين ووضعت في كفة ووضعت ضربة علي يوم الخندق في كفة لرجحت كفة علي عليه السلام.

وقال ﷺ لما برز عليّ عليه السلام ذلك اليوم: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله».[٢]

هذه هدية لكم يا شيعة أمير المؤمنين، هذا إمامكم، ما قيمة الدنيا وملكها، إنّ محبة علي عليه السلام تكفينا ولا نريد غيرها.

وسئل عليّ عليه السلام: أنت جلست على صدر عمرو لكي تقطع رأسه لكنك أخذت تمشي ثم رجعت فقطعت رأسه، لماذا؟ قال: لأنّي عندما جلست على صدره بصق في وجهي وغضبت، فما أحببت أن أقتله غضباً لنفسي، بل ثأراً لله.[٣] هذه هي مراقبة النفس والتربية الإسلامية الصحيحة، وهذه هي المعاني العظيمة.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) كنز الفوائد / الكراجكي: ص ١٣٧.

(2) بحار الأنوار: ج ٢٠ / ص ٢١٥ / ح ٢.

(٣) أنظر ما روي في علي عليه السلام وما كان من شأنه في غزوة الخندق: شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني: ج ٢ / ١٠ / ح ٦٣٤، البحار / المجلسي: ٢٠ / ٢١٥ / ح ٢، وشرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٩ / ٦١.

المحاضرة العشرون:

التضرع إلى الله تعالى

«اللَّهُـــمَّ احْرُسْـــنِي بِحَرَاسَـــتِكَ، وَاحْفَظْنِـــي بِحِفْظِـــكَ، وَاكْلَأْنِي بِكِلاءَتِكَ، وَارْزُقْنِي حِجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ... اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيَّ حَتَّى لا أَعْصِيَكَ، وَأَلْهِمْنِي الْخَيْرَ وَالْعَمَلَ بِهِ وَخَشْيَتَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَا أَبْقَيْتَنِي يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ».

فضيلة ليلة القدر:

ليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان هي ليلة خاصة، والحديث فيها يأخذ منحى آخر، لأننا في هذه الليلة نشهد ونعيش مناسبة شهادة الإمام علي عليه السلام، وهي ليلة يحتمل أن تكون هي ليلة القدر.

كما تعرفون إنّ ليلة القدر هي ليلة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1] **وليست ثلاث ليال، ولكن الله تبارك وتعالى أخفى علمها فصارت مرددة بين الليلة ١٩ والليلة ٢١ والليلة ٢٣، وعلينا أن نطلب هذه الليلة في أحد المحتملات، ولهذا نؤدي الأعمال المطلوب أداؤها في ليلة القدر في هذه الليالي، خاصة الليلة الثالثة والعشرين.**

فضل هذه الليلة فوق أن نحصيه، فهي الليلة التي تقدر فيها المقادير للعباد[2] ولهذا سميت ليلة القدر، يعني إنّ الله تبارك وتعالى يكتب لهذا العبد إنّه معافى، غني، مريض، فقير، حاج، ونحن ننتظر في هذه الليلة أن يسجل الله تبارك وتعالى لنا عطاياه الجميلة ومواهبه السنية. هذه الليلة تعدل ألف شهر، أي أنّ العمل في هذه الليلة خير من عمل ألف شهر،[3] إذن نحن في ليلة عظيمة، ليلة دعاء وتضرع وتوسل.

---

(١) القدر: ١.

(٢) «عن سعيد بن يسار قال: كنت عند المعلى بن خنيس إذ جاء رسول أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له: سله عن ليلة القدر، فلما رجع قلت: سألته؟ قال: نعم، فأخبرني بما أردت وبما لم أرد، قال: إن الله يقضي فيها مقادير تلك السنة...» بصائر الدرجات/ الصفار: ٢٤١/ ح٧.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام يوصي ولده إذا دخل شهر رمضان: «فاجهدوا أنفسكم فإن فيه تقسم الأرزاق... وفيه ليلة القدر، العمل فيها خير من العمل في ألف شهر». الكافي/ الكليني: ٤/ ٦٦، ح٢.

في هذه الليلة أقف عند هذه الفقرة من دعاء الإمام السجاد عليه السلام:

«فوعزتك يا سيدي لو نهرتني ما برحت من بابك، ولا كففت عن تملقك، لما انتهى إليّ من المعرفة بجودك وكرمك».

إلهي أنا أعرف أنّك الجواد الكريم، إذن سأبقى متمسكاً متعلقاً ببابك، ولا أتركها حتى تفتحها لي وأدخلها «ما برحت عن بابك» باب الذكر والدعاء والتوسل والطلب والتضرع.

«اللهم اجعلني أصول بك عند الضرورة، وأسألك عند الحاجة، وأتضرع إليك عند المسكنة»[1] هذا دعاء هو فوق أن نصفه من حيث الشأن والجلالة. إنّه يجمع حالات الإنسان ويتضمن في جميعها التعلق بالله، «اللهم اجعلني أصول بك» يعني أحمل وأهجم بالله تبارك وتعالى عند الضرورة، «وأسألك عند الحاجة» «وأتضرع اليك عند المسكنة» وهذا المعنى وهو التضرع أكثر من مجرد سؤال، فالتضرع يعني السؤال بخضوع وتذلل وخشوع وتوسل، فعندما أكون مسكيناً ومظلوماً أقف متضرعاً، فأنا في الحرب أصول بك، وعند الحاجة أدعوك، وعندما أكون مسكيناً أتضرع اليك، هذه هي لغة الأئمة عليهم السلام في الدعاء.

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثيراً و سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصيلاً﴾[2] أي في الصباح الباكر، وحينما تغرب الشمس ﴿هُوَ الَّذي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ هُوَ الَّذي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَكانَ بِالْمُؤْمِنينَ رَحيماً﴾[3] الله يصلي عليكم يا عباد ويا مؤمنين ويا مؤمنات، هذا الخطاب للمؤمنين. وذكر الله ليس ذكر اللسان فقط، الأصل هو ذكر القلب وإلاّ كم من ذاكر وليس له من ذكره إلاّ لقلقة اللسان، المهم ذكر القلب الذي يتعلق بالله تبارك وتعالى.

---

(١) الصحيفة السجادية: ١٠/ ٢٠.
(٢) الأحزاب: ٤١ - ٤٣.
(٣) نفس المصدر.

عيسى عليه السلام والقصير:

كان عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يمشي على الماء بقوله يا الله، وسأله أحد أصحابه وكان قصير القامة: ماذا تقول؟ قال: أقول يا الله وأمشي على الماء، فقال: يا عيسى خذني معك، أخذ عيسى بيده وبدأ هذا القصير يقول يا الله ويمشي على الماء، وذات لحظة غطسَ في الماء فجأة فأنقذه عيسى عليه السلام، قال له: ماذا صنعت يا قصير؟ قال: قلت في نفسي ما الفرق بيني وبين عيسى، إنّه يقول يا الله وأنا كذلك، فغططت في الماء، قال عليه السلام: أصابك العجب وابتعدت عن الإتباع.(١)

العجب بالنفس وترك الطاعة:

إثنان إذا أصابا الإنسان فإنّه يغرق: ١ ـ العجب بالنفس ٢ ـ وترك الإتّباع لمن يجب عليه اتّباعه وهم الأنبياء والأئمة وأولياء الأمور، وهذه مسألة دينية ذات بعد سياسي مهم جداً.

إنّ مشكلتنا كانت وما تزال عند الكثيرين هي أن أحدهم يرى نفسه أنّه هو الذي يشخّص الموقف بدون اتّباع الإمام، إذا أردنا النجاة اليوم يجب أن نعرف أنّ النجاة تكون عندما نركب السفينة، أمّا الشخص غير المستعد لركوب السفينة فإنه يغرق مهما كان.

يوم كنا في المهجر والعراقيون يتلظون بنار الطاغية صدام كانت مشكلتنا عند الكثير ـ ولا أدعي أنها كانت مشكلة عامة ـ هي أنه عندما تقول لأحدهم: إتّبع فلاناً أو ارتبط بفلان يستنكف ويخجل ويقول: إنّ ذلك غير ممكن، إنّي لست من جماعة فلان ولا فلان، وأنا أشخّص التكليف، هذه الطريقة لا تنجي الأمة، لابد أن نشخّص موقفنا إننا مع من؟ أما أن يجتهد كل واحد في مواقفه فإنّنا سوف لن نصل إلى نتيجة

---

(١) انظر نص الرواية في الكافي / الكليني: ٢ / ٣٠٦ / ح ٣.

أصلاً، فلو كنا آلافاً فإنّنا لا نعدل واحداً في المعركة، لكن إذا اجتمع منا عشرة وقلنا هذا طريقنا فإنّنا سننجح.

وكانت هذه هي مشكلة أصحاب الإمام علي عليه السلام في معاركه مع معاوية، يقول لهم احملوا في الصيف، فيقولون إنّه الصيف، ويقول احملوا في الشتاء، فيقولون إنّه الشتاء، قال: أفسدتم عليّ رأيي، لا أدري ماذا أصنع بكم، وبأي دواء اداويكم؟[1]

إنّ حالة القصير مع عيسى عليه السلام نموذج لنا، فالأمة التي تترك الاتّباع لموقف الإمام والولي والولاية تغرق، لابد أن نفكر أنّنا مع من، وممن نأخذ التكليف؟

الملائكة يبنون:

عن إمامنا الصادق عليه السلام: لما عرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء ودخل الجنة رأى ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ولكنهم يبنون وأحياناً يتوقفون، سأل: لمن هذا البناء؟ قالوا: للمؤمنين.

سأل: ما لي أراكم تتوقفون؟ قالوا: حتى تأتينا النفقة؟ المؤمن الذي نبني له حينما يرسل لنا نفقة نستطيع البناء.

سأل صلى الله عليه وآله: وما هي النفقة؟

قالوا: هي قول المؤمن: «سبحان الله والحمد لله ولا إله الاّ الله والله أكبر»[2] هذه الليلة يستحب فيها الإكثار من الذكر والاستغفار والتسبيح.

---

(١) في خطبة له عليه السلام قال: «فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمارة القيظ... وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر، كل هذا فراراً من الحرّ والقر... قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً... وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان...» راجع نهج البلاغة: ١ / ٦٧، ح ٢٧.

(٢) أنظر نص الرواية في الأمالي / الطوسي: ٤٧٤ / ح ١٠٣٥ / ٤.

وهـذه الليلـة تخـتص بإمامنـا أميـر المـؤمنين أيضـاً، وأحـب أن أنقـل إلـيكم قصة تشدّنا أكثر بأهل البيت عليهم السلام:

قصة السيد الحميري:

كان السيد الحميري شاعر أهل البيت عليهم السلام، وما ترك فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام إلاّ ونظمها شعراً، ومع ذلك كانت عليه إشكالات وملاحظات كبقية عباد الله.

لمـا دنـت منـه الوفـاة اجتمـع جيرانـه وأقربـاؤه، وبعضـهم لـم يكـن مـن الشـيعة بـل كـان عثمـاني المـذهب ومـن المخـالفين للامـام علـي عليه السلام، هنـا ظهـرت نقطـة سـوداء فـي وجـه السـيد الحميـري وكبـرت حتـى غطـت كـل وجهـه، فشـمت بـه العثمانيون وقالوا هؤلاء هم شيعة أهل البيت عليهم السلام تسودّ وجوههم عند الموت.

التفت السيد الحميري بوجهه إلى جهة أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا علي ما هكذا يُصنع بشيعتك، وأنت تنظر إليّ وأنا من مواليك وفي ساعة الشدة.

تقـول الروايـة: ظهـرت فـي وجهـه، نقطـة بيضـاء وأخـذت تكبـر حتـى عمَّـت وجهه، فعاد مبيَّض الوجه ثم أفاق وأنشد على الفور:

كـذب الزاعمـون أنّ عليـاً	لـن ينَّجي محبَّه مـن هنـاتِ
قـد وربـي دخلـت جنـة	وعفـا الإلـه عـن سـيئاتي [1]

الإمـام علـي عليه السلام قسـيم الجنـة والنـار بإتفـاق المـذاهب والمسـلمين جميعـاً.[2] ويؤيـدها حتـى أحمـد بـن حنبـل (إمـام المـذهب الحنبلـي)، حينمـا سـئل عـن ذلـك حـاول التفسـير بالشـكل الـذي يقنـع الآخـرين، فقـال: لمـا كـان علـي مـع

(١) مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب: ٣ / ٢٣.

(٢) حـديث أن عليـاً عليه السلام «قسـيم الجنـة والنـار» رواه الخاصـة والعامـة، راجـع الأمـالي المفيـد: ٢١٣ / المجلسـي ٢٤ م ح ٤، المناقـب / ابـن شـهر آشـوب: ٣ / ٢٨، وشـرح نهـج البلاغـة / ابن أبي الحديد: ٩ / ١٦٥ والبداية والنهاية / ابن كثير: ٧ / ٣٩٢.

الحق والحق مع علي كما روينا، إذن من كان يحب عليا فمصيره إلى الجنة، ومن لم يكن فهو إذن على باطل وإلى النار.[(١)]

قصة آية الله الشيخ مشكور وجاره:

أنقل لكم قصة أخرى حتى يكون الجو مشبعاً بحب أمير المؤمنين عليه السلام، تتعلق القصة بالمرحوم آية الله الشيخ حسين مشكور قدس سره إمام الجماعة في الصحن الحيدري الشريف قبل أكثر من ٣٠ سنة.

كان للشيخ جار فاسد لا يصلي ولا يصوم باستثناء شهر رمضان وعشرة محرم الحرام، أصيب هذا الجار بمرض حتى نزل به الموت، وكان المفروض أن يزوره الشيخ ولكنه لم يزره لأنّ هذا الجار معروف بفساده في المحلة ولا يستحق الزيارة، ولما مات قال لولده الشيخ نوري مشكور: إنّ جارنا مات وأتوقع أن يأتي أهله وجيرانه غداً ويطلبوا مني الصلاة عليه وهذا أمر يصعب عليّ اجابته، فكيف أقول في صلاة الميت عليه اللهم إنّا لا نعلم منه إلاّ خيراً؟ وأنا أعرف أنّه لا صلاة له ولا صوم ولا عبادة، فإذا جاؤوا قل لهم إنّ صحة والدي لا تسمح له، وكانت صحته لا تساعده فعلا، وهكذا جاء الجيران واعتذر منهم.

اعتاد أهل النجف الاشرف أن يفرشوا الحصر بباب دار الميت ويجلس الجيران وتنطلق الجنازة من الباب، يقول ابن الشيخ مشكور: جئت صباحاً فرأيت والدي جالسا أمام الجنازة! وشارك في تشييعها حتى أوصلوها إلى صحن أمير المؤمنين عليه السلام، ثم صلى على الجنازة... الله اكبر... وقال اللهم إنّا لا نعلم منه إلاّ خيرا وأنت أعلم به منّا، اللهم إنّه قد نزل بك وأنت خير منزول به، وجلس في الصحن وأدخلوا الجنازة إلى الحضرة وزوّروها زيارة أمين الله ووالدي ينتظر كما لو كان من أقرباء الميت، وبقي حتى تم الدفن وانصرف المشيعون، فسألته: رأيت منك أمراً عجباً، اتفاقنا هو أن لا

---

(١) راجع كتاب مناقب أمير المؤمنين / ابن سليمان الكوفي: ٥٣٠، والغدير / الأميني: ٣ / ٢٩٩.

تصلي عليه لأنّه انسان غير صالح، فلماذا انقلب الوضع هذا اليوم؟ وأكثر من ذلك بقيت معه حتى النهاية فما القضية؟

قال: اعلم يا ولدي بعد أن اتفقنا رأيت في المنام رؤيا عجيبة، كأنه جاء الملائكة بالميت جيراننا يجرّونه جراً ويسحلونه وأوقفوه أمام منبر أمير المؤمنين عليه السلام في الصحن الشريف وأخذ يعاتبه: لماذا فعلت هكذا؟ أنتم شيعتنا وأنا أنتظر منكم أن تبيضوا وجهي أمام رسول الله صلى الله عليه وآله، لماذا لم تصلِّ ولم تصم؟ فماذا أقول لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ وأنت من شيعتي وتحب علياً والحسن والحسين عليهما السلام لكن أعمالك غير جيدة؟ وكان الرجل يبكي والدموع تسيل على خده ولا يمتلك جواباً، ثم أمر عليه السلام الملائكة قائلا: خذوه واسحبوه وهو يستغيث. أخرجوه من باب سوق الكبير، وعندما دخلوا به سوق الريحة (العطور) أقسم عليهم قائلاً أقسم عليكم بحق ولاية أمير المؤمنين أرجعوني إلى عليّ عليه السلام لديَّ سؤال، فقال الملائكة فيما بينهم إنّه أقسم علينا قسماً عظيماً فأرجعوه إلى علي، وكان عليّ عليه السلام ما يزال على المنبر.

فقال: يا علي عليه السلام اسألك سؤالاً، أجبني عليه وبعدها فليحصل ما تشاء.

قال له عليه السلام: سلْ.

قال: إذا ذهبت إلى جهنم سأرى هناك أعداءك الذين غصبوا حقك وظلموك، وجمعوا الحطب على باب دارك وكسروا ضلع الزهراء عليها السلام، فيسألوني يا فلان أنت لا تصلي ولكنك تلعننا، هل اعتدينا عليك؟ هل ظلمناك؟ هل قتلناك؟ يا علي، سأجيبهم وأقول: لم تؤذوني ولكن ألعنكم لأجل علي والزهراء اللذين أذيتموهما، فلو سألوني أين صاحبك علي وأنت الآن معنا في النار، فماذا أجيبهم؟ يا علي: علّمني ماذا أقول لأعدائك وأنا الآن اذهب إلى جهنم؟ فتبسَّم الإمام علي عليه السلام لهذا الحوار الجميل وقال لهم: أتركوه واذهبوا به وادفنوه في المكان الفلاني _ وحدّد لهم صخرة معينة في الصحن لكي يُدفن تحتها، وكان الناس يومئذ يدفنون موتاهم في الصحن الشريف.

ثم قال الشيخ حسين مشكور: لما أصبح الصباح واشتركت في التشييع ذهبت متعمداً وجلست على الصخرة التي رأيته في المنام قد دفن تحتها، وقد رأيت يا ابني أن الدفّان جاء إلى صخرة أولى ففتحها ثم أغلقها، وجاء إلى صخرة ثانية فتحها ثم أغلقها، ثم جاء إلى الصخرة التي أنا جالس عليها وقال لي شيخنا من رخصتك نرفع الصخرة وندفن الميت، وبالفعل فقد فتحها ودفن الميت تحتها، فعرفت أن رؤياي صحيحة.

على أية حال، حديثنا هذا الليلة خاص يختلف عن حديث سائر الليالي في شرح دعاء أبي حمزة الثمالي، على اعتبار أنها ليلة تتعلق بالإمام عليّ عليه السلام.

فضيلة سورة الواقعة:

كان عبد الله بن مسعود من خيار صحابة رسول الله وخازناً لبيت المال أيام الخليفة عثمان بن عفان، اختلف معه في مسألة بيت المال واعتزل وأصبح جليس الدار، ولما مرض زاره عثمان.

وقال له: هل لك حاجة؟

قال: حاجتي إلى رحمة الله.

قال: هل أدعو لك بطبيب؟

قال: الطبيب أمرضني ولا ينفعني.

قال: هل أعطيك هدية.

قال: منعتنيها حين كنت محتاجاً اليها.

قال: هي لأولادك.

قال: اعددت لأولادي شيئاً آخر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من قرأ سورة الواقعة في كل يوم لم يصبه فقر أبداً»، وقد علّمتها أولادي فلست بحاجة لعطيّتك أبداً.[1]

---

(١) انظر مجمع البيان / الطبرسي: ٩ / ٣٥٤، البداية والنهاية / ابن كثير: ٧ / ١٨٣.

اقرؤوا يا مؤمنين ويا مؤمنات سورة الواقعة، إحفظوها وحفّظوها أولادكم وبناتكم.

دعاء السجدة الأخيرة:

ندعو في السجدة الأخيرة من الصلاة: «يا خير المسؤولين ويا خير المعطين أرزقني وارزق عيالي من فضلك».(١)

كنت أفكر وأتساءل كيف أنّ الله خير المسؤولين وخير المعطين؟ وهنا وجدت مجموعة خصوصيات:

١ _ إنّك حينما تسأل أحداً قد تشعر في سؤالك ذلاً، لكن الله عندما تسأله لا يوجد أي ذل.

٢ _ والله وحده الذي يمكن أن تسأله في كل الأوقات والأحوال في الليل والنهار وفي السفر والحضر، والبيت والشارع، وأنت نائم وماشٍ وقائم وجالس، وفي كل الأحوال فإنّ الله معك وتستطيع مسألته، بينما أيّ واحد آخر تريد سؤاله، فإنه لا بد من وقت خاص ومكان خاص وحالة خاصة، وبدون ذلك فإنه إمّا غير موجود وإمّا مشغول وإمّا لا تسمح له ظروفه، وأمّا لا تُعطى إجازة بلقائه وزيارته.

٣ _ ثم إنّ قدرات الآخرين محدودة خاصة، تذهب للطبيب تسأله الدواء، وتذهب للعالم تسأله مسألة شرعية، وتذهب للمحامي تسأله أن يدافع عن قضيتك، وهكذا كل واحد له اختصاصه، أمّا الله سبحانه وتعالى فهو وحده الذي تسأله عن كل شيء وكل ما تريد من رزق وعافية وزواج وسفر وحج وتوفيق في دراسة ونجاح، فهو بكل شيء محيط وعلى كل شيء قدير.

٤ _ كل مسؤول من العباد حينما تكثر عليه في السؤال يملّ منك إلى أن يطردك، إلاّ الله تعالى.

(١) يستحب أن يقال في سجود الفرض، لطلب الرزق. مصباح المتهجد / الطوسي: ١٩٩ / ح ٢٨٦ / ٢٤.

كـل مسـؤول تلـح عليـه مهمـا كـان عزيـزاً فإنّـه يغلـق البـاب أمامـك أخيـراً، والله تبارك وتعالى وحده كلما تزداد سؤالاً يزداد لك محبة.

٥ _ وأكثـر مـن هـذا فـإن أيّ مسـؤول تطلـب منـه حاجـة قـد يفـرح إذا لـم تطلـب منـه ويقـول تخلصـت منـه، لكـن الله سـبحانه وتعـالى لا يرتضـي علـى عبـده إذا لـم يسـأله، يقـول: يـا عبـدي لمـاذا لا تسـألني؟ قـال تعـالى: ﴿وَسْـئَلُوا اللـهَ مِـنْ فَضْـلِه﴾[1] ولهـذا تقـول الروايـة: «مـن أحـدث ولـم يتوضـأ فقـد جفـاني، ومـن توضـأ ولـم يصـلّ فقـد جفـاني، ومـن صـلّى ثـم لـم يسـألني بعـد الصـلاة فقـد جفـاني، ومـن دعاني بعد الصلاة وما أجبته فقد جفوته، ولست بربٍ جافٍ».[2]

هـذه هـي مجموعـة خصوصـيات تجعلنـا نفهـم كيـف أن الله خيـر المعطـين وخير المسؤولين.

مصيبة أمير المؤمنين عليه السلام:

نقرأ الليلة شيئاً يسيراً من مقتل الإمام عليّ عليه السلام:

رُوي أنّ أميـر المـؤمنين عليه السلام سـأل رسـول الله صلى الله عليه وآله فـي شـهر رمضـان، فقـال: يـا رسـول الله، مـا أفضـل الأعمـال فـي هـذا الشـهر؟ فقـال: يـا أبـا الحسـن، أفضـل الأعمـال الـورع عـن محـارم الله، ثـم بكـى، فقـال علـي عليه السلام: مـا يبكيـك يـا رسول الله؟ قال: لِما يستحل منك.[3]

كيـف كـان مشـهد أميـر المـؤمنين وهـو فـي الـدار، قـد اجتمـع عنـده أهلـه وعـلا صـوت البكـاء؟ إنّهـا سـاعات التوديـع بـين أميـر المـؤمنين وأولاده وشـيعته، هـذا المشـهد يـذكّرني بمشـهد آخـر يـوم عـاد الحسـين عليه السلام ليـودع زينـب

(١) النساء: ٣٢.

(٢) إرشاد القلوب / الديلمي: ٧٣، عنه البحار: ٧٧ / ٣٠٨ / ح ١٨.

(٣) أمالي الصدوق: ١٥٥ / المجلس ٢٠ / ح ١٤٩ / ٤.

وأخوات زينت عليها السلام، إجتمعن عنده، هذه تقول: إلى أين يا حمانا؟ وأخرى تقول: إلى أين يا رجانا؟ وتلك تقول: إلى أين يا بقية السلف يا نعم الخلف؟ وإذا بسكينة تقول: أبه أجلسني في حجرك، وامسح على رأسي كما يفعل باليتامى، وهو يقول:

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قُتلت فأنتِ أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الحادية والعشرون:

الآثار الدنيويّة والأخروية للذنوب

«مَـا لِـي كُلَّمَـا قُلْـتُ قَـدْ صَـلَحَتْ سَـرِيرَتِي وَقَـرُبَ مِـنْ مَجَالِسِ التَّوَّابِينَ مَجْلِسِي عَرَضَتْ لِي بَلِيَّةٌ أَزَالَتْ قَدَمِي».

المنع من الطاعة:

نعرف من المقطع السابق في الدعاء أن بعض الذنوب تمنع الإنسان عن مواصلة الطاعة، فقد يطيع الإنسان يوماً ويومين وثلاثة وفجأة يرى نفسه قد سُلِب الطاعة، ولا يدري لماذا؟

هذا الدعاء يفهمنا أن هناك ذنوباً إذا ارتكبها الإنسان تجعله يستحق ان يُسلب الطاعة كما جاء ذلك في سلب التوفيق لصلاة الليل نتيجة بعض الذنوب، هذه عقوبة ربما ليست أخرويّة ولكن دنيوية وتعني أنك لا تستحق أن تقف بين يدي الله تعالى.

في أكثر من أربعة عشر صفحة من دعاء أبي حمزة الثمالي يحلق الإمام السجاد عليه السلام في معان عظيمة ويطلب قضايا من الله تعالى قد لا تخطر في بالناس أبداً كقوله عليه السلام: «مولاي بذكرك عاش قلبي» هذه قلوبنا حية بذكر الله، وإذا لم نذكر الله تموت قلوبنا «وبمناجاتك بردَّتُ أَلَم الخوفِ عني» الإنسان خائف وبالمناجاة يبرد القلب.

قصة في السجن:

في مثل هذه الليالي من شهر رمضان سنة ١٩٧٩م وقبل حوالي خمس وعشرين سنة كنا في سجن الأمن العامة ببغداد، ودخل علينا شهر رمضان ونحن في غرف انفرادية، وأمامنا موقف للسجناء يحتشد فيه ٣٠٠ _ ٤٠٠ شخصاً وفيه اصدقاؤنا من الشباب المؤمن، ولحسن التوفيق كنت أشرف عليهم من خلال نافذة صغيرة وأدعوهم بعد الافطار أن يمروا عليّ قرب بوابة السجن العام الذي يحتشدون فيه لأنني وحدي وهم مجموعون في قاعة كبيرة، وأؤشر لهم بالصبر والثبات والمزيد من المعنويات

لكي يطمئنوا بذكر الله تعالى، وأقرأ لهم مقاطع من دعاء الافتتاح وأنا في غرفتي وهم في قاعتهم الكبيرة بصوت عال وهم يسمعون وفيهم حشد من مختلف السجناء، لكن الدعاء له طعم خاص للمؤمن وغير المؤمن، وحتى السجانين يبدو أنهم لم يفضلوا منعي من الدعاء، ربما لبعض الأسباب المجهولة عندي، وربما كان يروق لهم ان يسمعوا المعاني العجيبة التي لم يستمعوا لها سابقاً، ولهذا كانوا يعجبون لكلمات أئمتنا عليهم السلام من خلال الأدعية. كنت أقرأ هذه المقاطع _ وبصوت مرتفع يسمعه السجناء كما يسمعه السجانون _ من دعاء الافتتاح المعروف.

«اللهم إني اسألك قليلاً من كثير، مع حاجة بي إليه عظيمة، وغناك عنه قديم وهو عندي كثير وهو عليك سهل يسير اللهم إن عفوك عن ذنبي وتجاوزك عن خطيئتي...»[1] دروس عظيمة باسم الدعاء، ولهذا كان الجميع يقفون بخشوع ويسمعون الدعاء.

إن الذنوب هي التي تمنع الإنسان عن مواصلة الطاعة كالحبل ينقطع فجأة ويغرق الإنسان في ماء البحر حيث لا قارب نجاة.

هناك فقرة في دعاء أبي حمزة الثمالي أذكرها دائماً وهي «إلهي أدم لي ما به سترتني، واغفر لي ما خفي على الآدميين من عملي» يعني إلهي أدِم لي ذلك العمل الذي به سترتني وببركته سترت عليَّ، وأنا لا أعرف هل هو حضوري في صلاة الجمعة أو مجالس العلماء أو هو دعاء الوالدين أو هو الصدقة أو صلة الرحم لا أدري، «إلهي واغفر لي ما خفي على الآدميين من عملي» اغفر ما لا أعرفه ولا يعرفه الناس من ذنوبنا.

سوف نعرف أن الذنوب لها آثار دنيوية وأُخروية هي عبارة عن العذاب والعقاب.

حينما نقرأ في دعاء كميل: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم.

---

(١) مصباح المتهجد / الطوسي: ٥٧٨.

اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم.

اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم.

اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء.

اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء».[1]

هذه خمس آثار ذكرها الإمام للذنوب: ١ _ هتك العِصَم. ٢ _ نزول النِقم. ٣ _ تغيير النِعَم. ٤ _ حبس الدعاء. ٥ _ نزول البلاء.

ودعاء أبي حمزة الثمالي يرسم لنا أثراً آخر للذنوب حيث يقول:

«فرّق بيني وبين ذنبي المانع لي من لزوم طاعتك» فالذنب كالفايروسات كل واحد منها له أثر من الآثار وهذا ما يقوله الأطباء.

من آثار الذنوب أنها تمنعك من مواصلة الطاعة، وتغلق عليك الطريق، وتكون هناك حواجز أنت لا تراها بعينك ولكن ترى أثرها العملي.

قصة و شاهد:

كنا في المدينة المنورة احدى السنين لأداء مناسك العُمرة، وحضرنا مجلس فاتحة لامرأة عجوز توفيت هناك، نقل الشيخ الخطيب لنا قصتين عجيبتين، أذكرها لكم حتى ترون الحقائق.

القصة الأولى: أن مجلس الفاتحة تلك الليلة كان لإمرأة عجوز. ولهذه المرأة العجوز قصة عجيبة، كان تلفزيون وراديو طهران قد أعلن عن مؤسسة الحج والزيارة أننا حصلنا على حصة اضافية من السعودية هي عبارة عن خمسة آلاف نفر اضافي للعمرة والزيارة، فعلى كل من يرغب في أداء العمرة أن يسجل اسمه ولا يحتاج الأمر إلى انتظار عدة سنوات كما هو المألوف في ايران لكثرة الراغبين والمقترعين على الحج، ودعت المؤسسة لمن يرغب العمرة أن يجلب معه ٣٠٠ تومان (دينار) ومقصودهم ٣٠٠ ألف تومان.

---

(١) مصباح المتهجد / الطوسي: ٨٤٤ / ٩١٠ / ٢٥.

جاءت هذه العجوز إلى دائرة الجوازات وقدمت ٣٠٠ تومان، قال لها الموظف: يا حاجّة المطلوب ٣٠٠ ألف تومان، وليس ٣٠٠ تومان. قالت أنتم قلتم في التلفزيون ٣٠٠ تومان، فضحك وقال لها نحن قلنا ذلك ومقصودنا ٣٠٠ ألف تومان، لكن رقّ قلبهم للعجوز، فقال أحد شباب البنك: عليّ ٢٠٠ ألف تومان لأن هذه العجوز جاءت بنيّة العمرة راكضة لزيارة قبر النبي ﷺ، و قال الآخر أنا أدفع ١٠٠ ألف، فرتبوا وضعها وأصبح لديها ٣٠٠ ألف تومان، وهكذا سجلوا إسمها وذهبت إلى مكة والمدينة، وشاء الله أن ترزق هذه المرأة العمرة وزيارة النبي ﷺ، ثم تموت في المدينة المنورة، ثم تدفن في البقيع ونحن جلسنا لها مجلس الفاتحة.

هذه عجوز كان في عزمها ونيتها زيارة النبي ﷺ بمثل هذه البساطة، وشاء الله أن يرزقها على نيتها لما عرف اخلاصها، ثم تموت وتدفن في المدينة حيث لدينا روايات أن من دفن فيها عند الموسم تمحى عنه كل ذنوبه. وهناك روايات في فضل من يدفن في المدينة أو مكة إذا مات هناك.(١)

القصة الثانية: وهي محل الشاهد، قال هذا المتحدث نفسه في مجلس الفاتحة لهذه العجوز: أخبرني جماعة أن فلان شخص الأصفهاني له ثمانية أيام في المدينة لم يزر النبي ﷺ، رغم أنه لا شغل للزائر سوى زيارة النبي.

سألته ما هي قصتك؟

قال: يا سيدنا كلما أذهب للزيارة تُغلق الباب أمامي أو يزدحم المكان بحيث لا أستطيع الوصول ولا أعرف ما السبب، ولا أجد نفسي أوفق لذلك.

يقول السيد المتحدث: استغربت من ذلك وسألت جماعته عن وضعه،

---

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من مات في المدينة بعثه الله في الآمنين يوم القيامة» الكافي / الكليني: ٤ / ٥٥٨ ح ٣، وعنه عليه السلام: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو جائياً أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة» الكافي / الكليني: ٤ / ٢٦٣ ح ٤٥.

لأن هذا سلب توفيق واضح، فقالوا: إنه تاجر في إصفهان، ولكنه يعمل بالربا وأمواله حرام، لذلك لا توفيق له للزيارة رغم أنه وصل إلى المدينة المنوّرة، هذا أحد آثار الذنوب.

ضيق الرزق وسوء الخُلُق:

ومن آثار الذنوب هو ما نقرؤه في الأدعية الرجبية:

«واغفر لي الذنب الذي يحبس عني الخُلُق ويضيق عليَّ الرزق»[1] وهما اثنان من آثار الذنوب يكتشفها الأئمة ، أنا وأنت لا نعرفها، هذا يحتاج إلى طبيب ماهر جداً عنده أجهزة عجيبة تكتشف آثار الذنوب، أحدها: سوء الأخلاق.

وثانيها: «ويضيّق عليّ الرزق» فبعض الذنوب يمنع الرزق الذي يأتي إليك.

الذنوب على قسمين:

كما تعرفون يا إخوتي وأخواتي أن الذنوب على قسمين:

١ ـ ذنوب بدنية.

٢ ـ ذنوب قلبية.

فالكذب ذنب بدني لأنه من فعل اللسان، والنظر إلى إمرأة بريبة ومعصية هو ذنب بدني أيضاً لأنه من فعل العين، والسرقة كذلك، وكل هذه ذنوب بدنيّة، لكن توجد ذنوب قلبية كالرياء في الصلاة مثلاً، وكذلك الحسد، والشرك، والحقد على المؤمنين، والمحبة للبعثيين المجرمين.

المحبة للبعثيين ذنب قلبي وليس تصرفاً سياسياً فقط.

فالقرآن يقول: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[2] هؤلاء الذين حاربوا الدين والإسلام ثلاثين عاماً حتى حاربوا زيارة

(١) إقبال الأعمال / ابن طاووس: ٣ / ٣١٦.

(٢) المجادلة: ٢٢.

الحسين عليه السلام، وكلهم اشتركوا في منع زيارة الحسين عليه السلام، من ذلك الذي يكتب دراسات وبحوث في كيفية محاربة شعائر الحسين عليه السلام، إلى رجل الأمن الذي يكتب التقارير على الزائرين، إلى عضو الفرقة والشعبة الذين يقطعون الطريق على الزوار ويعتقلوهم ويعذبوهم.

أنا لا أتحدث عن أشخاص انتسبوا إلى حزب البعث إسماً وربما قُهروا قهراً بدون رضا القلب، فالإنسان قد يكفر أحيانا لكن قلبه مطمئن بالإيمان، بشرط أن لا يكون قد صدر منهم أذىً لمسلم، أنا لا أتحدث عن هؤلاء إنما أتحدث عن ذلك البعثي الموالي بقلبه وفكره لحزب البعث وجرائمه، إن حب ذاك البعثي الحقيقي والحنان عليه هو أمر محرّم، فالمؤمن لا يمكن أن يجتمع في قلبه حب للإيمان وحب لأعداء الإيمان، وهذا الذنب من الذنوب القلبية.

مشكلتنا أن ثقافتنا الدينية قليلة خصوصاً في مواقف نصرة الدين وبناء المجتمع الاسلامي، نتصور أن الدين فقط هو الصلاة والصوم وحسن الأخلاق، والعطف على الجميع حتى لو كانوا أعداء الله، ثقافتنا الدينية يجب أن تكون ثقافة علوية وحيدرية.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[١] اتركوا ظاهر الإثم وباطنه، هذه الذنوب بكلا قسميها لها آثار ذكرنا ثمانية منها.

من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام:

أقرأ لكم سطورا من وصية الإمام عليّ عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام، حتى تنظروا كلام الإمام علي كيف يدخل القلب ويغيره نحو الاستقامة:

«أي بُنَي: أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهد، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلّله بذكر الموت، وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره

(١) الأنعام: ٢٠.

صولة الدهر، وفُحش تقلب الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبله... وناد في ديارهم، أيتها الديار الخالية أين أهلك؟ ثم قف على قبورهم فقل: أيتها الأجساد البالية والأعضاء المتفرقة كيف وجدتم الدار التي أنتم بها».(١)

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يزور القبور ويتحدث مع الأموات..

قصة حبّة العرني:

يقول حبة العرني وكان من أصحابه عليه السلام: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر _ ظهر الكوفة _ فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتى أعييت، ثم جلست حتى مَللت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولا، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: يا حبَّة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لكذلك؟ قال: نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون...(٢)

بر الوالدين وإن ماتا:

هذه قصة جميلة أنقلها لكم:

اتفق صديقان على أن أي واحد منهما يموت قبل الآخر يبقى الثاني يدعو له، ويقرأ له القرآن، ويصلي له بشرط أن يأتيه في المنام ويحكي له ما حدث، حقيقةً هذه معاهدة لطيفة وجميلة.

مات أحدهما، فبدأ الثاني يقرأ القرآن الكريم له ويصلي ويصوم

(١) تحف العقول / ابن شعبة: ٦٩.

(٢) الكافي: ج ٣ / ص ٢٤٣ / باب في أرواح المؤمنين / ح ١.

وينتظر رؤيته في المنام، فرآه ذات يوم حزيناً مستوحشاً في زاوية حديقة جميلة فيها أناس ضاحكون مستأنسون، سأله: ماذا دهاك يا أبو فلان في هذا المكان الجميل والناس يسرحون ويمرحون وأنت متألم في زاوية؟

فقال: هؤلاء الذين تراهم حولي تصلهم هدايا من أهلهم وذويهم، هذا له من يرسل له سورة ياسين يومياً، وذاك أخوه أهدى له حج بيت الله الحرام، وذاك ارسلوا له ختمة قرآن، أمّا أنا لي ابن ولكن لا يرسل لي شيئاً، وأنا أخجل أن أجلس معهم وهم يستقبلون الهدايا بدوني. ولهذا أنا مكتئب أُفضِّل الاعتزال عنهم.

يقول صاحب هذه الرؤيا: استيقظت من النوم وركضت إلى بيت ابن صديقي، لم أجده في البيت لذهابه إلى شط الكوفة ليسبح.. فتوجهت إلى الشط ورأيته يسبح، فناديته وأبلغته عتب والده عليه في المنام وسألته عن السبب في عدم ذكره حتى بسورة الفاتحة، فهزَّ بيده قائلاً: ماذا خلَّف لي أبي حتى أذكره؟!

عجيب هذا الجفاء، فجلس هذا الصديق ينصح الإبن ويذكِّره بحق الوالد ودعاه إلى ان يذكره لأنه متأذٍ حزين، فلما سمع ذلك أخذ الابن حفنه من رمل الساحل ورماه في النهر وقال ساخراً هذه هدية لوالدي!!

رجع الصديق متألماً كثيراً لتصرفات الابن.

وفي المنام رآى صديقه مرة ثانية في ذاك البستان الجميل نفسه مستأنساً مع الآخرين.

فسأله: يا أبو فلان أنا رأيت ابنك وعتبت عليه ولكنه لم يقبل الموعظة وانزعجت منه كثيراً، فقال له: لماذا تنزعج من ابني، بلّغه سلامي وقل له إن أباك يشكرك، فحفنة الماء والرمل التي أهداها لي كان فيها سمكة صغيرة تكاد تموت فاحيا السمكة من حيث لا يدري عندما رمى الرمل والماء في النهر، والى الآن يصلني ثواب إحياء تلك السمكة من ابني الذي أرسلها لي، فأشكره على هذه الصدقة التي أرسلها.

قصة النصراني مع عمر:

جاء رجل نصراني إلى عمر بن الخطاب وقال: يا خليفة رسول الله، عندي مسألة إذا اجبتني عليها سوف أدخل الإسلام، وإلاّ فلا.

فقال له: سل.

قال: مسألتي فيها ثلاثة فروع:

أسألك عن شيء لا يعلمه الله، وعن شيء ليس لله، وعن شيء ليس عند الله.

قال عمر: يا كافر، كيف يكون شيء لا يعرفه الله، وليس لله، وليس عند الله؟

في هذه الأثناء جاء أبو الحسن عليه السلام فرأى عمر متألما مكسوراً في المجلس لم يستطع الاجابة على سؤال النصراني.

فقال: ما الخبر؟ فاخبره باسئلة النصراني.

فقال علي عليه السلام: شيء لا يعلمه الله هو أن الله لا يعلم له شريك.

وشيء ليس لله هو أنه لم يكن له كفواً احد.

وشيء ليس عند الله هو الزوجة والولد.

سمع النصراني هذا الجواب فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وهنا قال عمر: يا أبا الحسن منكم أخذنا العلم وإليكم يعود، لولا علي لهلك عمر.(١)

أمير المؤمنين عليه السلام حامي الحمى والجوار:

هذه ليلة الختام وأمير المؤمنين عليه السلام يستحق علينا ذكراً كثيراً، وبإذن الله تعالى ستبقى النجف في أمان وتوزع الأمان على كل العراقيين إن شاء الله ببركة حامي الحمى وحامي الجوار، ولهذا يقول الشاعر في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وأنا أيضاً أقرأه عندما أخرج من حضرة أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) راجع نص الرواية في البحار / المجلسي: ٤٠ / ٢٨٦.

وفـي ايـران كنـت أصـعد علـى السـطح فـي منزلنـا بـين ليلـة وأخـرى وازور الإمام الرضا عليه السلام من بعيد بهذه الأبيات:

عـن حمـاكم كيـف أنصـرفُ   وهـواكم لـي بـه شـرفُ
سـيدي لا بقيـت يـومَ أُرى   علـى سـوى بـابكم أقـف[١]

رسول الله يحتمي بعليّ عليه السلام:

نحـن فـي حمـى أميـر المـؤمنين عليه السلام، وأزيـدكم يـا شـباب أن رسـول الله صلى الله عليه وآله كـان فـي حمـى أميـر المـؤمنين عليه السلام أيضـاً فـي الحـروب بإجمـاع المـؤرخين والـرواة كمعركـة بـدر، وأحـد، والأحـزاب، وخيبـر، حيـث كـان رسـول الله صلى الله عليه وآله إذا أشتد الوطيس كما حدث في معركة أحد يقول: يا علي أدركني.[٢]

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.[٣]

فـي بـدر صـاح المسـلمون الغـوث يـا رب العـالمين انصـرنا، كـان عـددهم ٣١٣ وعـدد المشـركين ٩٠٠ _ ١٠٠٠ يعنـي ثلاثـة أضـعاف المسـلمين، المسـلمون عنـدهم فرسـان فقـط، والمشـركون عنـدهم أكثـر مـن ذلـك بكثيـر، فـي قـانون الحـروب مـن غيـر الممكـن أن يواجـه المشـاة المدفعيـة، ولكـنهم برعايـة الله وملائكته وشجاعة علي حققوا الانتصارات على المشركين.[٤]

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) هذه الأبيات موجودة في كتاب منازل الأخرة للشيخ عباس القمي: ٢٨٣.

(٢) راجع معركة أحد وكذلك حنين...

(٣) الأنفال: ٩.

(٤) أنظر حديث بدر في البحار / المجلسي: ١٩: ٢٠٢ و٢٤٤ – ٢٦٤.

المحاضرة الثانية والعشرون:

قيمة الإنسان في القرآن

«سَيّدِي أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتَهُ، وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتَهُ، وَأَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتَهُ، وَأَنَا الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتَهُ».

حديثنا هذه الليلة عن هذا المقطع من الدعاء، حيث يقول الإمام السجاد عليه السلام:

«أنا الصغير الذي ربيّته، أنا الجاهل الذي علّمته، أنا الفقير الذي أغنيته، أنا الذليل الذي أعززته، أنا الخائف الذي آمنته، أنا الغريب الذي آويته، أنا الوضيع الذي رفعته، أنا المذنب الذي سترته، أنا الخاطئ الذي أقلته».

هذه هي قيمة الإنسان أمام الله سبحانه، إنّه الإنسان الضعيف الفقير، الجاهل، الذليل، المذنب، الخاطئ، الغريب، الجائع، العطشان، المسكين وهذا الأمر يرجعنا إلى موقع الإنسان في نظرية القرآن الكريم.

يقول القرآن تارة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1] **قياساً إلى الحيوانات، حيث كرّمه الله بالعلم والأنبياء والرسل، ولكن الإنسان لا شيء قياساً إلى الله تعالى.**

هناك نقاط ضعف كثيرة يسجلها القرآن على الإنسان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسان لَيَطْغَى * إِن رَآهُ اسْتَغْنَى﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.[3]

وقال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ **يتبختر ويقول مستهزءاً** ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ **ولكن** ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ **ولكن دون جدوى** ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ﴾.[4]

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) العلق: ٦ و٧.

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) القيامة: ٥ - ١١.

القرآن الكريم يؤنّب الإنسان أحياناً ويقول: ﴿قُتِلَ الإنسان ما أَكْفَرَهُ﴾.(١) وهذه الجملة تعني في تعبيرنا «ليته يموت» كم هو كافر ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(٢) ومع ذلك فإنّ الإنسان عنود كافر، إنّه لا يملك لنفسه أمام الله سبحانه موتاً ولا حياةً ولا نفعاً ولا ضرّاً ولا طول عمر ولا عافية، ولا يملك شيئاً أصلاً. إنّنا نمشي وليست العافية بأيدينا، ولا حركة القلب ولا التنفس ولا الأعصاب ولا الجهاز اللمفاوي ولا حركة الرئتين، ولهذا يؤكد القرآن الكريم دعوتنا للنظر والتأمل في هذه الحقيقة قائلاً: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ﴾.(٣)

مراقبة القلب:

والملاحظ أنّ القرآن يؤكد على القلب، وليس المقصود منه الجهاز الذي ينبض بالدم، فالعالم اليوم يشهد زراعة القلب وسائر الأعضاء، حتى أن قلب الخنزير زرع في الإنسان كما قرأت في بعض المصادر الخبرية. المقصود بالقلب طبعاً شيء آخر عبارة عن ضمير الإنسان ووجدانه واحساسه الإنساني.

كما ينمو الجسم من خلال الطعام فإنّ العقل يتطور أيضاً من خلال الدراسة والنظر والتفكر والتأمل، ولكن القلب شيء آخر فهو بحاجة إلى تربية روحية وتزكية وتطهير، والقلب هو مركز القرار وليس الجسم والعقل، فالشيء الذي تحبه تتابعه وما تكرهه لا تتابعه، العقل يقول هذا صالح وهذا غير صالح، هذا جيد وهذا غير جيد، هذا خطر وهذا أمان، والقلب هو الذي يخاف أو لا يخاف، وهو الشجاع أو غير شجاع، يحب الدنيا أو لا يحب، نزعاته شيطانية أو إلهية القلب هو مصدر القرار النهائي للإنسان.

---

(١) عبس: ١٧.

(٢) عبس: ١٨.

(٣) الطارق: ٥.

كان عقل عمر ابن سعد يقول شيئاً وقلبه يقول شيئاً آخر، يقول عقله إنّ الحسين ابن عمي فكيف أقتله، وقلبه يقول:

يقولون أنّ الله خالق جنة ونار وتعذيب وغلّ يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنّني أتوب إلى الرحمن من سنتين[(١)]

ويبدو أن عمى القلب جعله يتردد حتى في إيمانه بالآخرة.

نحن لابد أن نراقب القلب.

العقل قد يدرس في الجامعة ولكن يخرج كافراً.

ولهذا نقرأ في الدعاء: «اللهم انّي أسألك ايماناً تباشر به قلبي» وليس عقلي.

ونقرأ: «اللهم اجعل النور في بصري، والبصيرة في ديني، واليقين في قلبي، والإخلاص في عملي».

أتمنى أن يكتب الشباب هذه الأدعية ويحفظوها.

وأذكر هنا أنّ من خصائص الشعب الإيراني أنّ شبابه يجلبون الورق والقلم حينما يستمعون إلى المحاضرات الإسلاميّة ويسجّلون المواعظ والملاحظات، لأنّ الإنسان ينسى، فلابد من التسجيل «والسلامة في نفسي، والسعة في رزقي، والشكر لك أبداً ما أبقيتني».[(٢)]

ولأجل أن القلب يمثّل هذا الموقع استحق التأكيد عليه، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[(٣)]

ويقول في موضع آخر: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[(٤)] أي أنّ هذه الآيات والعبر هي ذكرى ودرس لمن كان له قلب، أمّا من ليس له قلب حينما يمرّ

(١) اللّهوف / ابن طاووس: ١٩٣.
(٢) الكافي / الكليني: ٢ / ٥٤٩ / ح ١١.
(٣) الشعراء: ٨٨ و٨٩.
(٤) ق: ٣٧.

عليها فإنه يمرّ عليها دون الاستفادة منها أصلا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] والعلماء يقفون عند هذه الفقرة من الآية، فمثلاً يقول ابن عربي وهو أحد فلاسفة الإسلام، وصحيح ما يقول: إنّ الإنسان أمّا أن يكون مجتهداً أو تابعاً، فمن كان له قلب هو المجتهد، وأمّا التابع فهو المشار إليه بالقول: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فيقول للنبي والإمام والعالم أنا في خدمتك ومطيع لك وليس لي القدرة على أن أكتشف الغيب وأعرج إلى السماء، إذن لابد أن يكون لديّ سمع فأستمع للنبي ﷺ والقرآن وأطبّق ما يقولان.

عبادة الشيطان:

تقول الرواية أنّ الشيطان عبد الله تعالى ستة آلاف عاماً وكان في السماء الرابعة[2]، ولما أمره الله تعالى أن يسجد لآدم قال: يا رب اعفني من هذه الطاعة والعبادة والسجود ولك عليّ أن أعبدك عبادة ما عبدك مثلها أحد أبداً .

قال له تعالى: «يا ابليس أريد أن أُعبد كما أشاء وليس كما تشاء».

علماء الشريعة وعلماء الطريقة:

لهذا يصنّف العلماء إلى صنفين: علماء الشريعة وعلماء الطريقة، أما علماء الشريعة فيعرفون ويبحثون عن الحلال والحرام، وأما علماء الطريقة فهم الذين يصلون بقلوبهم إلى معرفة الله تبارك وتعالى أكثر من بقائهم عند ظاهر العبادات، ولهم عروج روحي.

إنّ الخضر _ وهكذا لقمان _ لم يكن من الأنبياء ولكن كان يعظ النبي عليه السلام، وهل هذا يعني أنه أفضل من النبي؟ كلا، كان حسب تعبيرنا اليوم مستشاراً سياسياً، كما

---

(١) نفس المصدر.

(٢) أنظر تفسير العياشي: ٢ / ٢٤١ / ح ١٣.

يكون لقادة العالم اليوم مستشارون سياسيون واقتصاديون ونفسيون واجتماعيون، فالمستشار ليس أفضل من النبي، ولكن يستشيره لتخصصه. كان الخضر مستشاراً لموسى عليه السلام، ولقمان مستشاراً لداود عليه السلام، مع الاعتذار عن التسامح في اطلاق مثل هذه العبارات غير المألوفة لكننا نذكرها لتوضيح الفكرة.

لقمان الحكيم:

تقول الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل على لقمان المَلَك جبرئيل ليقول له: يا لقمان، هل لك أن يؤتيك الله الملك وتكون حاكماً؟

قال لقمان: إذا كنت مخيراً فإنّي لا أريد ذلك، وإذا كان ذلك عزيمة _ أي واجبا _ فإنّي أقبل ذلك.

تعجب الملائكة، إذ ينـدر أن يعرض على الإنسان المُلك ولا يقبله، وكان نتيجة ذلك الزهد أن مُلِيء لقمان حكمةً من قرنه إلى قدمه، وحينما رأى الله أنّه لا يريد الملك والنبوة، أعطاهما إلى داود، وكان حكيما أيضاً ﴿آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾.[1]

فلقمان لم يكن أفضل من داود لكن كان متخصصاً بالموعظة، فكان داود يقول له: يا لقمان لقد استرحت من البلية التي ابتليت بها،[2] ويعني بها النبوة والمعارك السياسية والحكم والأمور الاجتماعية، ولكن حسب الموازين الاسلامية فإنّ داود هو الأفضل.

كان العزوف عن الملك أكثر راحة في ظاهر الأمر، ولكن حسب التقييم الاسلامي فإنّ الإنسان الذي يتحمل مسؤولية يكون هو الأفضل، ولذا نقرأ في الزيارة الجامعة للأئمة الأطهار عليهم السلام: «ويُملّك في دولتكم». نحن نريد

(١) ص: ٢٠.

(٢) تفسير القمي: ٢ / ١٦٣، مجمع البيان / الطبرسي: ٨ / ٨٠.

أن تكون لنا موقعية في خدمة الدين والمذهب في دولة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، فلماذا لا نملك المواقع الحكومية وتكون لغيرنا؟ من حقنا أن يكون لنا موقع.

مواعظ لقمان التسع:

على كل حال، كان لقمان حكيماً وله قلب، ولهذا يسجل القرآن الكريم مواعظ له بقوله:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١)

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ، وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.(٢) هذه تسع مواعظ للحكيم لقمان ذكرها الله تعالى له في كتابه الكريم.

الاجتماع في محبة الله:

في الرواية عن الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾: في التوراة التي لم تغير أنّ موسى ﴿عليه السلام﴾ سأل ربه: إلهي، أقريب أنت مني فأُناجيك أم بعيد فأُناديك؟ فأوحى الله إليه: «أنا جليس من ذكرني».

فسأله سؤالاً آخر: «فمن في سترك يوم لا ستر الاّ سترك؟».

فأوحى إليه: «الذين يذكروني فأذكرهم، ويتحابّون فيّ فأحبهم، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم العذاب».(٣)

---

(١) لقمان: الآية ١٣.

(٢) لقمان: ١٧ - ١٩.

(٣) الكافي / الكليني: ٢ / ٤٩٦، ح ٤.

مجالس أهل البيت عليهم السلام:

الـذين اجتمعـوا معنـا فـي شـهر رمضـان قـد جمعـتهم المحبـة لله والقـرآن وأهـل البيـت عليهم السلام، وبحمـد الله حيـث وفّقنـا كثيـراً، والملائكـة تتحسـر علـى انّهـا لم تلتحق بمجلسكم.

فـي الروايـة عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله قـال: مـا اجتمـع قـوم يـذكرون فضـل علـي بـن أبـي طالـب إلا هبطـت علـيهم ملائكـة السـماء حتـى تحـف بهـم، فـإذا تفرقـوا عرجـت الملائكـة إلـى السـماء، فيقـول لهـم الملائكـة: إنـا نَشَـمُّ مـن رائحـتكم مـا لا نشمه من الملائكة فلم نر رائحة أطيب منها.

فيقولـون: كنـا عنـد قـوم يـذكرون محمـداً وأهـل بيتـه فعلـق فينـا مـن ريحهـم فتعطرنـا، فيقولـون: اهبطـوا بنـا إلـيهم، فيقولـون: تفرقـوا ومضـى كـل واحـد مـنهم إلى منزله، فيقولون: اهبطوا بنا حتى نتعطر بذلك المكان.(١)

تجب له الجنة:

فـي الروايـة عـن الإمـام الصـادق عليه السلام: إنّ الرجـل مـنكم ليشـرب شـربة مـن مـاء فتجـب لـه الجنـة، وعلّـل ذلـك بقولـه عليه السلام: يشـرب شـربة ثـم ينحـيّ الانـاء مـن فمـه وهـو يشـتهيه ويقـول: الحمـد لله، ثـم يشـرب الجرعـة الثانيـة وينحّـي الإنـاء وهـو يشتهيه ويقول الحمد لله، وهكذا الثالثة.(٢)

لاحظ الآداب الاسلامية حتى في شرب الماء، هذا كرم الله سبحانه.

الحسن البصري:

قيـل للإمـام السـجاد عليه السلام: إن الحسـن البصـري يقـول: (لـيس العجـب ممـن هلك كيف هلك، بل العجب ممن نجا كيف نجا؟

---

(١) البحار / المجلسي: ٣٨ / ١٩٩.

(٢) أنظر الكافي / الكليني: ٢ / ٩٦ / ح ١٦.

فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا، بل العجب ممن هلك كيف هلك؟[١]

إن الله كريم، ومع هذا الكرم كيف يهلك الانسان؟ وهذا نظير الكريم الذي له مضيف ومائدة مفروشة، فالمفروض أن تقول العجب كل العجب ممن يبقى جائعاً عنده، وليس العجب كل العجب ممن يشبع.

الشيخ نجم الدين العسكري:

كان الشيخ نجم الدين العسكري (أعلا الله مقامه) من علماء النجف الأشرف، وله مجموعة من الكتب العظيمة الجيدة، منها: (علي والوصية) و(علي والشيعة) لما دنت منه الوفاة كلما مدّوا رجليه إلى القبلة يجرهما، وقال لأولاده حينما رأوه في المنام لماذا كنتم تؤذونني يوم أمس؟ أنتم تجرّون رجليّ وعلي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام جالسون عند رجليّ وأنتم لا ترون.

ولاية أمير المؤمنين عليه السلام:

يقول الحارث الهمداني، وكان من خيرة أصحاب الإمام علي عليه السلام: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام أيام شدة الفتن واختلاف الناس، فسألني: كيف أصبحت يا أخا همدان؟

فأجبت: نال الدهر مني ما ترى، وزادني في ذلك أواراً أي اشتد سعير القلب بسبب اختلاف القوم ببابك.

قال عليه السلام: فيم اختلافهم؟

قلت: فيك وفي الذين سبقوك، يقول أحدهم أنّ علياً هو الأفضل، ويقول آخر أنّ فلاناً أفضل.

---

(١) أمالي المرتضى: ١ / ١١٣.

قال عليه السلام: يا أخا همدان: شيعتنا النمرقة الوسطى _ ويعني الدرة التي في قلادة المرأة _ إلى أن قال: وأنت يا أخا همدان تراني عند الممات، وفي القبر، وعند الصراط، وعند المقاسمة، قلت: سيدي وما هي المقاسمة؟

قال: النار أقف على بابها وأقول: هذا عدوي فخذيه، وهذا وليّي فدعيه.

فقام الحارث الهمداني وهو يجر رداءه قائلا: بعد هذا لا أبالي أطبقت السماء على الأرض أم الأرض على السماء، إذا كانت هذه عاقبتنا إذن لا فرق بين الحالتين، قال الشاعر:

يا حار همدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق قُبُلا
يَعرفني طرفُهُ وأعرفه	بِنَعتِهِ واسمِه وما فعلا
وأنت عند الصراط تعرفني	فلا تخف عثرةً ولا زَلَلا
أسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنار حين تعرض للحشر	دعيه لا تقبلي الرجلا[1]

ليلة شهادة الإمام عليه السلام:

كانت هذه الليلة ليلة موحشة في الكوفة والعراق وعلى شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

يقول إبن الحنفية: والله لقد نظرت إلى السرير وإنّه ليمر بالحيطان فتنحني له خشوعاً، فلما انتهينا إلى قبره وإذا مقدّم السرير قد وضع.[2]

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

(١) انظر نص الرواية في أمالي الطوسي: ٦٢٧ / ١٢٩٢ / ٥.

(٢) البحار / المجلسي: ٤٢ / ٢٩٥.

المحاضرة الثالثة والعشرون:

حبل الله تعالى

«فَالْآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي، وَمِنْ أَيْدِي الْخُصَمَاءِ غَدا مَنْ يُخَلِّصُنِي، وَبِحَبْلِ مَنْ أَتَّصِلُ إن أنت قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي».

حبل الله تعالى:

«فَالْـآنَ مِـنْ عَـذَابِكَ مَـنْ يَسْـتَنْقِذُنِي؟ وَمِـنْ أَيـدِي الْخُصَـمَاءِ غَـدا مَـنْ يُخَلِّصُـنِي؟ وَبِحَبْلِ مَنْ أَتَّصِلُ إِن أنت قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنّي؟».

حبل الله:

العبارة تعني: إلهي إذا أنت قطعت الحبل بيني وبينك فبمن أتصل؟

لا حبل للنجاة لدينا نحن البشر إذا قطع الله حبله.

يقول القرآن: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعاً﴾.(١)

ورسول الله ﷺ هو الذي يفسر هذا القول، فما هو حبل الله؟ نستنتج ذلك من القران الكريم حينما يقول: ﴿قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ إن يَتَّخِذَ إِلى رَبِّه سَبِيلاً﴾(٢) **أي هو الاتصال بين العبد والله تعالى.**

ورسول الله ﷺ يفسر ذلك بقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»(٣) إنّه حديث الثقلين المتواتر والثابت بروايات عديدة لا تقبل التكذيب والخطأ.

ونقرأ في دعاء الندبة المروي عن الإمام الحجة # في وصفه لأمير المؤمنين عليه السلام:

«وحبل الله المتين وصراطه المستقيم».(٤)

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الفرقان: ٥٧.

(٣) كمال الدين / الصدوق: ٢٣٥ / ح ٤٦، سنن الترمذي: ٥ / ٣٢٩ / ح ٣٨٧٦.

(٤) إقبال الأعمال / ابن طاووس: ٥٠٤ - ٥١٤.

كما نقرأ في هذا الدعاء في انتداب الإمام المنتظر # :

«أين السبب المتصل بين الأرض والسماء».[١]

هـذا إذن حبـل الله والسـبب المتصـل بـين الأرض والسـماء، إذن نسـتطيع أن نفهـم بشـكل مـوجز أنّ حبـل الله لـيس المقصـود بـه حـبلاً ماديـاً وخيطـاً بـين الأرض السماء، بل هو الوسيلة والطريق والسبب والعلاقة.

الوسيلة إلى الله:

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إليه الْوَسِيلَةَ﴾[٢] ولهذا يقول الدعاء:

«اللهم إنّي بذمة الإسلام أتوسل اليك».

الإسلام له ذمة وحرمة وأنا بوسيلة الإسلام أتوسل اليك، والوسيلة هي الصلاة والقـرآن والنبـي ﷺ وحـب أهـل البيـت، والتوسـل بـذلك لـيس شـركاً، ولا يمكـن الوصول إلى الله بدون وسيلة، لا بدّ من صلاة وصوم وجهاد وحج وولاية.

ولهـذا نقـرأ فـي دعـاء التوسـل: «اللهـم إنـي أسـألك وأتوجـه إليـك بنبيـك نبـي الرحمـة محمـد ﷺ، يـا أبـا القاسـم يـا رسـول الله يـا إمـام الرحمـة يـا سـيدنا ومولانـا إنـا توجهنـا واستشـفعنا وتوسـلنا بـك إلـى الله، وقـدمناك بـين يـدي حاجاتنـا، يـا وجيهـا عنـد الله اشـفع لنـا عنـد الله» الأصـل والهـدف هـو الله تعـالى، لكـن هـذا المعبود لابد من واسطة بيننا وبينه.

«اللهـم إنّي بذمـة الإسـلام أتوسـل إليـك، وبحرمـة القـرآن أعتمـد عليـك، وبحبي النبي الأمي العربي القرشي التهامي المكي المدني أرجو الزلفى لديك» هذه أوصاف النبـي ﷺ، ولسـت الآن بصـدد الحـديث عنهـا، وليسـت هـي كلهـا امتيـازات ونقـاط افتخار، وإنما هي أوصاف للنبي ﷺ، قد ذكرت على سبيل التعريف بواقع شخصيته.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المائدة: ٣٥.

وقد يقول قائل: ماذا يعني أنّ النبي عربي؟ هل من الفخر أنّه عربي، هل هو امتياز؟

الجواب: لا العروبة امتياز، ولا مكي امتياز، ولا مدني امتياز، فكثير من المشركين والعرب كانوا في مكة والمدينة وتهامة، لكن جاء بنو أمية وزرعوا العنصرية العربية ووضعوا روايات عندما تناقشها علمياً وقرآنياً تجدها غير مقبولة.

روايات العروبة:

مثلاً: ما روي عن النبي ﷺ قوله: إنّ الله اطّلع على عباده فاختار من الخلق العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم، لا يحبهم إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهم إلا منافق رديء.(١)

هذا الكلام موجود في كتبنا أيضاً، لكن كم هو صحيح؟ وهل يتناسب مع مفاهيمنا القرآنية؟ إنّ العرب والقوميات الأخرى لولا رسول الله ﷺ والاسلام لا قيمة لها، ولهذا قال في الدعاء:

«اللهم إنّي بذمة الإسلام أتوسل اليك» وليس بذمة العربية والفارسية والهندية، فإنّها قومية وضعها بنو أمية لتركيز الحس القومي العنصري، إنّ العرب كسائر الأمم فيهم الصالح والطالح، وفيهم الشاعر والأديب والكريم والشجاع، وفيهم عابد الوثن ووائد البنت وهي حية.

إنّ قريش عادوا رسول الله ﷺ، وكان الإمام عليّ عليه السلام يشكوهم ويذمهم.(٢)

---

(١) المستدرك / الحاكم: ٤ / ٧٣، كنز العمال: ١٢ / ٤٥ ح ٣٣٩٢٦.

(٢) أنظر كتابه عليه السلام لأخيه عقيل، وفيه: «... فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي، فجزت قريشاً عني الجوازي...» نهج البلاغة: ٣ / ٦١ / ٣٦.

ماذا صنعت قريش؟ بلّغ فيهم رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً، وأخيراً هاجر إلى المدينة بعيداً عن قريش وفيها الأنصار، ولهذا كان ﷺ يثني عليهم ويمدحهم في روايات كثيرة.(١)

لسنا بصدد الطعن في قبيلة، وإنّما بصدد فهم القيم الإسلامية، فقول الألماني أنّ العرق الجرماني هو الأفضل، وقول العربي أنّ العرق العربي هو الأفضل، وهكذا الامريكي هو خدعة يخدع بها الشيطان القوميات حتى تحدث المعركة بينهم.

مقياس التفاضل:

ما هو الصحيح؟

إنّه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.(٢)

إنّ بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي كلهم اجتمعوا تحت مظلة واحدة هي مظلة الإسلام. ولهذا حين يقول الدعاء «وبحبي النبي ﷺ الأمي _ نسبة إلى أم القرى أو لأنّه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب _ ليس ذلك افتخاراً بهذه الصفة وهي الأميّة أو العربيّة، وإنما هذا وصف للنبي ﷺ».

حب أهل البيت عليهم السلام:

أقرأ لكم روايتين:

الأولى عن رسول الله ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى

---

(١) منها قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، الأنصار كرشي وعيبتي، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار» مسند أحمد: ٣ / ١٨٧، وقوله ﷺ: «إن عيبتي التي آوى إليها أهل بيتي، وإن الأنصار كرشي، فاعفوا عن مسيئهم وأقبلوا من محسنهم» كنز العمال: ١٢ / ١٠ ح ٣٣٧٢٦، وأمالي الطوسي: ٢٥٥ / ح ٤٦٠ / ٥٢.

(٢) الحجرات: ١٣.

يُسأل عن أربعة: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت».(١)

هناك سؤال عن المال من أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟ هل كان عنده رأس سنة للحقوق الشرعية أم لا؟

تعلّموا يا رجال ويا نساء، ليضع كل واحد منكم يوماً يسميه رأس السنة، رحم الله الحاج عليوي شريف البزّاز وأظنّه قد توفي، كنت أعمل معه قبل أربعين سنة في سوق الحويش، أرسلني والدي لأعمل عنده وكان عمري يومئذ ثمان سنوات، ذات يوم شاهدت الحاج عليوي وضع ساتراً أغلق به المحل، وأنزل جميع الأقمشة وأخذ يذرعها ليعرف عدد أمتار الأقمشة وأنا اكتب له ولا أعرف ماذا يعمل، بعدها عرفت أنّه يعمل ذلك ليعرف كم عنده من رأس المال فيدوّنه ليعطي الحقوق الشرعية، هذا هو الحاج عليوي شريف، إنه يستحق الذكر.

قال عمر بن الخطاب وهو جالس يسمع حديث رسول الله ﷺ السابق: «وما آية حبكم؟» فقد يقول ابوبكر مثلاً أنا أحب النبي بدليل أنّه تزوج ابنتي، وهكذا عمر، والقرآن الكريم يقول: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾(٢) إذا افترضنا أنّ زوجة النبي تقول أنا أحب النبي بدليل أنّي زوجته، فأي دليل أكبر من ذلك؟

الجواب: إنّ رسول الله ﷺ يقول: «آية حبنا حب هذا من بعدي»(٣) وأشار بيده إلى علي عليه السلام وكان جالساً إلى جنبه، من يحب النبي ﷺ لا يجوز أن يعادي أهل بيته، هل يمكن أن نحب رسول الله ونفتخر بكسر ضلع الزهراء؟ هل هذا ممكن عقلياً؟

---

(١) الخصال / الصدوق: ٢٥٣ / ١٢٥، ينابيع المودة / القندوزي: ١ / ٣٣٦ ح ١٨، البحار / المجلسي: ٣٦ / ٧٩، وفي بعض الروايات: «وعن جسده فيم أبلاه» بدلاً من «شبابه».

(٢) الأحزاب: ٣٠.

(٣) المصدر نفسه.

الرواية الثانية يرويها الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب الخصال (خصال الصدوق) وهو كتاب مهم جداً ومن روائع الكتب: «... وما من أحد قال: اللهم زوجني من الحور العين إلاّ سمعنه وقلن يا رب إنّ فلانا قد خطبنا إليك فزوجنا منه، وما من أحد يقول: اللهم أدخلني الجنة إلا قالت الجنة: اللهم أسكنه فيّ...».[١]

قصة أبي لبابة:

حديثنا عن حبل الله، «وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك عني؟».

حبل الله هو الواسطة بيننا وبين الله تبارك وتعالى.

في زيارة النبي صلى الله عليه وآله تأتي هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[٢] إنّه الواسطة. وهنا تأتي قصة أبي لبابة.

إذا ذهبتم لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله تجدون هناك اسطوانة مكتوب عليها (اسطوانة التوبة)، وترون الحجاج يقبلون عليها ويصلّون عندها ركعتين، ويزدحمون عليها، إذا ذهبتم للحج والزيارة اسألوا عنها.

قصة هذه الاسطوانة التي تنسب إلى أبي لبابة هي أنّ النبي لما حاصر بني قريظة اليهود والذين كانوا قد خانوا رسول الله صلى الله عليه وآله في العهد بينهم وبينه بعد معركة الأحزاب، أرسل علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره أن يضع الراية عندهم ويستخبر حالهم.

جاء الإمام عليّ عليه السلام إليهم ووضع الراية وقال: لا أرفعها حتى يستسلم هؤلاء الذين خانوا رسول الله، ودام حصارهم أكثر من عشرين يوماً، وأخيراً

---

(١) الخصال / الصدوق: ٢٠٢ / ١٧.

(٢) النساء: ٦٤.

قـرر رسـول الله ﷺ قـتلهم جميعـاً، وهـذه شـدّة الإسـلام، بعـد أن حكّـم فـيهم سـعد بـن معـاذ وخيّـرهم بـين المفاوضـات والاستسـلام فقبلـوا بحكـم سـعد بـن معـاذ، فقـال: اقتـل رجـالهم جميعـاً، هـذا هـو حكمـي مـع اليهـود المجـرمين، واسـبِ نساءهم، وصادر أموالهم.

فقـال رسـول الله ﷺ: «لقـد حكمـت فـيهم بحكـم الله» هـذا هـو حكـم الله، وأرسل إلى «أبي لبابة» ليجري المفاوضات وكان بينه وبين اليهود قرابة.

فلمـا جـاء إلـيهم أبـو لبابـة[1] أجهـش الأطفـال بالبكـاء، قـالوا خلّصـنا يـا أبـا لبابـة، وأقبلـت النسـاء يبكـين، مـا هـو مصـيرنا؟ يـا أبـا لبابـة: نُسـلّم إلـى النبـي أم نرضـى بحكـم سـعد؟ فأشـار أبـو لبابـة لهـم خفيـة بأصـبعه إلـى عنقـه، أي أنّـه إذا سـلّمتم ستُذبحون، يقـول أبـو لبابـة وهـو إنسـان صـالح مـؤمن: بمجـرد أن أشـرت بهذه الإشارة بدأت قدماي لا تحملاني، وشعرت أنّي خنت الله ورسوله.

تـرك المشـهد وتوجـه إلـى مسـجد النبـي راكضـاً، شـدّ يديـه ورجليـه بالأسـطوانة التـي تسـمى حاليـاً اسـطوانة التوبـة، (عمـود أبـي لبابـة)، قـال: والله لا أفـك يـديّ حتـى يغفـر لـي الله ويعفـو عنـي رسـول الله ﷺ، لقـد أخطـأت خطـأً كبيراً، هذه معركة وأنا قائد عمليات، فكيف أخون النبي ﷺ؟

انتظـر رسـول الله ﷺ أبـا لبابـة سـاعة، سـاعتين، ثلاثـة، ثـم وصـل الخبـر إلـى النبـي ﷺ أنّ أبـا لبابـة فعـل كـذا وكـذا، قـال وهـو صـاحب القلـب الـرحيم: أمـا لوجـاءَني لاسـتغفرت لـه، لكـن حيـث لـم يـأتِ فهـو والله. الله يفعـل مـا يشـاء، وهنـا نـزل قولـه تعـالى حسـب بعـض الروايـات: ﴿يـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لا تَخُونُـوا اللَّـهَ وَالرَّسُـولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[2]

(١) انظر القصة كاملة في بحار الأنوار/ جزء ٢٠ في غزوة بني قريظة.
(٢) الأنفـال: ٢٧، راجـع سـبب نـزول الآيـة فـي: أسـباب النـزول / الواحـدي: ١٥٧، وجـامع البيـان / الطبري: ٩ / ٢٩٢ / ١٢٣٥٩، وتفسير القمي: ١ / ١١.

أبو لبابة عرف أنّها خيانة وبقي مكتوفاً إلى الاسطوانة أسبوعاً، إنّه موقف نبيل شريف ويستحق أن يذكر، أبو لبابة إلى اليوم مخلداً وممجداً، لأن الاعتراف بالذنب فضيلة، أراد أن يغفر الله له وكان المسلمون يأتون إلى الصلاة يومياً ويرونه مكتوفاً، وهو يطلب مغفرة الله، هذا هو المهم، المسلمون يذهبون ويأتون وهو مكتوف ويريدون فكاكه ولكنه يرفض ويقول لا والله لا يفكني إلا رسول الله ويعفو عني ويعفو الله عني، فكانت زوجته تأتيه بالطعام ثم يرجع يكتف نفسه.

وذات يوم ابتسم رسول الله ﷺ، فقالت له زوجته الصالحة أم سلمة: يا رسول الله أضحك الله سنك، ما الذي أضحكك؟

قال: يا أم سلمة، نزلت آية في أبي لبابة، إنّ الله غفر له، الله يحب عبده عندما يخلص، حيث نزل قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ إِن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي أنّ الله تاب على أبي لبابة، ضحكت أم سلمة.

وقالت: يا رسول الله هل تسمح لي أنّ ابشّره؟ قال ﷺ: إن شئت فبشّريه، فصاحت من الشباك المطلّ على المسجد: يا أبا لبابة البشارة، البشارة، قد غفر الله لك.

جاء المسلمون يريدون فكاك أبي لبابة، قال: والله لا يفكّني إلاّ رسول الله ﷺ، وحين حان وقت الصلاة جاء رسول الله ﷺ وفكّ أساره وقيوده، وكان هذا معنى ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ إِن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(١) وهذا هو حالة من حالات العلاقة بالنبي ﷺ، والتوسل إلى الله تعالى به وبشفاعته، لقد جسّد أبو لبابة صورة حيّة من ذلك. «وبحبي النبي الأمي العربي الهاشمي القريشي التهامي المكي المدني أرجو الزلفة لديك».

(١) التوبة: ١٠٢، راجع سبب نزول الآية في: تفسير القمي: ١ / ٣٠٣، ومجمع البيان / الطبرسي: ٥ / ١١٦.

الإمام الرضا عليه السلام:

العراقيون لديهم إمام بعيد عنهم وعلاقتهم به قوية، ذلك هو الإمام الرضا عليه السلام الذي يقول: «من زارني على بُعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها، عند الصراط، وعند تطاير الكتب، وعند الميزان».[1] اللهم ارزقنا في الدنيا حبّهم وزيارتهم، وفي الآخرة شفاعتهم، واجعل ذلك في ميزان أعمالنا يوم نلقاك.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ * وَما أَدْراكَ ما هِيَهْ * نارٌ حامِيَةٌ﴾.[2]

مصيبة الزهراء عليها السلام:

رأيت من المناسب أن أختم هذا المجلس بذكر الزهراء عليه السلام.

الزهراء واقفة في المحشر، وعلي واقف عند الصراط يأخذ بيد شيعته.

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل القوم بالحطب ووضعوه عند باب الزهراء، يا علي أخرج وإلا أحرقنا عليكم داركم.

قيل له: إنّ فيها فاطمة، قال: وإنْ.

خرجت الزهراء تسألهم ماذا تريدون؟ ولما عرفوا أنّ الزهراء خلف الباب ركل الباب برجله وعصر الزهراء بين الباب والحائط.

نادت: «يا فضة إليك فخذيني، وإلى صدرك فأسنديني، فقد وربي أسقطوا جنيني».

ثم أخذوا علياً مقيداً.

---

(١) عيون أخبار الرضا / الصدوق: ١ / ٢٨٥، باب ٦٦، ح ٢.

(٢) القارعة: ٦ - ١١.

لما نهضت الزهراء من غشيتها سألت أين علي؟ وأقبلت إلى قبر أبيها رسول الله ﷺ وهي تقول أبه:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ألاّ يشم مدى الزمان غواليا

صبّت علي مصائب لو أنّها صبت على الأيام صرن لياليا

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الرابعة والعشرون:

صحيفة الأعمال يوم القيامة

«فَوَا سَوْأَتَا عَلَى مَا أَحْصَى كِتَابُكَ مِنْ عَمَلِيَ الَّذِي لَوْ لا مَا أَرْجُو مِنْ كَرَمِكَ وَسَعَةِ رَحْمَتِكَ وَنَهْيِكَ إِيَّايَ عَنِ الْقُنُوطِ لَقَنَطْتُ عِنْدَ مَا أَتَذَكَّرُهَا».

صحيفة الأعمال يوم القيامة:

«فوا سوأتا على ما أحصى كتابك من عملي».

عندنا ثلاثة كتب هي:

الكتاب التشريعي، والتكويني، والاحصائي:

الكتاب التشريعي: هو القرآن الكريم، قال الله تعالى:

﴿ذلكَ الكتابُ لا رَيبَ فيه﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿اتلُ ما أُوحيَ إليكَ منْ كتابِ ربّكَ﴾.[2]

الكتاب التكويني: يعني كل الوجود، وهو حاضر بين يدي الله، كتاب ألّفه الله ورتّب صفحاته، ويضم النجوم والشمس والقمر والنهار و...

إنّنا وكل الوجود عبارة عن حروف في هذا الكتاب، إذا أردت أن ترتب هذا الكون على شكل شريط سينمائي ترى كل شيء في الكون، قال تعالى: ﴿ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلاّ في كتابٍ مُبينٍ﴾.[3]

الكتاب الاحصائي: وهو عبارة عن سجل الأعمال الذي يُعرض على الإنسان يوم القيامة ليرى جميع أعماله مسجّلة في هذا الكتاب.

قال تعالى: ﴿ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً إلاّ أحْصاها﴾[4] **وليس هذا الكتاب هو القرآن ولا الكون، وإنما هوسجل يُقدَّم للإنسان يوم القيامة.**

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) الكهف: ٤٩.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.(٢)

إنّ واقع العمل يكتبه الله، والمطبعة الإلهية دقيقة تسجل حتى النفَس والنية، ﴿وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً﴾ **ولهذا يقول الإنسان يوم القيامة**: ﴿ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها﴾.

هذا هو الكتاب الاحصائي الذي يتحدث عنه الدعاء:

«فواسوأتاه على ما أحصى كتابك» الذي يسجل جميع الأعمال كالصلاة والصوم والكذب والغيبة و...، وفي ذلك اليوم يبحث الإنسان عن كل حسنة يثقل بها ميزان الحسنات، ويود أن السيئة الصغيرة لم يفعلها لأنّها أصبحت في كفّة ميزان السيئات ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾.(٣)

يوم القيامة هو يوم تطاير الكتب، الكتاب مكتوب بلغة عالمية يعرفها كل الناس إنها لغة الحقيقة.

يرى الإنسان السوَر القرآنية نوراً فيسأل عنها، فيأتي الجواب: أنا سورة الواقعة، أنا آية الكرسي التي كنت تقرأها وقد جئت إليك، وتُجسَّم الأعمال التي كنا عملناها في الدنيا، ويقال للإنسان (اقرأ وارق)(٤) أي اقرأ القرآن واصعد درجة.

---

(١) الإسراء: ١٤.

(٢) الجاثية: ٢٩.

(٣) آل عمران: ٣٠.

(٤) الكافي للكليني: ج ٢ / باب فضل حامل القرآن / ص ٦٠٦ / ح ١٠.

الأعمال في القبر:

يُنقل أنّ شخصاً مات ودفن عند أمير المؤمنين عليه السلام، فرآى أحد الصالحين في عالم المكاشفة أنّ شاباً جميلا نورانياً قد دخل معه القبر، وبعد مدة دخل القبر كلب أسود موحش ثم خرج الشاب النوراني ممزقاً مدمىً، وكان تفسير ذلك أنّ الأول هو العمل الصالح يدخل مع الميت على صورة ذاك الشاب الجميل إلهي، والكلب الأسود هو الأعمال السيئة، وقد تخالفت أعمال هذا الميت، فغلبت الأعمال السيئة الأعمال الصالحة، وخرج الشاب من القبر وبقي الكلب الأسود معه. إنّنا سوف نرى ذلك كله بتجسيد حقيقي يوم القيامة، نرى حقيقة السيئات والحسنات، فإمّا الحسنات هي التي تغلب، أو السيئات.

الكتاب يوم القيامة:

يكون الكتاب منشوراً يوم القيامة، فقسم من الناس يأخذ كتابه بيمينه، ويسمى هؤلاء بـ (أصحاب اليمين)، وقسم آخر يأخذ الكتاب بشماله، ويسمى بـ (أصحاب الشمال)، وقسم من الناس يأخذون كتابهم من وراء ظهورهم حيث لا يستطيعون أخذه بيمينهم أو شمالهم.

تقول الرواية: يوضع الكتاب في رأس رمح ويضرب به من وراء ظهره ويقال له: خذ كتابك.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾.[1] كالطالب يوم توزيع نتائج الامتحانات، إن كانت نتيجته ناجحة فإنّه يأتي راكضاً إلى أمه وأبيه، وإن كان راسباً فإنّه يقف باكياً عند الباب ويخجل من الدخول.

---

(١) الانشقاق: ٧ - ١٥.

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّها الإنسان إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيه﴾.[(١)]

القرآن الكريم يصف هذه الحالة ويقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِه فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ * قُطُوفُها دانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِه فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ * يا لَيْتَها كانَتِ الْقاضِيَةَ * ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ * وَلا طَعامٌ إِلاّ مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلاّ الْخاطِؤُنَ﴾.[(٢)]

وقال تعالى في سورة الانشقاق: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِه * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً * وَيَصْلى سَعِيراً * إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِه مَسْرُوراً﴾.

عرش بلقيس:

إنّكم تعرفون قصة سليمان عليه السلام **مع عرش بلقيس حينما قال**: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[(٣)] **وكان يومئذ في فلسطين، وذلك بعد أن قال الهدهد**: ﴿جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ...﴾[(٤)] **الآية**، ﴿قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ﴾[(٥)] **ولم يقبل سليمان الانتظار هذه الفترة الصغيرة فـ** ﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ﴾ **وهو آصف بن برخيا**: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِه﴾.[(٦)]

---

(١) الانشقاق: ٦.
(٢) الحاقة: ٢٥ - ٣٧.
(٣) النمل: ٣٨.
(٤) النمل: ٢٣.
(٥) النمل: ٣٩.
(٦) النمل: ٤٠.

وأخذ العلماء يحللون هذه العملية كيف وصل إليه العرش في لحظة واحدة؟ هل تمت بطيّ الأرض؟ أو بالإعدام ثم الايجاد؟[١] أو وفق نظرية نسبيّة الزمان والمكان وذلك بتلاشي بُعد الزمان والمكان، فالإنسان إذا أصبحت روحه قوية فإنّه يكون كما قال تعالى: ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِه لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[٢] حيث عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء خلال فترة زمنيّة غير منظورة، ربما كانت أقل من ساعة من الليل.

إنّ علماء النفس يحللون الرؤى التي نراها في المنام التي قد تستغرق ساعتين أو ثلاث ساعات بأنّ ذلك يحدث في أقل من ثوانٍ، إنّه بُعد آخر يسمى البُعد الثالث، فلا يحتاج إلى حساب المسافة ولا قوانين السرعة والجاذبية والحرارة، إذ أنّنا لو أردنا تطبيق نقل عرش بلقيس على قوانين السرعة فالمفروض هو احتراقه في الهواء لشدة السرعة (ألف كيلومتر في أقل من ثانية) كما تحترق المذنبات وهي عبارة عن كتل حجرية[٣] قبل أن تصل إلى الأرض.

تقول الروايات أن آصف بن برخيا كان عنده حرف من اسم الله المؤلف من ثلاثة وسبعين حرفاً، وكل حرف له مدلول كالحياة، العلم، القدرة، العظمة والجبروت و... وهذه المجموعة كلها هي اسم الله الأعظم، وهو عبارة عن كل المعاني الإلهية، وكان لدى إبراهيم عليه السلام ثمانية حروف ويفتح بها الأسرار، وكان لدى ائمتنا عليهم السلام اثنين وسبعين حرفاً، وبقي حرف واحد أخفاه الله تعالى فلا يعلم به أحد من البشر،[٤] وحجب علمه عن العباد، وبهذه الحروف الإثنين وسبعين يكون الكون خاضعا للأئمة عليهم السلام، وقد ورد

(١) وهو ما يراه ابن عربي في كتابه (النصوص).

(٢) الإسراء: ١.

(٣) لكن أحدث نظرية في عالم المذنبات تقول أنها كتل غباريّة ضخمة.

(٤) بصائر الدرجات / الصفار: ٢٢٧ / باب (في الأئمة عليهم السلام أنهم أُعطوا اسم الله الأعظم) ح ١ - ٩.

في الزيارة الجامعة: «حتى لا يبقى ملك مقرب،... ولا جبار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلاّ عرّفهم جلالة أمركم وعظم خطركم».(١)

إنّ معلوماتنا العلميّة كلها إنما هي في هامش أسماء الله، وقد عمل آصف بن برخيا وهو يملك حرفا واحداً ما لا تستطيع البشرية أن تعمله لحد اليوم، ولم تستطع البشرية لحد الآن أن تعبر عالم ما قبل حروف الاسم الأعظم، أي لم تدخل الكتاب، بل هي في غلافه. إنّ الأنبياء والأئمّة والصالحون هم الذين يقرؤون هذا الكتاب، ولهذا فهم يعرفون أسراراً كثيرة.

واجبنا تجاه القرآن الكريم:

نحن مأمورون بهذه المراحل تجاه كتاب الله تبارك وتعالى.

الأولى: القراءة والتلاوة.

الثانية: المعرفة.

الثالثة: التمسك به.

عن المرحلة الأولى قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾(٢) وأكثر الناس يقفون عند هذه المرحلة.

روي عن النبي ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلاّ أنزل الله عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة».(٣)

المرحلة الثانية: هي التدبّر في كتاب الله ومعرفته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

---

(١) من لا يحضره الفقيه / الصدوق: ٢ / ٦١٣.

(٢) الكهف: ٢٧.

(٣) مستدرك الوسائل / النوري: ٣ / ٣٦٣ / ح ٣٧٨٨ / ٢٠.

والمرحلة الثالثة: هي التمسك به، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾.[١]

و﴿الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [٢]

نحن بحاجة إلى التمسك بالكتاب وليس القراءة والمعرفة فقط.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام لتلميذه كميل: «يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، يا كميل فاحفظ عني ما أقول لك:

الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق».[٣]

مشكلة هؤلاء الرعاع أنهم لا علم لهم ولا يلجؤون إلى العلماء، ولذا لا خيار لنا سوى طريقين، إمّا أن نكون علماء أو نلجأ إلى العلماء، وإذا فقدنا هذين الطريقين أصبحنا همجاً رعاعاً.

أحد أصحاب الإمام عليّ عليه السلام واسمه همّام سأله قائلاً: يا علي: صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتثاقل الإمام عن الجواب، فألحّ عليه.

فقال عليه السلام: إتق الله وأحسن، فألحّ عليه همّام، فاضطر الإمام للجواب وقال:

«فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع،... أرادتهم الدنيا فلم يريدوها،... تالين آيات القرآن يرتلونها ترتيلا، يحزّنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً،... واذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أنّ زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم».[٤]

---

(١) الزخرف: ٤٣.
(٢) الأعراف: ١٧٠.
(٣) نهج البلاغة: ٤ / ٣٥ / ١٤٧.
(٤) نهج البلاغة: ٢ / ١٦٢ / ١٩٣.

«فوا سوأتاه على ما أحصى كتابك من عملي الذي لولا ما أرجو من كرمك وسعة رحمتك ونهيك إياي عن القنوط لقنطت».

هناك إحصاء شامل ودقيق في كتاب يبدأ من أول نفس للانسان حينما يدخل في مرحلة التكليف، وينتهي بآخر نفس حينما يغادر الدنيا، وهذا سجل احصائي غير مرئي في الدنيا سنشهده بشكل تفصيلي بعد الممات. العبارة المذكورة من الدعاء تقول: إلهي وا أسفي وواخجلي ووا سوأتاه على ما أحصاه هذا الكتاب، أحصى علينا الكثير من الأعمال فنحن خجلون.

خصائص الكتاب الاحصائي:

لكتاب الأعمال عدة خصائص:

١ _ شامل ودقيق: إنّه دقيق وشامل ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة.

٢ _ نفس الأعمال: فيه الأعمال نفسها وليس بصورتها كما يسجل جهاز التسجيل ويستنسخ شبيه الصوت والأمواج.

قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً﴾(1) أي ليس المسجل من الأعمال والمصور بالعناوين، بل العمل نفسه تجده تفصيلا.

إنّ ذلك يسير على الله تعالى فأصوات البشر نفسها موجودة كأمواج صوتية في السماء كما يقول العلم، لأن الصوت عبارة عن أمواج تصل إلى طبلة الأذن ويتحول إلى صوت، وربما يستطيع العلم أن يسترجع أمواج أصوات الأنبياء والأئمة عليهم السلام والفلاسفة، ولكن المشكلة هي أنه لا يدري أين توجد بالضبط، ثم إنّها اختلطت بمليارات الأصوات المختلفة.

وقد ثبت اليوم أنّ حركة الإنسان تنطبع في الفضاء، ويستطيع العلم الحديث أن يصور السارق بعد أن يخرج من مكان السرقة بلحظات، هذا من

---

(1) الكهف: ٤٩.

الناحية المادية، ولو انفتح قلب الإنسان لرأيت الروح كيف تتحرك وتتغير، فمرة تكون رقيقة ومرة خائفة ومرة قوية، والركوع هو في الأصل ركوع الروح، وعليه مثلما تكون حركة الجسم محفوظة كذلك تسجل حركة الروح في عالم الأرواح.

إنّ خشوع الإيمان محفوظ عند الله في عالم الأرواح، ولو كانت هناك كاميرات دقيقة قادرة على تصوير ما وراء المادة لرأينا كيف تحضر الروح وتتحرك.

ربما يصلي الإنسان أربع ركعات ولكن لا يدري كيف صلاها لأنه كان يفكر بأموره الدنيوية، فتكون يوم القيامة هباء منثوراً لأنّ الروح لم تتحرك.

٣ _ تسجيل النوايا: هذا الكتاب يسجل النوايا، وليس كالقاضي الذي لا يعلم بنواياك.

هناك محاولة لصنع جهاز لكشف الكذب، رحم الله شهيد المحراب كان يقول: إذا وضعوا صداماً أمام هذا الجهاز ماذا سيحدث وهو لم يتكلم بكلمة صادقة؟

يُنادى المرائي يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك، ولا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له.(١)

إذن هذا الكتاب يسجل النوايا، ﴿بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ﴾ من نوايا، فالنية نفسها تجدها يوم القيامة.

٤ _ تبديل السيئات: الخصوصية الأخيرة هي تبديل السيئات بالحسنات، فبمقدار ما هو شامل ودقيق فإن هناك لطف إلهي يبدل السيئات بالحسنات، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.(٢)

---

(1) الآمالي للصدوق: ٦٧٧، البحار: ٦٩ / ٢٩٥ / ح ١٩.

(2) الفرقان: ٧٠.

في أمالي الطوسي عن الإمام الباقر عليه السلام سئل عن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ **قال عليه السلام: يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بموقف الحساب فيكون الله (تعالى) هو الذي يتولى حسابه لا يطلع على حسابه أحداً من الناس، فيعرّفه ذنوبه، حتى إذا أقرّ بسيئاته قال الله عز وجل لملائكته: بدّلوها حسنات وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذٍ ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة. فهذا تأويل ذلك وهي في المذنبين من شيعتنا خاصة.**[١]

كتاب اليمين والشمال:

وأخيراً هناك كتاب اليمين وكتاب الشمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[٢] ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[٣] ﴿أَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾.[٤] **يقول المفسرون: ما المقصود بكتاب اليمين؟ هل هو اليُمن؟ وهل كتاب اليسار هو الشقاء والعياذ بالله؟**

إنه بحث طويل، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.[٥]

* * *

---

(1) **الأمالي للشيخ الطوسي: ٧٣.**
(2) **المطففين: ١٨.**
(3) **الواقعة: ٢٧.**
(4) **الواقعة: ٤١.**
(5) **الحاقة: ١٩- ٣٤.**

المحاضرة الخامسة والعشرون:

القلب، مكانته وامراضه

«وَإِنَّا آمَنَّا بِكَ بِأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا لِتَعْفُوَ عَنَّا، فَأَدْرِكْنَا مَا أَمَّلْنَا، وَثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي صُدُورِنَا، وَلا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا».

مكانة القلب:

للقلب موقع واهتمام خاص في المفهوم الديني، والقرآن الكريم والأدعية والأحاديث تسلط الضوء على القلب، لاحظوا هذه النصوص:

«لك الحمد على ما نقّيت من الشرك قلبي».

«اللهم طهّر قلبي من النفاق».

«أسألك إيماناً تباشر به قلبي».

«أعوذ بك من نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إلهي قلبي محجوب».[1]

وقوله في المناجاة الشعبانية: «ولتطهير قلبي من أوساخ الغفلة عنك».[2]

وقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[3]

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾.[4]

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.[5]

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾.[6]

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[7]

---

(1) مقطع من دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام: أنظر كتاب نهج السعادة للمحمودي: ٦ / ١٣٦.

(2) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٣ / ٢٩٨.

(3) الرعد: ٢٨.

(4) الإنشراح: ١ و٢.

(5) البقرة: ٧.

(6) البقرة: ١٠.

(7) المطففين: ١٤.

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[١]

وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[٢]

وردت مئات الروايات في القلب نذكر منها: قول الإمام علي عليه السلام:

«يا كميل، إنّ هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها».[٣]

وقال عليه السلام في وصيته: «أحي قلبك بالموعظة».[٤]

وورد في شأن القلب: «لا يقبل من صلاة العبد إلاّ ما أقبل عليه»[٥] أي إنّ مقياس قبول الأعمال هو القلب، فلا تقبل من صلاة المرء إلاّ ما أقبل به قلبه.

في الرواية: «ما من قلب إلاّ وله أذنان»[٦] ويعني أنّ القلب فيه لاقطتا صوت، أحدهما عليه ملك، والآخر عليه شيطان. في كل عمل خير هناك نداء للشر علينا أن لا نسمعه، وفي كل عمل شر هناك نداء للخير يقول لك: إجتنب، إحذر. هذا يأمره وهذا يزجره. الشيطان يأمر بالمعاصي، والرحمن يأمر بالطاعة.

هذه القطعة الصغيرة هي القلب. إنّ قلب المؤمن عرش الله. الإسلام لا يتحدث عن قضية معقدة، بل عن أمر وجداني. يقول الناس: فلان قلبه أسود وفلان قلبه أبيض، قلبه قوي، قلبه ضعيف، رقيق القلب، قاسي القلب.

العلم الحديث يقول عن القلب إنّه عبارة عن أذين أيمن وأذين أيسر، وبطين أيمن وبطين أيسر، كما إنّ هناك اصطلاح (السكتة الدماغية) و(السكتة القلبية) وتكون نتيجة الهموم والقضايا النفسية، وعليه فإن القلب مرتبط

(1) الشعراء: ٨٨ و٨٩.

(2) الصافات: ٨٣ و٨٤.

(3) نهج البلاغة: ٤/ ٣٥.

(4) نهج البلاغة: ٣/ ٣٦.

(5) بحار الأنوار: ٨١/ ٢٦٥.

(6) الكافي للكلبني: ٢/ ٢٦٦.

بالنفس. وفي السكتة الدماغية يبقى القلب حياً لمدة قد تطول إلى شهرين يكون الإنسان فيها ميتا ولكن فيه روح. وفي الدماغ خلايا للضحك والمشي والتذوق و...، ولكن على مستوى القلب هناك أشياء كثيرة لم يكتشفها العلم.

القلب عبارة عن مركز التوجيه الدماغي، والدماغ مركز المعلومات.

هناك قلب يخاف وهناك قلب لا يخاف، وهذا كريم وذاك بخيل، القلب لا يسمح له بالبذل.

أنواع البخل ثلاثة: بخيل لا يعطي، بخيل يتألم إذا أعطى غيره للآخر، وبخيل يتأذى إذا أُعطي![(١)]

وهكذا الرقة والقساوة والجبن والشجاعة، فالقلب مركز حركة النفس وليس الدماغ، الدماغ شبيه بالكمبيوتر يشغّله القلب. فالقلب يقول تارة أعفُ ويقول لا تعفُ تارة أخرى، فهو مركز التوجيه ومركز النفس وجوهره، فهو عرش الله إذا كان مؤمنا ومستقراً لجنود الرحمن، وهذا القلب يعيش معركة بين جنود الرحمن وبين جنود الشيطان.

الحسد من جنود الشيطان، ويقابله التواضع والإحسان والكرم، وهذا من جنود الرحمن.

القلب يتجاذبه الجنود من الطرفين ونحن في الوسط، فإما يفوز جنود الرحمن أو جنود الشيطان.

على هذا الأساس يكون القلب تارة سليماً وتارة يكون مريضاً، بل يفيده القرآن الكريم والمعالجة الروحية لا البدنية، هنا يأتي دور قول أمير

---

(1) نص الرواية عن الرسول الأكرم ﷺ: البخل على ثلاثة أضرب: بخل لإنسان بماله على نفسه، وبخله بماله على غيره، وبخله بمال غيره على نفسه، أو على غيره ... انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩/ ٣١٧.

المؤمنين عليه السلام: «أحي قلبك بالموعظة».[1] يراجع الإنسان الطبيب ليفحص جسمه، لكنه يفحص قلبه بالصلاة خمس مرّات يومياً.

لولا حركة الشياطين فإن الإنسان ينظر إلى الملائكة والسموات.

الشرك مرض قلبي:

الشرك هو أشد حالات مرض القلب، ولهذا يقول الدعاء الذي افتتحنا به البحث: «فلك الحمد على ما نقّيت من الشرك قلبي».

إنّ أعلى مراتب الإيمان _ في خارج دائرة المعصومين _ هو ما بلغه سلمان وأبو ذر، وأما المنافقون ففي أسفل درك في الجحيم، لأنّ قلوبهم في أسفل درك من الأخلاق والكفر.

صور الشرك:

ومعركتنا اليوم تدور بين الإيمان والشرك، وهناك شرك تقليدي كما يوجد لدى عبدة بوذا أو عبّاد البقر، فلا زال في الهند وغيرها من يعبد البقرة هذا هو الشرك التقليدي. وأعظم من ذلك هو الشرك المعاصر، ومن مصاديقه مثلاً: انتحرت ملكة جمال الهند لأنّ خطيبها أخّر حفلة الزواج للمرة الثانية.

وأيام المد الشيوعي في العالم افتتح في بغداد محل باسم (كبة موسكو)!

وهكذا تسمية البنت داليا أو دانيا، فإن ذلك منفذ للشيطان، بعكس البيت الذي فيه بنت اسمها زهراء أو زينب.

معركتنا اليوم مع الشرك المعاصر لا التقليدي والأول هو الأخطر، كمن ينظر إلى قناة فضائية شاذة خليعة ماجنة.

---

(1) نهج البلاغة: ٣ / ٣٦.

العلمانية المعاصرة:

أحد صور الشرك المعاصر هو (العلمانية) وتعني اللاّدين، فالدين في نظر من يعتقد بها لا علاقة له بالحكم، وقد دخلت العلمانية تركيا أيام مصطفى أتاتورك، فقال: نحن نفصل بين الدين والحكم والسياسة ويكون الدين في المسجد فقط.

إنّ العلمانية في عنوانها الاصطلاحي تعني تحكيم العلم وليس الدين، وذلك بإسم فصل الدين عن السياسة.

إنّ قوة تأثير الدين في هذا العصر بلغ درجة أنّ الدين كان أحد محاور المنافسة الرئاسية بين بوش وكيري، حيث أصبح كل منهما يسبق الآخر في التقرب إلى الدين، والإثنان في الحقيقة لا يحترمان الدين ولكن يقتربان للدين أمام الناس.

يقول بوش: أنا أجمع القيم السماوية، ويقول كيري: أحبب لجارك ما تحب لنفسك حسب قانون عيسى عليه السلام.

إنّ الدين له نفوذ في الشعوب، وهناك حركة دينية عالمية، وهناك مخططات غربية للوقوف بوجه الدين وتشويه صورته.

تدور اليوم معركة حقيقية بين الإيمان والشرك المعاصر المتمثل بـ (العلمانية) و(الليبرالية) و(الحرية المطلقة) و(الإشتراكية) و(الفضائيات الخليعة) فكل ما يتقاطع مع حكم الله فهو شرك من حيث الجوهر والمحتوى وإن لم يكن كذلك من حيث المعنى الاصطلاحي والتقليدي للشرك.

كيد الشيطان:

ذات يوم صعد عيسى عليه السلام على جبل أريحا، فقال له الشيطان: أنت تحيي الموتى، إذن ألق بنفسك من الجبل. انتبه عيسى عليه السلام لكيد الشيطان وقال: لا يمكن أن ألقي بنفسي.

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ

وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾[1] صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا يا سيدنا لم دعوتنا؟

قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟

فقام عفريت من الشياطين فقال أنا لها بكذا وكذا.

قال: لست لها. فقام عفريت آخر وقال أنا لها بكذا وكذا، فقال إبليس: لست تقدر. فقام الوسواس الخناس وقال: أنا لها.

قال بماذا؟ قال أعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة نسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة.

خمس مضادات للشيطان:

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: قال إبليس: خمسة ليس لي فيهن حيلة وسائر الناس في قبضتي:

١ ــ من اعتصم بالله.

٢ ــ من كثر تسبيحه في ليله ونهاره.

٣ ــ من رضي لأخيه المؤمن بما يرضاه لنفسه.

٤ ــ من لم يجزع على المصيبة.

٥ ــ من رضي بما قسمه الله له.[2]

إنّ دواء مرض القلب هو ذكر الله، قال تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[3]

وكان أصحاب الحسين عليه السلام يذكرون الله، ولذلك لم يتسلط الشيطان عليهم.

إلهي بذكرك عاش قلبي، وبمناجاتك بردت ألم الخوف عني.

---

(1) آل عمران: ١٣٤.

(2) انظر البحار: ٦٦/ ٣٧٨/ ح٣٢.

(3) الرعد: ٢٨.

المحاضرة السادسة والعشرون:

قوانين عالم الآخرة

«إِلَهِي لَوْ قَرَنْتَنِي بِالْأَصْفَادِ، وَمَنَعْتَنِي سَيْبَكَ مِنْ بَيْنِ الْأَشْهَادِ وَدَلَلْتَ عَلَى فَضَائِحِي عُيُونَ الْعِبَادِ، وَأَمَرْتَ بِي إِلى النَّارِ، وَحُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَبْرَارِ مَا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْكَ».

«وَأَمَرْتَ بِي إِلى النَّارِ وَحُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَبْرَارِ مَا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْكَ».

يتوسل الإمام زين العابدين عليه السلام مرة بعطف الله وكرمه ورحمته، ويتبع هذه المرة أسلوباً آخر فيه تعلّق من نوع خاص بالله سبحانه وحوار جميل مع الله تعالى.

أربعة أبحاث:

وحيث تحدثت هذه الفقرة من الدعاء عن النار، فإن ههنا أربعة أبحاث:

١ _ هناك بحث في فلسفة الجنة والنار.

٢ _ وبحث قرآني عن كيفيتهما.

٣ _ وبحث روائي في الاتجاهات نحوهما.

٤ _ وبحث عن مبادئ وقوانين تكون في مفترق الطرق بين الجنة و النار.

فلسفة خلق الجنة والنار؟

لماذا خلق الله الجنة والنار؟ ولماذا نحذّر الناس بقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾[1] **نبشرهم بقوله تعالى** ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[2] **و**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[3] **و**﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾**؟**[4] **إنّه سؤال مهم _ لماذا خلق الله الجنة والنار؟**

---

(1) غافر: ١٨.

(2) البقرة: ٢٥.

(3) الأحزاب: ٤٥.

(4) الشورى: ٧.

هناك جوابان:

الأوّل جواب فلسفي، والثاني جواب علمي.

الجواب الفلسفي: إنّ خلق الجنة والنار هو مقتضى العدالة والحكمة الإلهيه . فالله تعالى له ثلاث صفات : عادل، وحكيم، ورحيم، وهذه الصفات الثلاثة هي التي تفلسف خلق الجنة والنار، فبدونهما لا توجد عدالة ولا رحمة ولا حكمة، فهل إن دخول الظالم والمظلوم معاً إلى الجنة هو عدالة؟

وهل من العدالة نجاح جميع الطلاب، المجدّين منهم والكسالى؟

واذا دخل الجميع جهنم فأين الرحمة؟

كما أن خلاف الحكمة الإلهية أن لا يخلق جنة ولا نار. لقد خلق الله الإنسان للتكامل و ليس للفناء ، وهو خليفة الله في الأرض، وله امتداد إلى ما بعد فناء الحياة الدنيا. إنّ الإنسان مؤهل لأن يعود إلى الله ويرتقي إلى مقامات إلهية، كالطلاب الذين ينجحون في مرحلة الاعدادية فإنّهم يريدون التكامل في الجامعة، فمقتضى الحكمة الإلهية هو أن توجد آخرة بعد الدنيا لتكامل الإنسان وهي فرصة فتحها له وليس من الحكمة أن تضيع.

هذا هو الجواب الفلسفي.

أما الجواب العلمي:

فهو إن الجنة والنار هما نتيجة تكوينية لعمل الإنسان، كقانون الطبيعة فكما إنّ من يشرب السم يموت، ومن يلقي بنفسه من الطابق العاشر فإنه يتكسر ويموت، والتغذية الصحية توجد العافية والعكس بالعكس، فكذلك الاعمال الصالحة تكون نتيجتها التكوينية هي الجنة في ما بعد الموت، والأعمال السيئة تكون نتيجتها التكوينية هي النار فيما بعد الموت.

لنلاحظ هذه الآيات:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.(١)

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾.(٢)

﴿هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.(٣)

إن هذه الآيات القرآنية تؤكد على أن الثواب والعقاب في الآخرة هو نتيجه تكوينية تشبه الحصاد لما تزرعه ، فمن زرع شوكاً يحصد شوكاً، ومن يزرع عنباً يحصد عنباً.

بحث قرآني عن كيفية الجنة والنار:

في البحث القرآني عن كيفية الجنة والنار نسأل: هل الجنة مخلوقة؟ وهل هي من الأمور المادية أم المعنوية؟

الجواب: إنّ الجنة ـ وكذلك النار ـ لها شأن مادي، قال تعالى:

﴿فِيهِما عَيْنانِ نَضّاخَتانِ﴾.(٤)

﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ﴾.(٥)

﴿مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ﴾.(٦)

﴿وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾.(٧)

﴿فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ﴾.(٨)

---

(1) الزلزلة: ٧ و٨.
(2) آل عمران: ٣٠.
(3) التوبة: ٣٥.
(4) الرحمن: ٦٦.
(5) الرحمن: ٧٢.
(6) الكهف: ٣١.
(7) فصلت: ٣١.
(8) الرحمن: ٥٢.

﴿أَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾.(١)

فهذه أمور نألفها في الدنيا ونجدها في الآخرة بشكل محسّن. ولربما يقول قائل: إنّ الله يريد أن يقرب لاذهاننا الجنة فيصف لكم هذه الأوصاف، فنقول: إن ظاهر القرآن هو وجود هذه الصفات بالفعل، ولا مبرر إلى تأويل القرآن وحمل الآيات على خلاف ظاهرها.

وقد يقال: هل النار حالة معنوية روحيّة وليس لها شأن مادي، كما نراه في الكابوس في المنام مثلاً. أم إنّها حقيقة ماديّة؟

نقول إنّها موجودة حقيقة، وهي ذات شأن مادي، قال تعالى عن الجلود التي تشهد على الإنسان قولها:

﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.(٢)

إذن توجد جلود تشهد، وكلما نضجت في النار أبدلها الله بجلود أخرى.

وقال تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ﴾.(٣)

إنّ الجنة والنار هما حصيلة عمل الإنسان وينكشف ذلك يوم القيامة.

هل هما موجودان بالفعل؟

الجنة موجودة بالفعل ـ وكذلك النار ـ وهي مواكبة لنا لكنها ليست مكشوفة حالياً.

إذن وجودها فعلي، ولكن اللقاء بها يتأخر، كالدواء الذي تتناوله لعلاج الصداع، فإنّك تشفى منه بعد فترة وهو موجود في بدنك بالفعل. والدليل القرآني هو قوله تعالى:

﴿وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا﴾.(٤)

---

(1) محمد: ١٥.
(2) فصلت: ٢١.
(3) الحاقة: ٣٢.
(4) الزمر: ٤٨.

إن عبارة (بدا) تعني ظهر، ومعنى ذلك أن الأمر كان موجوداً لكنه يظهر في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1] والغفلة عن الشيء تعني أنه موجود حولك بالفعل لكنك غافل عنه.

ويؤيد ذلك ما ذكر في روايات المعراج، فقد عرج بالنبي ﷺ إلى الجنة، حيث يقول: «رأيت الملائكة يبنون قصراً...».[٢]

وما ورد من أن «شجرة الزقوم أصلها في النار وأغصانها في بيوت الفاسقين».[٣]

توجد رواية بهذا النص عن شجرة طوبى وهي عن النبي ﷺ أنه قال لعليّ عليه السلام: وأنت صاحب شجرة طوبى أصلها في دارك وأغصانها في دور شيعتك.[٤]

الجنة والنار إذن موجودتان فعلاً ولكن لا نراهما.

ومما يدل عليه قول الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه يوم عاشوراء: «هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله ﷺ والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم ويستبشرون بكم».[٥]

أبواب الجنّة:

عن الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا... وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت».[٦]

---

(1) ق: ٢٢.
(2) انظر وسائل الشيعة للحر العاملي: ٧ / ١٨٨.
(3) انظر ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٧٢.
(4) غاية المرام للسيد هاشم البحراني: ٣ / ١٠١.
(5) الخصال للشيخ الصدوق: ٤٠٨ / ح ٦.
(6) الخصال للشيخ الصدوق: ٤٠٨ / ح ٦.

قوانين الآخرة:

في القيامة قوانين وليس فيها فوضى.

هناك ثلاث قوانين:

قانون العمل، وقانون الرحمة، وقانون الشفاعة.

أما قانون العمل، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها﴾.[2]

وأما قانون الرحمة، فقد ورد في الحديث الشريف: «وإنّ الله ينشر رحمته يوم القيامة حتى يطمع إبليس في رحمته».

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «يؤتى بعبد يوم القيامة ظالم لنفسه، فيقول الله له: ألم آمرك بطاعتي؟ ألم أنهك عن معصيتي؟ فيقول: بلى يا رب ولكن غلبت عليّ شهوتي، فإن تعذبني بذنبي لم تظلمني، فيأمر الله به إلى النار، فيقول: ما كان هذا ظني بك، فيقول: ما كان ظنك بي؟ قال: كان ظني بك أحسن الظن، فيأمر الله به إلى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: لقد نفعك حسن ظنك بي الساعة».[3]

أمّا قانون الشفاعة فقد جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنّه خلق مائة رحمة، جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم».[4]

---

(1) النجم: ٤٠.

(2) الاسراء: ١٩.

(3) بحار الأنوار: ٧ / ٢٨٨ / ح٤.

(4) بحار الأنوار: ٨ / ٤٤ / ح٤٤.

وفـي الروايـة عـن النبـي ﷺ: «فـإذا كـان يـوم القيامـة أضـاف هـذه الرحمـة الواحـدة إلـى تسـع وتسـعين رحمـة فيـرحم بهـا أمـة محمّـد ﷺ، ثـم يشـفعهم فـيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة».(١)

حتـى أنّ الواحـد يـأتي إلـى الشـيعي يقـول لـه إشـفع لـي لأنـي سـقيتك يومـاً ماء، فيشفع له.

هذه هي رحمة الله و جماله وجلاله الذي يظهر يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(1) انظر بحار الأنوار: ٤ / ١٨٣ / ح ١٠.

المحاضرة السابعة والعشرون:

مراحل حياة الإنسان

«وَأَعِنِّي بِالْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِي، فَقَدْ أَفْنَيْتُ بِالتَّسْوِيفِ وَالْآمَالِ عُمُرِي».

مراحل حياة الإنسان:

يقول فلاسفة الإسلام أنه لدنيا حياة قبل الدنيا، وحياة في الدنيا، وحياة بعد الدنيا.

هذه ثلاث مراحل، هناك أحاديث عميقة عن القبر ومنكر ونكير والبرزخ وتطاير الكتب والحساب الميزان والتمايز ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(1) وفيها أعماق فلسفية لابد من موجز عنها للفائدة العلمية والثقافية.

يستطيع الإنسان بأدواته العلمية الحديثة أن يفهم شيئاً عن الحياة الدنيا، ولكنه لا يملك عمّا قبل الدنيا وبعد الدنيا علماً لأنه من اختصاص الدين، هذا علم الأديان. العلم أعمى بالنسبة إلى الحياة قبل الدنيا، لكنه يعرف حياة الجنين منذ أن يُخلق إلى أن يولد ويكبر. العلم الحديث يبيّن معلومات عن الجسم البشري من قبيل أنّه مركب من ٢٠٦ قطعة عظم ومن فقرات وأسنان وعظام، وأنّ طول شرايين جسم الإنسان هي ٦٠٠ ألف كم، وأنّ بداية الحياة البشرية كانت قبل ١٣٧ مليون سنة وذلك من خلال الآثار، ويقول العلم الحديث إنّي لم اكتشف بداية الحياة البشرية ولكني اكتشفت إنسان ما قبل التاريخ (النايدرتال) ولا يدري هل كان له عقل أم لا؟.

الدين يقول أنّ بداية الحياة البشرية هي آدم وحواء، فهو يمثل المرحلة الأخيرة من الحياة البشرية وهي البداية التأريخية التي يتحدث عنها القرآن الكريم ويصف مرحلة آدم بأنّها أكمل المراحل.

إنّ الفاصل الزمني بيننا وبين آدم عليه السلام هو ما يقرب من عشرة آلاف

---

(1) الشورى: ٧.

سنة أو أقل، وهو ليس كبيراً. ولو حسبنا تأريخ الأنبياء فنهاك ٢٢ مرحلة نبوية تمثلت في آدم، شيث، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، صالح، إسحق، إسماعيل، لوط، يوسف، شعيب، سليمان، أيوب، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، ثم نبينا محمد ﷺ، كل مرحلة استفرقت حوالي ١٠٠ عام فيكون المجموع ٢٢٠٠ عاماً، وإذا أضفنا إليها الفترة بين عيسى عليه السلام ونبينا وهي ٥٠٠ عام، وأضفنا نبوة نوح التي استمرت ٩٥٠ سنة والفاصلة بيننا وبين نبينا ﷺ وهي ١٤٢٥ سنة يكون المجموع على هذا الفرض ٥٠٧٥ عاماً كحد أدنى، ومهما أردنا أن نضيف إليه من فقرات زمنية ليس فيها نبي فإن المجموع سوف لا يزيد على كل الاحوال على عشرة آلاف عاماً.

رحم الله العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان وهو من روائع مدرسة شيعة أهل البيت عليهم السلام، له كتاب باسم (الرسائل التوحيدية) ويتضمن رسالة الإنسان قبل الدنيا وفي الدنيا وبعد الدنيا.

والشيخ عباس القمي له كتاب جميل هو (منازل الآخرة) ويتحدث فيه عن مراحل ما بعد الحياة الدنيا، ويتحدث عن أهوال كل مرحلة والنجاة منها.

وللسيد عبد الله شبر كتاب باسم (المرآة الناظرة إلى منازل الآخرة) وفيه يتحدث عن ما يحدث بعد الموت.

كتب علماؤنا عن حياة الإنسان بعد الموت، وكتب العلم عن الحياة في الدنيا، ويتحدث العلماء عن انسان ما قبل التاريخ ولا يعرفون هل كان عاقلاً أم لا، ودارون يرجع الإنسان إلى قرد تطور وأصبح انساناً، ولكن العلم يتعامل مع رأيه كفرضية وليس له دليل اثبات ليصبح حقيقة علمية.

الديناصور يشبه الطير فهل هو أصل الطير؟

القرآن الكريم يقول أنّ الإنسان خُلق دفعة واحدة ولم يتطور كما يقول دارون، ولا يعني ذلك أن دارون كافر ويجب إعدامه.

سُئل الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﴿﴾ **عن رأيه في نظرية دارون، فأجاب: أنّها تخالف ظاهر القرآن حيث قال:** ﴿إِنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾[1] و ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾[2] **فالإنسان خلق بالاصالة وليس باستنساخ حيوان.**

قال رسول الله ﷺ **لجابر الأنصاري: «بلى والله، لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم، أنت يا جابر في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين».[3] وهذا هو عالم الدنيا وصورة إجمالية عن الإنسان قبل الدنيا.**

الدين يقول أنّ الإنسان كان له نشأة وحياة أخرى قبل الدنيا، وبمرور ملايين السنين هبط كما هبط آدم إلى الأرض، وفي ذلك العالم الاجمالي قبل الدنيا عرفنا الله سبحانه جميعاً وأشهدنا في عالم عظيم هو عالم الذر، وأخذ الاقرار بانّه الرب، قال تعالى: ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾.[4]

وهناك عالم آخر هو عالم الميثاق حيث أخذ الميثاق من الإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾.[5]

إنّ عالم الميثاق قبل الدنيا، قال تعالى: ﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾[6] **وفي هذه الآية بحث عن معنى الهداية والجبر، حيث تدل الآية ــ كما في بعض التفاسير ــ أن من كان كافراً في ذلك العالم يبقى كافراً في هذه الدنيا أيضاً.**

---

(1) آل عمران: ٥٩.
(2) السجدة: ٨.
(3) الخصال للشيخ الصدوق: ٦٥٢/ ح ٥٤.
(4) الأعراف: ١٧٢.
(5) الأحزاب: ٧.
(6) الأعراف: ١٠١.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنّ الله خلق الخلق فخلق ما أحب مما أحب وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق ما أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار».(١)

فلسفة الحياة الدنيا:

ما هي فلسفة الحياة الدنيا؟

إنها تهدف العودة التكاملية إلى الله تعالى، كالسيارة التي تُغسل، فالله يريد من الإنسان في الدنيا أن يدخل الحمام ليغسل، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(٢) **فالهدف هو القرب من الكمال وأداته هو العمل الصالح.**

تقول: أصلي صلاة الصبح قربة إلى الله تعالى فهذا سير إرادي، وأداة السير هي العمل الصالح والقلب السليم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.(٣)

وفي الرواية: دخل اعرابي الجنة بكلمتين: «إلهي إن تعذّبني فأنا أهل لذلك، وإن ترحمني فأنت أهل لذلك» المقصود طبعاً هو أن نعمل أعمالنا الصالحة ثم نقول الجملتين بقلب سليم.

من وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أبا ذر، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قب شغلك، وحياتك قبل موتك».(٤)

---

(1) شرح أصول الكافي للمازندراني: ٧ / ١٢٩.

(2) الملك: ٢.

(3) الشعراء: ٨٨ و٨٩.

(4) وسائل الشيعة: ج ١ / ص ١١٤ / ح ٢٨٥ / ١٣.

كل الأحاديث تؤكد على أهمية الاقرار بالذنب، فإن لم يكن لنا عمل صالح فعندنا فضيلة الاقرار بالذنب. وهذا تفسير ما نحن بصدده اليوم، وهذا أول درجات التوبة.

قال آدم: إلهي سلّطت علي ابليس وهو يجري مجرى الدم في العروق، فأعطني يا إلهي شيئاً أتمكن به الانتصار على ابليس.

قال الله تعالى: «جعلت لك أن من همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، ومن هم منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشراً».

قال: يا رب زدني.

قال: جعلت لك أنّ من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له.

قال: يا رب زدني.

قال: جعلت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه.

قال: يا رب حسبي.[١]

الله رحيم إن تبت تاب عليك. عليك أن تستفيد من الفرصة لانك لا تدري متى تموت.

عن النبي ﷺ: «من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه».

ثم قال ﷺ: وإنَّ السنة لكثير، ومن تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال ﷺ: وإن الشهر لكثير، ومن تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته.

ثم قال ﷺ: إن الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته.

ثم قال ﷺ: إن يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته.[٢]

هذه ليالي التوبة ورحمة الله، أوّل التوبة هو الاقرار بالذنب.

---

(1) الكافي للشيخ الكليني: ٢: ٤٤ / ح ١.

(2) الكافي للشيخ الكليني: ٢: ٤٤ / ح ٢.

يقول الإمام: «إلهي إن كان قد دنا أجلي ولم يقرّبني منك عملي فقد جعلت الاقرار بالذنب وسيلتي إليك». «فإن عفوت فمن أولى منك بذلك، وإن عذّبت فمن أعدل منك في الحكم».

ويقول: «فإن عذّبت فغير ظالم، وإن عفوت فخير راحم».

الحياة بعد الدنيا:

حديثنا عن الحياة بعد الدنيا.

الإمام السجاد عليه السلام ينقلنا في بعض مقاطع هذا الدعاء إلى مشاهد الموت والقبر ومنكر ونكير والنشر والحشر والعرض على الله تبارك وتعالى، وهذه المشاهد ليس للعلم سبيل إليها بل يعتمد على الوحي.

إنّ كشف ماوراء الدنيا من مهمات الدين الذي يعتمد على الغيب، والنبوة هي التي تكشف لنا ذلك وليس المختبر.

الفلسفة المادية والواقعية:

هناك فلسفتان: مادية وواقعية، وفلسفتنا نحن أبناء الأديان والمؤمنون بالله فلسفة واقعية مقابل المادية الالحادية، وقد ناقشها شهيدنا السيد محمد باقر الصدر قدس سره في كتاب (فلسفتنا).

إنّ الفلسفة المادية لا ترى في الوجود إلاّ المادة التي تخضع للمختبر، ولا وجود لغيرها من قبيل الروح واليوم الآخر و...وتقول هذه الفلسفة إنّي لا أؤمن بشيء لا يخضع للتجربة.

هناك مناقشات بشأنها، وقد ثبت أنّ هناك ما هو وراء الماديات، وهكذا حقيقة الإنسان فما تزال روح الإنسان عنصر مجهول.

نعتقد أنّ هناك وجوداً مادياً كالماء والخشب والحجر، وهناك وجوداً

غير مادي كالعقل والروح وهو وجود ميتافيزيقي أي غير مادي، وكالعلاقة الروحية القلبية والحب بين شخصين بينهما آلاف الكيلومترات مكانياً وعشرات أو مئات السنين زمانياً.

أدواتنا المعرفية هي الحسّ والتجربة في الأمور المادية، والوحي في ما وراء المادة كالملائكة والميزان وتطاير الكتب حيث لا مجهر ولا تلسكوب ولا مختبر، فلا جهاز يستطيع أن يصور الموت، وليس العلم بقادر على أن يعرف أين تذهب روح الإنسان بعد الموت، أو ما هو منكر ونكير أو الحساب والنشر والحشر والميزان و... قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1] و﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2] و﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[3]

قبل أيام دُعي أصحاب اجهزة الاتصالات لإرسال أمواجهم الصوتية عبر الموبايلات إلى الفضاء الخارجي لعلهم يحصلون على جواب. إنّهم مساكين ربما وقعوا في خدعة صنعتها المخابرات، وقضيتهم كقضية الأطباق الطائرة، مثلث برمودا، أبو طبر، والزرقاوي.

يُنقل أن رجلا يهوديا وكان أغنى رجل في ألمانيا انتحر لأنه جرّب كل لذائذ الحياة فأراد أن يعرف ما هو الموت.

وأراد فرعون أن يطلع على إله موسى عليه السلام فبنى بناية عالية.

وأراد الحواريون أن يخضعوا عالم الغيب إلى العالم المادي، فقالوا لعيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.[4]

---

(1) الكهف: ١١٠.
(2) فاطر: ٢٤.
(3) الحجر: ٤٩.
(4) المائدة: ١١٣.

ومن لطف الله بعيسى أن خلّصه من هذه التجربة فأنزل المائدة.

وقد حاول الأنبياء أن يوضحوا أنّ الإيمان بالغيب لا يمكن إخضاعه للماديات.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتى﴾[١] قال له: خذ أربعة طيور ثم إذبحها وقطّعها واخلطها ثم ضع اشلاءها على عشرة جبال، وبعد أن وضعها ناداها: أيتها الطيور إرجعن باذن الله، فأخذت أعضاؤها تجتمع وتبدلت إلى طيور ورجعت إليه.

وقال تعالى ﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي﴾[٢] إهتز الجبل وجعله الله دكاً فأُغمي على موسى عليه السلام ثم أفاق وقال ﴿سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[٣]

هذه تجارب تؤكد ان ماوراء المادة لا يمكن ان يخضع للمادة.

إذا أردنا معالجة المرض نذهب إلى الطبيب ونستعمل الدواء. وإذا أردنا أن نعرف ماوراء الغيب فمسؤوليتنا هي اتّباع الوحي وهذه لغة الأنبياء.

لعالم الدنيا قانون، ولعالم الآخرة قانون وأدوات وعّدة، والقرآن الكريم هو الذي يعلمنا، وهذا من فضل الله سبحانه ولولاه من الذي يعلّمنا؟

يقول القرآن الكريم: ﴿الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.[٤]

ويقول: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى * ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى﴾.[٥]

فالعمل الصالح والقلب السليم هما العدة للآخرة.

---

(1) البقرة: ٢٦٠.
(2) الأعراف: ١٤٣.
(3) الأعراف: ١٤٣.
(4) الكهف: ٤٦.
(5) النجم: ٤٠ و٤١.

المسافة بين الأرض والشمس هي ٩٣ مليون ميل (حوالي ١٤٠ مليون كم) وهي أقرب الأجرام السماوية للأرض، وهذه المسافة لا شيء قياساً إلى نجم أوقا الذي يبعد عن الأرض ٢ سنة ضوئية، وهناك نجم عملاق يدعى (الجوزاء) يبعد مليوني سنة ضوئية!

أما عالم ما وراء المادة فليس فيه مسافات مادية، ولذلك عرج رسول الله ﷺ إلى السموات في وقت قصير.

إنّ جوهر الإنسان هو الروح، ولكنها في هذه الدنيا أسيرة أدوات الادراك المادية عندنا. وبمجرد أن يكشف الغطاء عن أعيننا نجد الملائكة والشهداء والأنبياء بدون فاصلة، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.(١)

ما هي أدوات الآخرة والوصول إليها؟ يقول القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٢)

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسُنَّة هدىً سنَّها فهي يُعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعو له».(٣)

عوالم ما بعد الدنيا:

هناك مجموعة عوالم ما بعد الحياة الدنيا.

يصف الوحي ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾(٤) إنّها عوالم رهيبة فيها من الأهوال ما لا يُوصف.

---

(1) الروم: ٧.
(2) الشعراء: ٨٨ و٨٩.
(3) الكافي للكليني: ٧ / ٥٦.
(4) الحج: ٤٧.

ينقل القرآن الكريم بعض مشاهدها، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأَنْباءِ ما فيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.(٣)

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذي يُوعَدُونَ﴾.(٤)

وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ سِراعاً﴾.(٥)

ماذا بعد الموت:

وفي رواية يرويها أبو حمزة الثمالي يقول: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: **ما يُصنع بأحدنا عند الموت؟**

قال: أما والله يا أبا حمزة ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله، ومكانه منا، إلاّ أن تبلغ نفسه ها هنا، ثم أهوى بيده إلى نحره.

ألا أُبشّرك يا أبا حمزة؟

قلت: بلى جعلت فداك.

فقال: إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله **وعليّ معه يقعد عند رأسه، فيقول رسول الله** صلى الله عليه وآله**: أما تعرفني؟**

أنا رسول الله هلّم إلينا، فما أمامك خير لك مما خلّفت، أما ما كنت تخاف فقد أمنته، وأما ما كنت ترجوه فقد هجمت عليه، أيتها الروح أخرجي إلى رَوحِ الله ورضوانه.

---

(1) القمر: ٤ - ٦.
(2) القمر: ٨.
(3) القمر: ٨.
(4) الزخرف: ٨٣.
(5) المعارج: ٤٣.

ويقول له عليّ عليه السلام مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم قال: يا أبا حمزة ألا أخبرك بذلك من كتاب الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الْآخِرَةِ﴾.[1]

بكاء الإمام عليه السلام:

مع كل هذا فإنّ أئمتنا الأطهار يعرفون مخاطر تلك الساعات، ولذا لا يتركون البكاء خوفاً من تلك الأهوال.

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يقول: «أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي، أبكي لخروجي عريانا ذليلا حاملا ثقلي على ظهري، أنظر مَرةً عن يميني وأخرى عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه».

* * *

(1) بحار الأنوار: ٦ / ١٧٨ / ح ٦ رقم الآية: ٦٤ من سورة يونس.

المحاضرة الثامنة والعشرون:

الطريق إلى رضى الله تعالى

«فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا نَقَّيْتَ مِنَ الشِّرْكِ قَلْبِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى بَسْطِ لِسَانِي، أَ فَبِلِسَانِي هَذَا الْكَالِّ أَشْكُرُكَ أَمْ بِغَايَةِ جُهْدِي فِي عَمَلِي أُرْضِيكَ».

ما قدر لساني تجاه شكر الله؟

وما عسى أن يبلغ عملنا قياساً إلى فضل الله؟

إنّ أسمى هدف للإنسان المؤمن في الحياة هو أن يبلغ رضا الله تعالى، وحينئذ ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

شكا بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ما يواجهونه من ضغط الحصار والاتهامات، فقال الإمام عليه السلام: يا هشام لو كان في يدك جوزة، وقال الناس [في يدك] لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس: إنها جوزة ما ضرك وأنت تعلم أنها لؤلؤة.[1]

بيدكم يا شيعة أهل البيت لؤلؤة الإيمان وجوهر الولاية، أنتم الفائزون يوم القيامة.

رضا الله هو الهدف، وذلك مذكور في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً﴾.[2]

﴿تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً﴾.[3]

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً﴾.[4]

رضا الله عن الإنسان وبالعكس:

نتحدث هنا عن خمسة مواضع في القرآن تبين الترابط بين رضا الله عن الإنسان وبين رضا الإنسان عن الله تعالى.

---

(1) بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٠٠.

(2) المائدة: ٢.

(3) الفتح: ٢٩.

(4) الحشر: ٨.

هنـاك كثيـر مـن النـاس المسـاكين يشـكون وغيـر راضـين عـن الله سـبحانه، ولذلك فإنّ الله لا يرضى عنهم.

إذا كنـت تحـب الله فـإنّ الله يحبـك، مـن كـان يحـب الله ويحـب المجـالس الإلهية ثقوا فإنّ الله يحبه، فالحب متبادل ومن طرفين، وهكذا الرضا على الله.

فـي سـورة البينـة قـال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.[1]

خير البرية:

هناك ٢٣ رواية تبين أنّ خير البرية هم علي عليه السلام وشيعته، أقرأ لكم روايتين:

الروايـة الأولـى: دخـل علـي عليه السلام علـى رسـول الله فـي بيـت أم سـلمة، فلمـا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كيف أنت يا علي؟ ... ودُعي الناس إلى ما لابد منه.

قال: فدمعت عين أمير المؤمنين عليه السلام.

فقـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: مـا يبكيـك يـا علـي، تُـدعى والله أنـت وشـيعتك غـراً محجّلـين رواء مبيضـة وجـوهكم، ويُـدعى بعـدوك مسـودة وجـوههم أشـقياء معذبين، أمـا سـمعت قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ **أنت وشيعتك.**[2]

الروايـة الثانيـة: أتـى رجـل إلـى رسـول الله صلى الله عليه وآله فقـال: يـا رسـول الله علمنـي شـيئاً ينفعنـي الله بـه، قـال صلى الله عليه وآله: «عليـك بـالمعروف فإنّـه ينفعـك فـي عاجـل دنيـاك وآخرتـك... مـع كـل النـاس وأينمـا كنـت ولـو بكلمـة طيبـة، لا تقـول إنّ فـلان يستحق وفلان لا يستحق، والاّ فما هو فضلك عليه؟

---

(1) البينة: ٧ و٨.

(2) الأمالي للشيخ الطوسي: ١٤١٤ / ح ٢١.

إذا أساء إليك شخص فعليك أن تذكره بخير وتتذكر صلة الرحم وغيرها.

في الجمهورية الاسلامية إذا ركب شخص سيارة الأجرة ولم تكن معه الأجرة قال له السائق: إذهب ولكن صلّ على محمد وآل محمد، هذا هو الأجرة.

وبينما كان الرجل يتحدث مع النبي ﷺ إذ أقبل عليّ، فقال: يا رسول الله، فاطمة تدعوك، قال: نعم.

فقال الرجل: من هذا يا رسول الله؟

قال ﷺ: هذا من الذين يقول الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.(١)

في سورة المائدة قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.(٢) **حيث نلاحظ هنا الترابط بين الرضا المتبادل بين الله والإنسان.**

وفي سورة المجادلة قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.(٣)

قال سلمان الفارسي: قلما طلعت على رسول الله ﷺ يا أبا الحسن وأنا معه. إلاّ ضرب بين كتفي وقال: يا سلمان، هذا _ ويشير إلى علي _ وحزبه هم المفلحون.(٤)

وفي سورة التوبة قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

---

(1) بحار الأنوار / المجلسي: ٣٨ / ٨.

(2) المائدة: ١١٩.

(3) المجادلة: ٢٢.

(4) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ١/ ٨٩.

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[١]

في سورة الفجر، قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٢] **بما أعد الله تعالى.**

في تفسير عليّ بن إبراهيم: الحمد لله لقد صدقنا الله وعده، إذا حضر المؤمن الوفاة نادى منادٍ من عند الله: يا أيتها النفس المطمئنة بولاية علي إرجعي مطمئنة إلى ربك بولاية علي مرضية بالثواب.[٣]

صاحب الإمام الحسن عليه السلام:

كان للإمام الحسن بن عليّ عليه السلام صديق وكان ماجنا،[٤] فتباطأ عليه أياماً فجاءه يوما فقال له الحسن عليه السلام: كيف أصبحت؟

فقال: يا ابن رسول الله أصبحت بخلاف ما أحب ويحب الله ويحب الشيطان.

فضحك الحسن عليه السلام ثم قال: وكيف ذاك؟

قال: لان الله عز وجل يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك، والشيطان يحب أن أعصي الله ولا أطيعه ولست كذلك، وأنا أحب أن لا أموت ولست كذلك...».[٥]

حقيقة الإيمان:

مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على جماعة وقال: من أنتم؟

قالوا: مؤمنون.

---

(1) التوبة: ١٠٠.

(2) الفجر: ٢٨.

(3) انظر بحار الأنوار: ٦: ١٨٢/ ح١١.

(4) المجن: خلط الجد بالهزل، لسان العرب: ج ١٣ / ص ٤٠٠.

(5) معاني الأخبار / الشيخ الصدوق: ص ٢٨٩ / ح ٢٩.

قال ﷺ: فما حقيقة إيمانكم؟

قالوا: الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله.

فقال الرسول ﷺ: علماء حكماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء.(١)

المؤمن عند الموت:

عن الصيرفي قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: جعلت فداك، هل يكره المؤمن على قبض روحه؟

قال عليه السلام: لا والله، إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع، فوالذي بعث محمداً ﷺ لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينك فانظر.

قال: ويتمثل له رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، فيقال له: هذا رسول الله، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام رفقاؤك؟

قال: فيفتح عينه فينظر فينادي روحه منادٍ من قبل رب العزة فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة إلى محمد وأهل بيته ارجعي إلى ربك راضية بالولاية مرضية بالثواب، فادخلي في عبادي يعني محمداً وأهل بيته وادخلي جنتي. فما شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي.(٢)

كيف نحصل على الرضى:

حديثنا عن الرضا الإلهي والرضا الإنساني، رضا الله سبحانه عن الإنسان، ورضا الإنسان عن الله.

---

(1) الخصال للشيخ الصدوق: ١٤٦ / ح ١٧٥.

(2) بحار الأنوار ٥٨: ٤٨ / ح ٢٤.

كيف نحصل على رضا الله علينا، وكيف نكون راضين عن الله تعالى؟

هناك رضاءان ممدوحان ورضاءان مذمومان، فيجب أن نعرف الرضا فيما بيننا هل هو ممدوح أو مذموم؟

رضاءان ممدوحان:

الرضا الممدوح الأوّل هو أن ترضى بقضاء الله وقدره وترضى عن الله. قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.[1] إنّ الرضا الممدوح من آداب الإسلام الجميلة ومن علامات المؤمن.

نقول في زيارة الإمام علي عليه السلام المعروفة بزيارة أمين الله: «اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك».[2]

على الشيعة حفظ هذه الزيارة، ففيها مجمل المعاني الاسلامية والعلاقة مع الله وأهل البيت عليهم السلام.

الرضا الممدوح الثاني هو رضا المؤمن عن المؤمنين الآخرين، أي ترضى منهم بالقليل كما تريد أن يرضوا عنك، فالعتب على الناس عقدة نفسية ومرض، المفروض هو تبادل الرضا بين الناس، إذا قال المؤمن أعتذر فاعذره وارضَ عنه، وارضَ له ما ترضاه لنفسك، أحبب لأخيك ما تحب لنفسك، واكره لأخيك ما تكره لنفسك.

الناس في قبضة إبليس:

إنّ إبليس الذي يقول القرآن الكريم أنّه مسلط على المرضى وليس على المؤمنين، يقول: خمسة أشياء ليس لي فيهن حيلة وسائر الناس في قبضتي:

١ _ من اعتصم بالله، واتّكل عليه.

---

(1) المائدة: ١١٩.

(2) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٧٣٨.

٢ _ من كثر تسبيحه في ليله ونهاره.

٣ _ من رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه.

٤ _ من لم يجزع على المصيبة حين تصيبه.

٥ _ من رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه.[١]

وفي الرواية عن الصادق عليه السلام: «من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله عنه باليسير من العمل»[٢] أي التعامل يكون بالمثل.

رضاءان مذمومان:

الرضا المذموم الأول هو أن يرضى الإنسان عن نفسه، والاعجاب بالنفس حالة مذمومة.

سأل موسى عليه السلام ابليس يوماً: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟

قال: «إذا أعجبته نفسه» «واستكثر عمله»، «وصغر في عينه ذنبه».[٣] فهذه ثلاث عوامل لسيطرة إبليس على الإنسان.

سبعة من كمال الإيمان:

روي عن الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي، سبعة من كن فيه فقد استكمل حقيقة الإيمان. وأبواب الجنة مفتحة له».

«يا علي من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وسجن لسانه، وكف غضبه، واستغفر لذنبه، وأدّى النصيحة إلى أهل بيت النبوة، فقد استكمل حقائق الإيمان وأبواب الجنة له مفتحة».[٤]

---

(1) الخصال للشيخ الصدوق: ٢٨٥.

(2) بحار الأنوار ٧٥: ٢٧٠ / ح ١١٠.

(3) الأمالي للشيخ المفيد: ١٥٧.

(4) انظر الخصال للصدوق: ٣٤٦.

أنا مسرور، فإنّ هذه الصفات موجودة عند أغلب شبابنا والحمد لله.

في الجمهورية الإسلامية كنت أتأمل كثيراً مع شهيد المحراب السيد الحكيم قدس سره: كيف سنواجه الثقافة التي بناها صدام في العراق، فالمنبر الحسيني ممنوع والثقافة الاسلامية ممنوعة، ولكن كلمة الله هي العليا فإنّ الشاب العراقي اليوم يغلي بحب الإسلام وأهل البيت عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾.[١]

الرضا المذموم الثاني هو الرضا عن الفاسقين، كالذي يرضى عن البعثيين الذين قتلوا الناس وظلموهم ٣٥ عاماً.

روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «أمرنا رسول الله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة».[٢]

وعد الله سبحانه رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله بالرضا كما وعد المؤمنين بالرضا.

قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٣] **وقال** ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.[٤]

عن النبي صلى الله عليه وآله: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي فيقول: أرضيت يا محمّد؟ فأقول: نعم رضيت».[٥]

أرجى آية في القرآن:

يناقش الإمام الباقر عليه السلام أبناء المذاهب الأخرى: أنتم تقولون أنّ أرجى آية هي قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٦] **ولكن عندنا أهل البيت هي آية اخرى هي قوله تعالى:** ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٧] **يعني الشفاعة.**

---

(1) التوبة: ٣٢.
(2) الكافي للكليني: ٥ / ٥٩ / ح ١٠.
(3) الضحى: ٥.
(4) الليل: ٢١.
(5) كنز العمال للمتقي الهندي: ١٤ / ٦٣٧.
(6) الزمر: ٥٣.
(7) الضحى: ٥.

إذا محيت الذنوب ولم يكن لديك حسنات فكيف تدخل الجنة؟

بالشفاعة فقط، فإنه ﷺ يشفع لامته فيدخلها الجنة.

رضا الله هو الأفضل:

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ولَسَوْفَ يَرْضى﴾ إذا صار أهل الجنة في الجنة ودخل ولي الله إلى جنانه ومساكنه واتكأ كلُّ مؤمن منهم على أريكته، حفه خدامه وتهدلت عليه الثمار، وتفجرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار، وبسطت له الزرابي، وصفقت له النمارق، واتته الخدم بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك، قال: ويخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله. ثم إن الجبار يشرف عليهم فيقول لهم: أوليائي وأهل طاعتي وسكان جنتي في جواري ألا هل انبئكم بخير مما أنتم فيه؟ فيقولون ربنا وأي شيء خير مما نحن فيه؟ نحن فيما اشتهت أنفسنا ولذت أعيننا في جوار الكريم. فيقول لهم تبارك وتعالى: رضاي عنكم ومحبتي لكم خير وأعظم مما أنتم فيه.

قال: فيقولون: نعم يا ربنا رضاك عنا ومحبتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا. ثم قرأ علي بن الحسين عليهما السلام هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنات جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّات عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّه أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١) وهذا من فضل الله تعالى.(٢)

في يوم القيامة نجد أعمالاً مكتوبة في صحائفنا لم نعملها، وذلك لقول رسول الله ﷺ بعد رجوعه من غزوة تبوك مع الروم: إنّ بالمدينة لأقواما ما سرتم من مسير، ولا قطعتم من وادٍ إلاّ كانوا معكم فيه.

---

(1) التوبة: ٧٢.

(2) بحار الأنوار: ٨ / ١٤١ / ح ٥٧.

قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟

قال: نعم وهم بالمدينة، حبسهم العذر.[١]

معجزة تبوك:

في غزوة تبوك لما ابتعد رسول الله ﷺ عن المدينة فُقد الماء لدى المسلمين، وكان معهم الخيل والإبل ويعتمدون على الآبار والغدران في إروائها، فما هو الموقف؟

دعا رسول الله ﷺ بوعاءٍ خالٍ فوضع فيه ماءً قليلاً ثم وضع أصابعه وكفه في ذلك الوعاء، فتفجرت ماء، فشرب الجيش والإبل والخيل جميعا.[٢]

هذه القصة مكتوبة على قبر النبي ﷺ بالخط الكوفي شعراً:

يا من يقوم مقام الحمد منفرداً   للواحد الفرد لم يولد ولم يلدِ

يا من تفجرت الأنهار نابعةً   من إصبيعه فروّى الجيش بالمددِ

والحمد لله رب العالمين

* * *

(1) بحار الأنوار: ٢١ / ٢٤٨.

(2) انظر الخرائج والجرائح/ قطب الدين الراوندي ١: ٢٨/ ح١٧.

المحاضرة التاسعة والعشرون:

بحث في الصفات الإلهية

«إِلَهِـي إِنَّ جُـودَكَ بَسَـطَ أَمَلِـي، وَشُـكْرَكَ قَبِـلَ عَمَلِـي، سَـيِّدِي إِلَيْـكَ رَغْبَتِـي، وَإِلَيْـكَ رَهْبَتِـي، وَإِلَيْـكَ تَـأْمِيلِي وَقَـدْ سَاقَنِي إِلَيْكَ أَمَلِي».

الصفات الإلهية:

حديثنا عن الصفات الإلهية وهي _ كما يقول العلماء _ صفات جمال، وهي الصفات الإيجابية مثل الرحيم، القوي، البارئ، وصفات جلال، وهي الصفات السلبية مثل نفي الظلم، والعجز، والفقر.

في هذا المقطع من الدعاء يقول الإمام السجاد أنه ليس من صفاته تعالى أن يدعو أحداً ثم يرده.

إنّ دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الحقيقة هو غوص في بحر الصفات الإلهية، حيث يتوسل عليه السلام بصفات الله من قبيل: يا واسع المغفرة، أرحم الراحمين، أكرم الأكرمين.

وقد فتح القرآن الكريم لنا باب التعرف والبحث عن صفات الله، وإلاّ فما قيمتنا وما قيمة ادراكاتنا حتى نبحث فيها، أين التراب ورب الأرباب؟ لكن القرآن فتح لنا باب الغرفة بالصفات الإلهيّة.

قال تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.(١)

وقال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾.(٢)

أقسام الصفات:

الصفات الإلهية تنقسم إلى قسمين: صفات الذات، وصفات الأفعال.

---

(1) **الجمعة**: ١.

(2) **الملك**: ١.

يصف القرآن ذات الله تارة فيقول: «حي، قيوم، عالم، أحد، صمد».

ويصف أفعال الله تارة أخرى ويقول: «المحيي، المميت، الرزاق، الخالق، البارئ، المصوّر».

وورد في دعاء الافتتاح: «مسخر الرياح، فالق الإصباح، ديّان الدين»، «يخلق ولا يُخلق، ويرزق ولا يُرزق».[1]

النهي عن الوصف:

سؤال: هناك كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام يمنع فيها وصف الله تعالى بقوله عليه السلام: «إنّ أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة»[2] إذن فالإمام عليه السلام يرفض أن نصف الله تعالى، ويعتبر أن الاخلاص لله تعالى يفرض علينا أن لا نصفه، ومن هنا يأتي السؤال:_ كيف يقول القرآن الكريم إنّه ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3] ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؟[4]

الجواب: إنّ الإمام عليّ عليه السلام يقول لا تضيفوا إلى الله صفات إضافية من عندكم، أما صفاته الذاتية فلا مانع.

توضيح عن الصفات الإلهيّة:

الموجودات على قسمين: موجودات مركبة، وموجودات بسيطة، أنت مثلاً مركب من بدن وروح، ولحم وعظم ودم وشحم وقلب ووجدان.

---

(1) انظر مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٥٧٩.

(2) نهج البلاغة: ١ / ١٤.

(3) البقرة: ١٢٩.

(4) يونس: ١٠٧.

البدن + الروح الحيوانية = الحيوان.

البدن + الروح النباتية = النبات.

البدن + الروح الإنسانية = الإنسان.

يقول الفلاسفة والعلماء: إنّ الله وجود بسيط، أي أنّه غير مركب من شيئين، إنه بسيط الحقيقة، وممتد في كل الوجودات الكونية.

إن التوحيد الخالص لله تعالى يعني أن لا صفة حسنة إلاّ وهي لله، قال تعالى: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾(1) فهو الرحيم، الغفور، الجميل، الجليل، الحنان، المنان، العطوف والرؤوف... ويجب أن نتخلق بها، فقد ورد: «تخلّقوا بأخلاق الله».(٢)

كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يقال له ذو النمرة، وكان من أقبح الناس وإنما سمي ذو النمرة من قبحه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني ما فرض الله ﷻ عليّ، فقال له رسول الله ﷺ: فرض عليك سبعة عشر ركعة في اليوم والليلة، وصيام شهر رمضان إذا أدركته، والحج إذا استطعت إليه سبيلا، والزكاة، وفسرها له.

فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما أزيد ربي على ما فرض عليّ شيئاً، فقال له رسول الله ﷺ: ولم يا ذا النمرة؟ فقال كما خلقني قبيحا. قال: فهبط جبرئيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تبلغ ذا النمرة عنه السلام وتقول له: يقول لك ربك تبارك وتعالى: أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل عليه السلام يوم القيامة؟ فقال له رسول الله ﷺ: يا ذا النمرة هذا جبرئيل يأمرني أن أبلغك السلام ويقول لك ربك: أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل؟ فقال ذو النمرة: فإني رضيت يا رب، فو عزتك لأزيدنك حتى ترضى.(٣)

العلماء العرفاء كلما ازدادوا عبادة ازداد خوفهم واستغفارهم،

---

(1) الأعراف: ١٨٠.

(2) بحار الأنوار: ٥٨ / ١٢٩.

(3) الكافي: ج ٨ / ص ٣٣٦ / ح ٥٣١.

لاعتقادهم أنّهم ليسوا جديرين، ويرون أن صلاتهم هي صلاة تجارية مصلحية وكذلك سائر عباداتهم وهي ليست خالصة لوجه الله تعالى.

هكذا نحن يجب أن نعتقد بسوءنا وقبحنا، والشخص القبيح لا يمكن أن يكون جميلاً، ولكن يستطيع أن يتخلق بأخلاق الله تعالى.

من خصال المؤمن:

عن الإمام الرضا عليه السلام: لا يكون المؤمن مؤمنا حتى تكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربه، وسنّة من نبيه، وسنّة من وليه.

أما السنّة من ربه كتمان سره، قال الله عز وجل: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾.

وأما السنَّة من نبيه صلى الله عليه وآله فمداراة الناس، فإن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وآله بمداراة الناس فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾.

وأما السنّة من وليه فالصبر في البأساء والضراء، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ﴾.(١)

قصة المعلى بن خنيس:

كان المعلى بن خنيس من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقد شهد له بدخول الجنة وأوصاه بكتمان السر وإلاّ فإنّه سوف يقتل.

كان من أهل العراق، فسافر إلى المدينة فرآه الإمام عليه السلام حزيناً، فسأله: هل اشتقت إلى وطنك وأولادك؟

قال: نعم.

قال: هل تريد رؤيتهم؟

قال: نعم.

(1) الخصال للشيخ الصدوق: ٨٢.

قال عليه السلام: غضّ بصرك وافتح بصرك، فماذا ترى؟

قال: أنظر بيتي وأولادي.

قال له: غضّ بصرك وافتح بصرك، فماذا ترى؟

قال: عدت إلى المدينة، قال عليه السلام: إياك أن تذيع سرنا وإلاّ فهو الحديد.[1]

بعد مدة ألقي القبض عليه من قبل والي المنصور أبي داود العباسي، فقال له: اكتب لنا أسماء شيعة الإمام الصادق عليه السلام، قال: لا أعرفهم.

قال: أما تخاف من القتل؟

قال: لا، فأمر به أن يقتل، فقال: أريد أن أوصي بمالي، فصعد على مرتفع وقال: أيها الناس كل أملاكي للإمام الصادق عليه السلام فقتل، ووصل خبره إلى الإمام عليه السلام فغضب وذهب إلى الوالي وقال: قتلت مولاي وأخذت مالي؟

قال: لست أنا، فسجد الإمام سجدة لم يرفع رأسه منها حتى وصله خبر مقتل أبي داود.[2]

ذات يوم قال للإمام الصادق عليه السلام: «يا سيدي علّمني دعاءً يجمع كل ما أودعته الشيعة في كتبها، فقال: قل يا معلّى: «اللهم إني أسألك صبر الشاكرين لك، وعمل الخائفين منك، ويقين العابدين لك.... اللهم صل على محمّد، وآل محمّد وامنن بغناك على فقري، وبحلمك على جهلي، وبقوتك على ضعفي، يا قوي يا عزيز، اللهم صلى على محمد وآل محمد الأوصياء المرضيين. واكفني ما أهمني من أمر الدنيا و الآخرة».[3]

ولما وصل خبر مقتله إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: إني أمرت المعلى بن خنيس بأمر فخالفني، فابتلي بالحديد.[4]

---

(1) الاختصاص للشيخ المفيد: ٣٢١.

(2) انظر الهداية الكبرى/ الحسين بن حمدان الخصيبي: ٢٥٤.

(3) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٣ / ٢١٠.

(4) انظر بحار الأنوار ٢٥ / ٣٨١.

جويبر والدلفاء:

في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام يذكرها صاحب كتاب وسائل الشيعة:

أنّ رجلاً كان من أهل اليمامة يقال له جويبر أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم وحسن إسلامه وكان قصيراً دميماً محتاجاً فقيراً وكان من قباح السودان، نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وقال: يا جويبر لو تزوجت امرأة فعففت بها فرجك وأعانتك على دنياك وآخرتك.

قال: من يرغب فيّ، فو الله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال.

قال صلى الله عليه وآله: يا جويبر، إنّ الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً، وشرف بالاسلام من كان في الجاهلية وضيعاً، وما أعلم لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً إلاّ لمن كان أتقى لله منك وأطوع، إنطلق إلى زياد بن لبيد فإنّه من أشرف بني بياضة حسباً فيهم فقل له: إنّي رسول رسول الله إليك، وهو يقول لك زوّج جويبراً بنتك الدلفاء، فزوّجه إياها بعد ما راجع النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا زياد، جويبر مؤمن والمؤمن كفؤ المؤمنة، فزوّجه ولا ترغب عنه.

ولما دخل عليها جويبر ليلة الزفاف فوجئ بجمالها، وعكف يصلي من أول الليل إلى آخره والزوجة تنتظره، وفي الليلة الثانية لما نظر إليها غرق في تسبيح الله والصلاة له راكعاً ساجداً حتى الصباح، وهكذا في الليلة الثالثة.

فلما رآها أبوها غير سعيدة سألها عنه فاخبرته بحاله، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بذلك، فأرسل عليه وسأله عن سبب عزوفه عن زوجته، فقال جويبر: يا رسول الله أرى قدري وقدرها فأذكر نعمة الله فأصلي واشكر الله، فقال الرسول صلى الله عليه وآله يكفي، وعليك أن تعطي حق زوجتك.(١)

والحمد لله رب العالمين

(1) تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي: ٢ / ٦٠٦، الكافي للشيخ الكليني: ٥ / ٣٤٣.

المحاضرة الثلاثون:

نظرية الخضوع الكوني

«وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُكَ وَفِي قَبْضَتِكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَكَ، تَبَارَكْتَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ».

نظرية الخضوع الكوني:

كل الكائنات والمخلوقات والجمادات خاضعة لله سبحانه ولا يخرج عن أمره شيء، فنحن إذن خاضعون لله، وحده لا شريك له، إلهنا افعل بنا ما تشاء ونحن لا نخرج عن ارادتك.

هل إن رؤية الدين في نظرية الخضوع الكوني لله بمعنى الخضوع بالقانون والسنن؟

بعض القوانين اكتشفها البشر ولم يكتشف البعض الآخر. إن الحقيقة التي اكتشفها الإنسان وحكمت بها الأديان قبل الاكتشافات العلمية الحديثة هي أن سير الوجود يخضع للقانون، قال تعالى ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1] فلا عبث ولا باطل ولا فوضى.

إنّ الخضوع للقانون حقيقة دينية وعلمية اكتشفها الإنسان. فالبخار لا يتحول إلى ماء إلاّ وفق قانون، وهكذا العكس، وحركة الرياح كذلك تجري وفق قانون، ومثلها حركة كل الوجود من الأرض والسماء.

الرؤية الإسلامية للقانون الكوني:

الفرق بين رؤية الإسلام للقانون الكوني ورؤية المادية هو:

١ ـ يعتقد الإسلام والأديان الأخرى بأنّ القانون الذي يحكم الكون يخضع للتدبير الإلهي، الوجود كله مترابط فمثلاً: الانشقاق الذي حدث في طبقة الأوزون فسح المجال للأشعة فوق البنفسجية لأن تؤثر على الطبيعة، وترتفع فيها درجة الحرارة.

---

(1) الأنبياء: ٣٣.

المدبر يستطيع أن يتخطى قانونه، لأنه هو الذي وضعه.

كان في سجن الأمن العامة رجل اسمه سيد فاخر وقد حكم عليه بالاعدام دون أن يشارك في أي عمل ضد السلطة، بل أُخذ مع مجموع الناس من الشارع أثناء التظاهرة التي طالبت باطلاق سراح الشهيد السيد محمد باقر الصدر عام ١٩٧٩م، كان يدعو بشكل غريب، فقد دعا: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء» أربعة عشر ألف مرة مع البكاء طوال الليلة واليوم التالي. عجبتُ لهذا العروج إلى الله، وعرفت أنّ هذا السيد سيخرج من السجن، وفعلاً لم يكمل تسبيحاته حتى طرقوا باب السجن ونادوه للخروج من السجن بفضل ذلك الدعاء. كنا ثلاثة من مجموع أكثر من تسعين شخصاً أُعدموا _ خرجنا من السجن عام ١٩٧٩، استشهد اثنان فيما بعد وبقيت أنا.

إنّ إرادة الله فوق إرادة القانون، هذا هو الفرق الأول بين الرؤية الإسلامية للقانون، للدين والرؤية المادية.

٢ _ إنّ طاعة الكائنات للقانون طاعة واعية وليست عمياء.

لما خلق الله سبحانه السماوات والأرض قال لهما: ﴿ائْتِيا طَوْعاً أو كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾.(١) إنّ خضوع الكون للقانون خضوع إرادي وليس أعمى.

يفسر القانون سقوط التفاحة على الأرض بأنها بفعل الجاذبية، ولكن الإسلام يقول إن الخضوع لهذا القانون هو طاعة واعية وليست عمياء وبفضل تدبير إلهي.

إنّ سليمان اكتشف العلة التي هي فوق القانون الطبيعي، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِه﴾.(٢)

---

(1) فصلت: ١١.

(2) ص: ٣٦.

الفرق بيننا وبين النظرية المادية الحديثة هو اعتقادنا بأنّ هذا القانون يتبع مدبراً ويطيعه طاعة غير عمياء.

العلم يكتشف قوانين للحياة والزراعة والصناعة والاقتصاد، ولكننا كمؤمنين بالله نعتقد أنّ هذه القوانين يمكن تجاوزها بإرادة الله، فقد يسقط شخص من الطابق العاشر ولا يصاب بشيء، فهذه إرادة الله.

حينما يقول الإسلام إنّ العافية والرزق من الله لا يعني أنّه لا يعتقد بالقوانين، يقول إنّ الابواب حينما تغلق أمام الإنسان فإنّ الله يفتحها.

تفسير المعصية:

سؤال: إذا كان كل شيء خاضع لقانون الله، فكيف نفسر العصيان؟

الجواب: هناك إرادة إلهية تكونية، وإرادة إلهية تشريعية.

الأولى لا يستطيع أحد أن يخالفها، بعكس الثانية وهي كالأمر بالصوم والحج والصلاة.

المؤمن يطيع الإرادة التشريعية والكافر يكفر بها ولا يستطيع أن يكفر بالإرادة التكوينية، والمؤمن العاصي يؤمن بأنّ الله خالق كل شيء، ولكن لايطبق الإرادة التشريعية فلا يصلي ولا يصوم.

الأمل بالله:

على أساس الفهم الديني للخضوع الكوني للقانون يأتي الأمل العظيم بالله، وهذا من روائع الأديان، فاليأس من روح الله والقنوط من رحمته حرام حتى لو كنت في بطن الحوت، فاليأس من رحمة الله من كبائر الذنوب.

قال يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾.[1]

(1) يوسف: ٨٧.

وقال تعالى ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١) **يقول الإمام الصادق** عليه السلام: **«والله ما أراد بهذا غيركم شيعة أهل البيت** عليهم السلام**».(٢) والروح هو نسيم الله والفرج.**

القرآن الكريم مليء بالشواهد على ذلك.

فقد قال عن يونس عليه السلام **الذي وقع في بطن الحوت:** ﴿وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ﴾.(٣)

وبيّن كيف أنّ إبراهيم عليه السلام **ألقي في قلب النار فلم يمكن نجاته حتى بنسبة واحد إلى مليون، ولكنه عاش ونجا وفق قانون الخضوع الإرادي لله تعالى.**

وهكذا أصحاب موسى عليه السلام**، حيث كانوا وسط البحر ومعرضين للغرق ولكن القانون الإلهي أنجاهم، ولم يكن يشعر موسى** عليه السلام **باليأس و:** ﴿قالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.(٤)

أيام الأحداث الإرهابيّة المزعجة في النجف الأشرف كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(٥) **فكل شيء يخضع لإرادة الله ويتولى الصالحين، فعبرت هذه الموجة عن هذه المدينة المقدسة واليوم تعيشون في أمن وأمان وإعمار والحمد لله، وهذا من فضل الله.**

وصية الرسول صلى الله عليه وآله لابن عباس:

يروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله **قوله: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، واذا استعنت فاستعن بالله، وإذا سألت فاسأل الله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعوا**

---

(1) الزمر: ٥٣.
(2) انظر الرواية في الكافي: ٨/ ٣٤ - ٣٦ / ح ٦.
(3) الأنبياء: ٨٨.
(4) الشعراء: ٦٢.
(5) الأعراف: ١٩٦.

على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك،(1) ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء كتبه الله لك«.

إنّه حديث عظيم وكشف رائع من رسول الله ﷺ.

إنّ اليأس لا يجد طريقاً للإنسان المؤمن. كل القوانين خاضعة لله، حينما نزل المطر بشدة قال رسول الله ﷺ: إلهي حوالينا لا علينا،(2) إرفق بنا. نحن نعتقد بالإعجاز.

الفرق بين الإعجاز والإنجاز:

وما الفرق بينه وبين الإنجاز؟ الإنجاز هو مثلاً أن تعمل عملية طبية للقلب.

قبل سنوات عقد لقاء لرؤساء بلدان العالم في الساحة الحمراء في موسكو فنزلت أمطار غزيرة، ففجّروا عدة قنابل طردت السحب إلى خارج الساحة الحمراء، هذا إنجاز علمي يخضع لقانون وليس صعباً. وهكذا أجهزة إطفاء الحريق. الإنجاز يخضع لقانون علمي، والإعجاز فوق القانون.

النبي عزير أماته الله مائة عام وهو يتصور أنّه لبث يوما أو بعض يوم.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(1) انظر من لا يحضره الفقيه للصدوق: ٤ / ٤١٣ / ح ٥٩٠٠.

(2) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ٧ / ٩٢؛ فتح الباري لابن حجر: ٢ / ٤٢٦.

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.
نهج البلاغة: خطب الإمام عليّ عليه السلام/ ت محمّد عبده/ الناشر دار المعرفة/ بيروت.
الصحيفة السجادية: الأبطحي/ تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي/ ط ١/ ١٤١١هـ.
الإحتجاج: أحمد بي عليّ الطبرسي/ ت محمّد باقر الخرسان/ مط النعمان/ دار النعمان.
الاختصاص: الشيخ المفيد/ ت عليّ أكبر غفاري/ جماعة المدرسين/ قم.
اختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسي/ ت مجموعة/ ط ١٤٠٤هـ/ مط بعثت/ قم/ الناشر مؤسسة أهل البيت عليهم السلام.
الإرشاد: الشيخ المفيد/ ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ مط دار المفيد.
إرشاد القلوب: أبي محمّد الحسن الديلمي/ ت السيد الميلاني.
أسباب النزول: أبي الحسن الواحدي النسابوري/ ط ١٣٨٨/ مؤسسة الحلبي/ القاهرة.
أسباب نزول الآيات: أبي الحسن النيسابوري/ ط ١٣٨٨/ مؤسسة الحلبي/ القاهرة.
الاعتقادات: محمّد باقر المجلسي ت ١١١١هـ.
إعلام الورى: أمين الإسلام الطبرسي/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ قم.
إقبال الأعمال: رضي الدين عليّ ابن طاووس/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ مطبع ونشر مكتب الإعلام الإسلامي.
الأمالي: الشيخ المفيد/ ت استادولي/ عليّ أكبر غفاري/ مط اسلامية/ جماعة المدرسين/ قم.
الأمالي: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ قم/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ مؤسسة البعثة.
أمالي الطوسي: محمّد بن الحسن الطوسي/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ ت قسم الدراسات الإسلامية/ دار الثقافة/ قم.

أمالي المرتضى: الشريف المرتضى/ ت النعساني الحلبي/ ط ١/ ١٣٢٥هـ/ طبع ونشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي/ قم ١٤٠٣هـ.
بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسي/ ط ٢/ ١٤٠٣هـ/ طبع ونشر مؤسسة الوفاء/ بيروت.
البداية والنهاية: الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي/ ط ١/ ١٤٠٨هـ/ مط دار إحياء التراث العربي.
بصائر الدرجات: محمّد بن الحسن الصفار/ ط ١٤٠٤/ ت ميرزا محسن كوجه/ مط أحمدي/ طهران.
تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري/ نشر لجنة من العلماء/ الأعلمي/ بيروت.
التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي/ ط ١/ ١٤٠٩هـ/ طبع ونشر مكتبة الإعلام الإسلامي.
تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: ابن شعبة الحراني/ ت عليّ أكبر غفاري/ ط ٢/ ١٤٠٤هـ/ جماعة المدرسين/ قم.
ترجمة الإمام الحسن لابن عساكر: ت المحمودي/ ط ١/ ١٤٠٠هـ/ بيروت/ مؤسسة المحمودي.
تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي/ المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
تفسير العياشي: محمّد بن مسعود العياشي/ ت المحلاتي/ طبع ونشر المكتبة العلمية الإسلامية/ طهران.
تفسير القرطبي: أبي عبد الله محمّد القرطبي/ ط ١٤٠٥/ طبع ونشر دار إحياء التراث الشيعي/ بيروت.
تفسير القمي: لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم القمي/ ط ٣/ ١٤٠٤هـ/ تصحيح الجزائري/ مؤسسة دار الكتاب/ قم.
تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال: السيد محمّد عليّ الموحد الأبطحي/ ط ١/ ١٤١٢هـ/ مط سيد الشهداء عليه السلام/ قم.

التوحيد: الشيخ الصدوق/ ت السيد هاشم الحسيني الطهراني/ ط ١٣٨٧/ جماعة المدرسين/ قم.
الثاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي/ مط الصدر/ قم/ ط ٢/ ١٤١٢هـ/ نشر مؤسسة أنصاريان/ قم.
ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق/ مط أمير/ قم/ ط ٢/ ١٣٦٨هـ/ منشورات الرضي/ قم.
جامع البيان: محمّد بن جرير الطبري/ طبع ونشر دار الفكر/ بيروت.
الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي/ دار الفكر/ بيروت.
الحدائق الناضرة: المحقق البحراني/ ت محمّد تقي الإيرواني/ جماعة المدرسين/ قم.
الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي/ تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.
الخصال: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر الغفاري/ جماعة المدرسين/ قم.
رجال النجاشي: أبي العباس أحمد النجاشي/ ت الزنجاني/ ط ٥/ ١٤١٦هـ/ طبع ونشر جماعة المدرسين/ قم.
دلائل الإمامة: أبي جعفر محمّد الطبري/ ت قسم الدراسات الإسلامية/ ط ١/ ١٤١٣/ مط مؤسسة البعثة.
سنن الترمذي: محمّد بن عيسى الترمذي/ ت عبد الوهاب عبد اللطيف/ طبع ونشر دار الفكر/ بيروت.
سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي/ ط ١/ ١٣٤٨هـ/ دار الفكر/ بيروت.
شرح أصول الكافي: مولى محمّد صالح المازندراني ت ١٠٨١هـ.
شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ت محمّد أبو الفضل/ مط المرعشي/ دار إحياء الكتب العربية.

شواهد التنزيل: عبد الله الحاكم الحسكاني/ت المحمودي/ط ١/ ١٤١١هـ/ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
الطرائف: السيد عليّ ابن طاووس الحسيني/ط ١/الخيام/ ١٣٧١هـ.
علل الشرائع: الشيخ الصدوق/مط الحيدرية النجف/ ١٣٨٦هـ.
عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق/مط الأعلمي/بيروت ١٤٠٤/ت الشيخ حسين الأعلمي.
غاية المرام: السيد هاشم البحراني/طبع إيران في ١٢٧٢هـ.
الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني/مط دار الكتاب العربي/بيروت/ط ١٣٧٩هـ.
فضائل الشيعة: عليّ بن بابوية القمي/طبع ونشر انتشارات عابدي.
الكافي: الشيخ الكليني/ت عليّ أكبر غفاري/ط ٣/ ١٣٨٨هـ/مط حيدري.
كامل الزيارات: الشيخ جعفر بن محمّد بن قولويه القمي/ت جواد القيومي/ ط ١/ ١٤١٧/مط مؤسسة النشر الإسلامي.
كشف الغطاء: الشيخ جعفر كشف الغطاء/ط حجرية/مهدوي إصفهان.
كمال الدين: الشيخ الصدوق/ت عليّ أكبر غفاري/ط ١٤٠٥هـ/جماعة المدرسين.
كنز العمال: المتقي الهندي/ت مجموعة/مطبع ونشر/مؤسسة الرسالة/بيروت.
لسان الميزان: أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني/ط ٢/ ١٣٩٠/الأعلمي/بيروت.
اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام: المولى محمّد عليّ التبريزي/ط ١/ ١٤١٨هـ/طبع ونشر مؤسسة الهادي/قم.
اللهوف في قتلى الطفوف: السيد عليّ بن طاووس/ط ١/ ١٤١٧ هـ/مط مهر.
مجمع البيان: أمين الإسلام الطبرسي/ت لجنة من العلماء/ط ١/ ١٤١٥هـ/ الأعلمي/بيروت.
مجمع الزوائد: نور الدين الهيثمي/ط ١٤٠٨هـ/طبع ونشر دار الكتب العلمية/بيروت.

المحاسن: أحمد بن محمّد بن خالد البرقي/ ت جلال الدين الحسيني/ دار الكتب الإسلامية.
محاسبة النفس: السيد عليّ بن طاووس/ عن بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله.
المحجة البيضاء: محمّد محسن الفيض الكاشاني/ ت ١٠٩١هـ.
مختصر بصائر الدرجات: الحسن بن سليمان الحلي/ ط ١/ ١٣٧٠هـ/ مط الحيدرية/ النجف.
المراقبات: الشيخ جواد التبريزي/ ١٣٧٥ش/ قم.
المزار: الشيخ المفيد/ ط ١/ مط مهر/ قم/ تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.
مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني/ ت الشيخ عزة الله المولائي الهمداني/ مط بهمن/ ط ١/ مؤسسة المعارف الإسلامية.
المسائل الصاغانية: الشيخ المفيد/ ت السيد محمّد القاضي/ ط ١/ ١٤١٣ هـ/ مط مهر/ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: محمّد بن جرير الطبري الشيعي/ ت أحمد المحمودي/ ط ١/ مط سلمان الفارسي/ قم.
المستدرك: محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري/ ت المرعشلي/ دار المعرفة/ بيروت ١٤٠٦هـ.
مستدرك سفينة البحار: الشيخ عليّ النمازي الشاهرودي/ ت الشيخ حسن بن عليّ النمازي/ ط ١٤١٩/ مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم.
مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل: الميرزا حسين النوري/ مؤسسة آل البيت/ ط ١/ ١٤٠٨هـ.
مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل/ طبع ونشر دار صادر/ بيروت.
مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي/ ط ١/ ١٤١١هـ/ مؤسسة فقه الشيعة/ بيروت.
المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي/ ت اللحام/ ط ١/ ١٤٠٩هـ/ مط دار الفكر/ بيروت.

معاني الأخبار: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر غفاري/ ط ١٣٦١هـ/ انتشارات إسلامي.
معجم رجال الحديث: سيد أبو القاسم الخوئي/ ت لجنة/ ط ٥/ ١٤١٣.
المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني/ ت السلفي/ مط دار إحياء التراث العربي/ ابن تيمية/ القاهرة.
مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي.
مقاتل الطالبين: أبي الفرج الأصفهاني/ ت كاظم المظفر/ مط المكتبة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ط ٢/ مؤسسة دار الكتاب/ قم.
مقتل الحسين: لوط بن يحيى بن مخنف الأزدي/ ت الغفاري/ مط العلمية ١٣٩٨هـ/ الناشر مكتبة شهاب الدين.
منازل الآخرة: الشيخ عباس القمي/ ت ياسين الموسوي/ جماعة المدرسين/ قم.
المناقب: أحمد الخوارزمي/ ت الشيخ المحمودي/ ط ونشر مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.
مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب/ ت مجموعة ط ١٣٧٦/ المطبعة الحيدرية/ النجف.
مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: محمّد بن سليمان الكوفي القاضي/ ت محمّد باقر المحمودي/ ط ١/ ١٤١٢هـ/ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
منتهى المطلب: العلامة الحلي/ الناشر أحمد/ تبريز/ ١٣٣٣هـ.
من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر غفاري/ ط ٢/ ١٤٠٤/ جماعة المدرسين.
المواعظ العددية: عليّ المشكيني.
الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ جماعة المدرسين/ قم.
نهج السعادة: الشيخ محمّد باقر المحمودي/ ط ١/ ١٣٩٦هـ/ دار التعارف/ بيروت.

نفس الرحمان: الميرزا حسين النوري الطبرسي/ ت القيومي/ ط ١/ ١٤١١هـ/ مؤسسة الآفاق.

الهداية: الشيخ الصدوق/ تحقيق ونشر مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام/ ط ١/ ١٤١٨هـ/ مط اعتماد/ قم.

الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان الخصيبي/ ط ٤/ ١٤١١هـ/ مؤسسة البلاغ/ بيروت.

وسائل الشيعة: الحر العاملي/ ط ٢/ ١٤١٤/ تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ مط مهر/ قم.

وفيات الأئمّة: مجموعة من علماء البحرين والقطيف/ ط ١/ ١٤١٢هـ/ دار البلاغة بيروت.

ينابيع المودة: سليمان القندوزي الحنفي/ ت سيد عليّ الحسيني/ ط ١/ ١٤١٦هـ/ دار الأسوة.

* * *

فهرست الموضوعات

* * *